عادل عبد العاطي

سقوط الأصنام

في نقد الشيوعية السودانية والدولية
(المجلد الأول)

2016

المحتويات

المحتويات 1
مقدمة 3
الجزء الأول : شهادات ومواقف طلبة استقالة من الحزب الشيوعي السوداني 4
إفادة للحقيقة والتاريخ 16
مغالطة الحقائق وتزييف التاريخ 20
رسالة إلى عثمان محمد صالح: 29
الحزب الشيوعي أم وجه الشعب والحقيقة؟* 29
تعليق على تصريحات القيادي الشيوعي بهولندا 35
بصدد بيان الحزب الشيوعي فرع هولندا الكاذب بتاريخ 17 فبراير 2002 35
هل يقتل ستالينيو الحزب الشيوعي الخاتم عدلان بعد موته؟ 45
الشفيع خضر وحاتم قطان وأبكر آدم إسماعيل وممارسات أحزابنا الشمولية 57
الفصل الثاني: الشيوعيون والنظام الديمقراطي والدستوري 61
دور الحزب الشيوعي السوداني 62
في تخريب التجربة الديمقراطية والنظام الدستوري في السودان 62
اغتيال الشخصية في ممارسات الحزب الشيوعي السوداني 75
غواصات الشيوعيين بالامن والاحزاب الاخري: ممارسة سياسية قذرة وآثار نفسية مدمرة 85
مرة أُخرى عن دور الحزب الشيوعي في تخريب التجربة الديمقراطية (1 من 2) 95
اللعب الكلمات 103
أو فرويد على الطريقة الشيوعية 103
الأحزاب السودانية في الميزان – الحزب الشيوعي 112
الحزب الشيوعي السوداني : حزب البرجوازية الصغيرة 115
الشيوعية والرجعية 117
الشيوعيون السودانيون والدين 119
الفصل الثالث 128
متن وهوامش 128
رسالة مفتوحة إلى عضوات وأعضاء الحزب الشيوعي السوداني 129
سلاح النقد أم نقد السلاح؟ 134
أو في تعامل الشيوعيين السودانيين مع النقد الموجه لحزبهم 134
الميثولوجيا والمارتيرولوجيا في تربية الشيوعيين 139
أو في التعامل العاطفي وهل يبني الحزب صنما يعبد ؟ 139

الرجل الشريف يحارب الفكرة بالفكرة 144
او كيف يحارب الشيوعيون خصومهم باغتيال الشخصية والإشاعات الكاذبة والدعاية السوداء
..... 144
أشِر يسارا وقف يمينا 149
او في النهج اليميني للقيادة الحالية للحزب الشيوعي 149
في إنتظار جودو 154
او المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي السوداني بين الآمال الكامنة والألام الممكنة 154
رجوع النهر الى المجرى 159
أو القواسم المشتركة بين تيار التجديد في الحزب الشيوعي والقوى الديمقراطية 159
الخيل تجقلب والشُكُر لى حماد 164
أو في ضرورة بناء تيار التجديد في الحزب الشيوعي لمنابره المستقلة 164
جبهة وطنية ديمقراطية 170
أو وحدة قوى السودان الجديد ؟ 170
بين الشيوعية والفاشية 180
هل الحزب الشيوعي السوداني حزب فاشستي؟ 180
حرية الاعتقاد والا اعتقاد حق من حقوق الإنسان ولا تقبل النزع ولا المساومة 190
محمد إبراهيم نُقُد وإخفاء وصية عبد الخالق محجوب الاخيرة 202
وصية عبد الخالق محجوب المخفية ومسؤولية المؤرخ 205
الأستاذ عبد الماجد بوب يؤكد المعلومات عن وصية عبد الخالق محجوب السياسية 218
تأملات في مراسم تشييع السيّد محمد إبراهيم نقد 226
محمد مختار الخطيب 229
السكرتير الجديد للحزب الشيوعي السوداني 229
محمد ابراهيم نقد :صفحات من سيرة الشمولية السودانية 231
الفصل السادس 239
في نقد *الشيوعية الدولية والماركسية* الديانة الشيوعية 239
عن الجنس والبغاء والإغتصاب في المجتمعات الشيوعية 245
ماركس وإنجلز : ممثلان للمركزية الاوروبية ام الشوفينية الألمانية ؟ 249

مقدمة

هذه مجموعة مقالات وكتابات في نقد الشيوعية السودانية والدولية، كتبتها في الاعوام 2000-2015 ، فيما عدا استقالتي من الحزب الشيوعي التي ترجع للعام 1996، انشرها ليس بتسلسلها الزمني وانما على اقسام رئيسية حسب الموضوع .

هذه المقالات لا تدعي الاحاطة ولم تكتب كبحوث تاريخية أو أكاديمية ، وإنما كتبت من مواقع الصراع الفكري والسياسي اليومي، وهذا ما يجعلها تاخذ الطابع السجالي الساخن، رغم ان المعلومات الواردة فيها صحيحة بشكل كامل. مع ذلك أعد بالتفرغ في المجلد الثاني لقضايا فكرية أكثر عمقاً وبجهد أكثر أكاديمية وتفرغاً.

لم أنشر في هذا المجلد دراستي المعمقة عن عبد الخالق محجوب ، والتي أزمع نشرها ضمن مجموعة دراسات عن شخصيات سودانية. كما سقطت منها دراسات ومقالات كتبتها عن تاريخ الحزب الشيوعي بما فيها مقالات نشرت في الصحف والمجلات المختلفة ، واتمنى ايجاد الوقت لنشرها في المجلد الثاني من هذا الكتاب. أما المجلد الثالث فسأكرسه لنشر مجموعة من الوثائق التاريخية والفكرية السودانية والعالمية والتي قمت بتجميع بعضها وترجمة الآخر منها والتي تتعلق بنقد الماركسية والشيوعية، وبعضها سينشر لأول مرة باللغة العربية.

إن الشيوعية قد كانت لمؤيديها عقيدة تعتنق وقد تحولت إلى ديانة جديدة لها كهنة وأصنام. إن مساهمتي المتواضعة هذه هي جهد المقل في سبيل تحطيم مختلف الأصنام الفكرية والرمزية الشيوعية التي عشعشت في أذهاننا ذات يوم، ولا تزال تتحكم في عقول وأفئدة الكثيرين. انني أعتقد إن هذا بعض مسؤوليتي تجاه الأجيال الجديدة ألا تعبد صنماً ولا تحيا لعقيدةٍ ولا تموت من أجل وهم.

في الختام أقدم شكري لكل من أسهم في لفت نظري لضرورة الكتابة في نقد الشيوعية السودانية وإيضاح أزمتها وتوثيق كتاباتي في هذا المجال، سواء كان ذلك عن طريق تأثري بكتاباتهم وجهدهم في هذا المجال (الراحل المقيم الخاتم عدلان، الاستاذ عرمان محمد أحمد، الأستاذ عثمان محمد صالح) او بطلب مباشر من أصدقائي المهتمين.

كما لا يفوتني أن أشكر كل الصحف ومواقع الانترنت التي نشرت بعضاً من هذه المقالات والمئات من الأفراد ممن ناقشوني في محتوياتها تقريظاً أو نقداً، فقد كان كل نقاش لي معهم ذو فائدة عظيمة لي.

الفصل الأول : شهادات ومواقف

طلب استقالة من الحزب الشيوعى السودانى
مقدم من عادل محمد عبد العاطى

الى فرع الحزب الشيوعى السودانى ببولندا
الى كافة عضوية الحزب الشيوعى السودانى

ثقيل على القلب، شديد على العقل ،عزيز على الخاطر ،كان اتخاذ هذا القرار الخطير .. وان كان طلب انضمامى الى الحزب قد اقتضى فى وقتها اياما قليلة للتروى والتفكير ، فان اتخاذ قرار حول مستقبل عضويتى فى الحزب قد احتاج لشهور طويلة، من التفكير المضنى والسهر الطويل والصراع مع النفس والمشاعر .
انى اعتبر نفسى من الجيل الجديد وسط عضوية الحزب ،فقد انضممت للحزب الشيوعى السودانى فى يونيو من العام 1983 ،وفق قناعة فكرية وسياسية راسخة بان الحزب هو من أكثر القوى السياسية نضالا من اجل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية والتنوير ،،وكان ولوجى صفوف الحزب فى فترة وصلت فيها الديكتاتورية المايوية اقصى- درجات تفسخها ،وكان الانتماء التنظيمى للحزب حينذاك فعلا للمقاومة والكرامة ،وتكريسا لارفع القيم الثقافية والوطنية تحت ظل نظام باع الوطن ومرغ الثقافة ..وعبر 13 عاما ،امضيتها داخل الحزب ،عملت بكل جهدى على ايصال برنامج الحزب السياسى ،وبذلت كل الطاقة ،لانجاز مهامى الحزبية ،السياسية منها والتنظيمية ،الثقافية والاجتماعية والالتزامات المالية ..وفى ذلك لم ادخر جهدا،ولم اوفر طاقة ..وفى كل هذا الوقت قدم لى الحزب ومجاميع من الزملاء ،الدعم المعنوى والفكرى ،والاحساس بالانتماء الى كيان واحد ،ذو اهداف نبيلة وطموح عظيم.. انى اذ اقرر اليوم الخروج من الحزب ، فاننى لا آسف على قرار انضمامى اليه ، ولا على السنين الطوال امضيتها فى داخله ..فقد كانت لى كنزا من التجارب والمعرفة ،وساحة للنضال فى سبيل ما اعتقدت انه الافضل ،وعائلة من الرفاق والاصدقاء قل ان يجود الزمن بمثلهم
واذا كنت قد انضممت الى الحزب فى عمر مبكر نسبيا ،(17 عاما وبضعة اشهر) فان خصب الفترة التى انضممت فيها للحزب ،بما فيها الحدث الوطنى الهام ،انتفاضة مارس /ابريل 1985 ،، وتنوع المجالات المتعددة التى عملت بها (مجال الشباب والطلاب بمدينة عطبرة 1983-85-جامعة القاهرة الفرع86/1985 -عطبرة مرة اخرى 1988 ثم فرع

بولندا96/1990) قد اضافت لى الكثير من التجارب ،وطورت فى حسا نقديا ،والذى كان- فى صورته الجنينية -احد الدوافع التى جعلتنى انضم للحزب ،فبدأت ارى السلبيات فى عمل الحزب ،وان بصورة جد جزيئه ،وفى تلك المجالات التى عملت بها .. وفى كل مرة كنت ارى ان هناك خطأ ما او تقصيرا ،كنت احاول ان افهمه وانقده بوضوح وصدق ،،مستلهما فى ذلك تراث الحزب ،وما كنت افهمه من دستوره ولائحته ،مقتنعا بان من لا يعمل لا يخطئ ،وان كل هذه الثغرات والسلبيات انما هى عثرات بسيطة فى ذلك الطريق العظيم ،،ملتزما فى كل ذلك قرارات الاغلبية الحزبية ،وبقرارات الحزب عموما -بما فيها تلك التى لم اكن مقتنعا بفعاليتها -حريصا دائما ،ما وسعنى ذلك ،ان اكون ذلك العضو الملتزم العامل من اجل قضية شعبه وحزبه

الا ان مرور السنين ،وتراكم التجارب ،وزيادة الوعى ،هذا الوعى النقدى الذى ساهم الحزب -بمقتضى الامر - فى تطويره ،وساعدت افاق المعرفة العلمية والثورية فى شحذه ،قد بدا فى ربط مختلف السلبيات فى نسق واحد ،ورؤية الجزيئات فى ارتباطها ،وتشكيل الانتقادات المتفرقة ،والملاحظات السريعة ،فى كلٍ واحد يحاول ان يفهم ،ويحلل ،ويدفع بحركة الحزب ونشاطه الى الامام ،فيما اعتقدت انه مهمة الثورى الحقيقى ،وعضو الحزب الشيوعى فى المقام الاول

بهذا الشكل ،وصلت تدريجيا الى القناعة التى ترسخت عبر الايام ،بان الحزب الشيوعى السودانى فى حقيقته ،ليس كما هو فى صورته الباهية التى كانت عندى ذات يوم ،،وان الحزب يعانى مجموعة من الامراض المستعصية ،والازمات المتشابكة ،الامر الذى يجعل تجاهلها او التعايش معها ،نوعا من التحايل على النفس ،وخداعا للذات والاصدقاء والجماهير ،وتغليبا للوهم على الحقيقة ،والحلم على الواقع ،والمرغوب فيه على ما هو كائن /> هذا الوعى الذى توصلت له ، قد بدأ فى صورة صدمة ،عشية انتخابات 1986 ،حين كنت اسمع نتيجتها بالراديو ..وكم كانت صدمتى كبيرة ،واملى مخيبا ،حين خرج الحزب منها بثلاثة مقاعد فقط ،أى اقل من 1% من جملة مقاعد البرلمان ..ان هذه اللحظة قد كانت نقطة تحول فى نظرتى ، وهزة عميقة فى داخلى ، ولحظة ادراك مفاجئة لضعف الحزب الشديد ،ومصدر دفع متواصل ،لمعرفة اسباب ذلك الضعف ،وكيفية علاجه ..وحين شعر اعضاء الحزب العاديين بكل ذلك ،فان القيادة لم تحاول ان تحلل هذه الهزيمة الماحقة ،وتخرج منها بالدروس اللازمة ،والاصلاحات المطلوبة ،تاركة الامر لمنطق النسيان والتعود ، وملقية اللوم على قانون الانتخابات وشبهات التزوير ..ان كل هذه

التبريرات لم تقنع شخصا واحدا يعمل ذهنه ،وقد كانت محاولتى للفهم الصائب ،التى لم تتوقف منذ تلك اللحظة واستمرت حى كتابة هذه السطور ،قد اوصلتنى الى نتيجة ثابتة ،وهى ان الحزب يعيش ازمة عميقة ،ازمة فكرية وسياسية وتنظيمية ، ازمة فى اشكال العمل والقيادة ،فى بنيته الداخلية كما فى صورته الجماهيرية

مظاهر الازمة رأيتها فى ضعف الحزب الجماهيرى الشديد ، فى فشله فى الوصول الى جماهير الشعب وفى اقناعها ،فى عجزه عن الوصول الى السلطة ،و تحقيق جزء من برامجه واهدافه ،وفى اهدار تضحيات المئات والآلاف من المناضلين ، على صخرة اللافعالية الصماء ..اما اسباب ذلك العجز وتلك الازمة فاراها فى بنية الحزب الجامدة ،السرية والصفوية والحلقية ،وفى تمسكه باشكال العمل القديمة التى عفى عليها الدهر ،وتم انتقادها فى الستينات ، فى الجمود الفكرى ،وتكرير مصطلحات ومفاهيم غريبة على لغة الشعب ،متجاوزة لوعيه وواقعه ،فى التمسك الحرفى بأيديولوجية وصيغ أيديولوجية بعيدة عن العلم ، قد اثبت الزمن بطلانها ، وادارت لها جماهير شعبنا ظهرها المرة تلو الاخرى ، فى التمسك باسم شيوعى ، لا يستجيب لطبيعة الحزب ، ولا يتواءم مع برنامجه "الوطنى الديمقراطى "، ولا مع مرحلة التطور الاقتصادى والسياسى والفكرى فى السودان ،ويباعد بين الحزب وبين قطاعات واسعة من الجماهير الثورية والديمقراطية ..ادى كل هذا انعدام روح الجديد داخل الحزب ،وجفاف منابع الحياة فيه ،الى غياب الديمقراطية الحزبية ،وبناء بيروقراطية حزبية ،تنعدم وسطها المواهب والحساسية ،ارجعت الحزب القهقرى ، وحولت العضوية الى كم مهمل ، وابدت القيادة وقدستها ،وحولت الحزب الى تنظيم مغلق ، جامد وسلفى ، محافظ ومتحجر ،صغير فى حجمه ،ضعيف فى امكانياته ،غارق فى تاريخه البعيد ،ذاهل عن الحاضر المتغير ،ولا يملك أى رؤية لاستشراف المستقبل

ان هذه الازمة ليست جديدة فى الحزب ،فبعض عناصرها كامن فى بنية الحزب ،ذاهب عميقا فى تاريخه وظروف تكوينه، ، لكن اغلبها مستحدث وقد تراكم مع مرور الزمن وانعدام الاصلاح ،وراجع الى ظروف ذاتية والى اختيارات واعية لقيادة الحزب المتنفذة ..لقد كانت مسيرة الحزب صاعدة فى الخمسينات والستينات ،وكان تطوره منسجما -الى حد- مع التطور الاجتماعى والسياسى فى السودان ،حتى العام 1971 ،،وكانت به قيادات شعبية ذات حساسية اجتماعية عالية (عبد الخالق ،الشفيع ،قاسم)،وذات طبيعة صد امية، بذلت محاولات متعددة لتطويع بنية الحزب وفكره لمتحولات الواقع وظروف السودان ،، وفى كل ذلك كان الحد الادنى من مصداقية الحزب مكفولا

،والمساحة معقولة بين المطروح والممكن تنفيذه .ان مسيرة الحزب فى ال25 عاما الاولى لتأسيسه قد كانت مسيرة تنظيم صاعد بحق

واذا كانت الكارثة الكبرى قد كانت فى تنظيم انقلاب 19 يوليو ،هذا الانقلاب الخارج على سياسة الحزب وقرارات مؤتمراته والذى لم يجد الادانة ولا التوضيح من قيادة الحزب حتى اليوم ،فان مسيرة الحزب بعد 22 يوليو 1971 قد كانت مسيرة انحدارية بحق ،حيث تراكمت على المشاكل القديمة اخرى جديدة عمقتها ، فتحطم نفوذ الحزب الجماهيرى ،وانغلق على نفسه ،وتحت دعاوى السرية المطلقة ،غيرت قيادة الحزب من تكتيكها ومواقفها المرة بعد الاخرى ،، وانغلقت فى عالمها الحزبى ،وتجمدت فى ذاتها ،وحصرت نشاط الحزب فى اشكال عمل بائسة وقديمة ،فانفض عنه مؤيدوه القدماء ، ولم يخلق له مؤطى قدم وسط الاجيال الشابة ،، وواجه الحزب انتفاضة مارس / ابريل 1985 وعضويته لا تتعدى البضع مئات ،وقيادته قد اضاع لبها 15 عاما من العزلة وطول الاختفاء

حزب بهذا الشكل ، كان من الطبيعى ان يتحول من موقع المبادرة الى مواقع التهميش ،ومن منطق المقاومة الى منطق المساومة ،، ومن ساحات النضال الى ميدان الاصلاح ، فاصبح ،منذ العام 1977 ،حين اعلن تكتيك "جبهة عريضة لديمقراطية وانقاذ الوطن"،لتدشن التصالح مع القوى التقليدية فى جبهة تضم الصالح والطالح ،وبصورة اكثر وضوحا وعمليا ،بعد انتفاضة مارس /ابريل 1985 ،اصبح الحزب ،بسياسته المعلنة والخفية ،رديفا للقوى التقليدية ،لا بديلا عنها ..وتحت مسميات وحدة قوى الانتفاضة ، مارس الحزب تحالفات تكتيكية مع طرفى القوى التقليدية لا يربطها خط استراتيجى ولا تخرج فى النهاية عن مصالح تلك الاحزاب ،وعبر اتفاقات ال""Gentelman و مساومات العمل البرلمانى -حين لم يكن الحزب يملك قوة حقيقية فيه للمساومة -اهمل العمل الجماهيرى والنقابى والنشاط فى الشارع ،لقد اصبح الحزب فى فترة الديمقراطية الثالثة صوتا لاظهار الوجود اكثر منه قوة لتغيير ،وقد تراجع الحزب فى غير انتظام ،فى اكثر من معركة فرضتها حدة الظروف وشراسة الاعداء وتعقد الظروف السودانية ،وليس ذلك لتقاعس عضوية الحزب وانما لاختيار القيادة التى رأت ذلك"على امل الحفاظ على النظام الديمقراطى " ،،وكان النظام الديمقراطى يمكن ان يستمر دون محتوى اجتماعى ،دون تغيير حقيقى فى حياة الناس ، دون اصلاح جذرى فى مؤسساته وبنيته ، وكأنةيمكن ان يستمر تحت ظل التهديد الدائم والعنف المسلط والمعلن من قبل القوى

الفاشية ..بانعدام النهج المستقل ،والغرق فى اليومى والعابر ،وبابتعاده عن الشارع وتركه حكرا على نشاط الجبهة الاسلامية ،اسهم الحزب ضمن من اسهم فى انهيار التجربة الديمقراطية الثالثة ،، وما نتج عن ذلك من وصول الفاشية المتاسلمة الى السلطة فى 30 يونيو 1989 واستمرارها فيها الى الآن.

اننى ارجع ازمة الحزب فى المقام الاول الى ازمة القيادة ،فالمجموعة التى تقود الحزب الآن ،سواء فى داخل السودان او فى خارجه ،لا تاخذ من صفة القيادة الا اسمها ..فهى لمدى اكثر من ربع قرن ،لم تجر انتخابات حزبية تجدد بها قوامها ،ولم تقدم كشف حساب عن نشاطها ،بل ان عضو الحزب العادى لا يعرف حتى بعض افرادها ..ان هذه القيادة والتى تم اختيار جزء صغير منها فى اكتوبر 1967 ،وصعد الجزء الاغلب منها للقيادة بالتعيين ،لا تملك أى شرعية لادارة الحزب ، وهى قد كلست الحزب فى حدود تصوراتها القديمة والمحدودة ،ومارست تسلطا ابويا ، ومركزية قاتلة ،جعلت الحزب ينضب من المواهب الجديدة ويعجز عن خلق قادة جدد ..وهى فى نشاطها لا محاسب لها الا نفسها ،ليس للعضوية عليها من حقوق ، وليس للرقابة عليها من سبيل ،فكان ان تبنت التكتيك وبديله ،وكان ان تحالفت مع هذا وذاك ، وكان ان اصدرت كل قراراتها ،لمدة 25 عاما ، فى حلقة ضيقة ، دون تشاور مع العضوية او حوار ،ودون اتاحة الفرصة لها للاعتراض او التأييد ، فالتأييد الحقيقى انما ياتى عن قناعة ، والتأييد دون معرفة وصراع واقتناع انما هو تبعية عمياء ،وهو طائفية جديدة ،وهو منطق الاشارة، وهو ابعد ما يكون عن روح الثورية والديمقراطية

تحت هذه القيادة ،تراجع نفوذ الحزب ، ونمت على قاعدة ضعفه تنظيمات جديدة جذبت الاجيال الشابة ،وتحت ضغط المركزية الصارمة ، لم يتحول أى فرع حزب الى قائد ومبادر فى مجاله ، وحولت آليات تربية وتطويع العضوية المختلفة ،حولت الاعضاء الى آلة تأييد واتفاق صماء ،لا ياتيها الجديد ، ولا تعرف الصراع ، وكانت كل محاولة للنقد او الاختلاف او الاتيان بالجديد ، تواجه بتهم الانقسام والتكتل وعجلة ومغامرة "البرجوازية الصغيرة"، وابتدعت فى محاربة الاختلاف شتى اشكال الترغيب والترهيب ، والضغط والاخضاع ،فكان ان ترك الحزب العديد من اكثر عضويته نشاطا وموهبة ،نضالا واخلاصا لقضية الشعب ، وودعهم الحزب باتهامات لم يكن اقلها تهم الانهزامية والتصفوية ،ولم يستبعد فيها العزل الاجتماعى ..وبقيت وسط عضوية الحزب مجموعات رافضة ، لكنها صامتة صمت الحسن البصرى ، خوفا على سمعتها وتاريخها من التشويه ، وحرصا على

روابط اجتماعية ونفسية لها بالحزب واعضاءه من الضياع ، واجبر آخرون على الصمت ،بالتهميش والابعاد عن مواقع القرار ،او الزامهم بحرف اللائحة

وحين تزلزل العالم مرتين ، المرة الاولى بوصول الجبهة الاسلامية القومية الى السلطة ، والمرة الثانية بانهيار انظمة دول شرق اوروبا والاتحاد السوفيتى ، لم تهتز شعرة واحدة فى قيادة حزبنا الشديدة المناعة تجاه كل جديد ، ففى شان االنهيار االماركسية العظيم ،فضلت ان تدخل النقاش من باب مراجعة تجارب الآخرين ، وترديد المقولات الخطابية عن تجربتنا المتميزة و"حزبنا الخاص"-راجع مساهمة محمد ابراهيم نقد فى مجلة الشيوعى (العدد 156)-دون ان تدرك ما آل اليه حال هذه التجربة المتميزة وذلك الحزب الخاص من انهيار وتراجع ،اما فى مواجهة النظام الفاشى لعصابة 30 يونيو ،فخلال ما يقارب السبع سنوات ،لم يفلح الحزب فى تقديم التكتيكات والسياسات المناسبة للاطاحة بنظام الفاشية الاسلاموية ،وان يوحد عضويته واصدقاؤه والجماهير حول هذه التكتيكات ..كما لم يفلح فى التصدى لقيادة النضال ،متحالفا مع قوى كانت هى سبب النكبة ، وعاجزة هى وبعيدة عن روح أى نضال جماهيرى حقيقى ،وابتعد الحزب عن ميدان الكفاح المسلح ،شانه فى ذلك شان الاحزاب التقليدية ،تاركا الحركة الشعبية منفردة فى الميدان ،مخليا بذلك الساحة امام عنف الجبهة الاسلامية وسلطتها الفردى والجماعى ،العشوائى والمنظم ،الموجه ضد اعضاءه كما ذلك الموجه ضد جماهير الشعب ..ادى كل ذلك لان تتساقط اعداد كبيرة من عضوية الحزب ،وان تفضل مجاميع لا تحصى من العضوية والكادر الهجرة الى خارج البلاد ،وتخبط مئات الشيوعيين فى بلاد الله الواسعة دون توجيه او متابعة من القيادة ، ودون رابط او امل لهم فى الحزب

فى مثل هذه الاجواء فتحت المناقشة العامة داخل الحزب ، والتى كانت بحق فرصة ذهبية لاصلاح الاخطاء وللخروج من الازمة ،،ولكن القيادة المتنفذة قد عملت على ان تكون المناقشة وسيلة لامتصاص الغضب ،ولتنفيس الاحتقانات ،فى حين لم تمتلك رؤية واضحة او منهجا جديدا لاخراج الحزب من ازمته ،بل ان البعض منهم لم ير الازمة الى الآن!.. وحين بدأ نفر مخلص من عضوية الحزب وكادره فى طرح خط التغيير والتجديد ،ووجه بالهجوم المر ، والتشنيع البشع ،بلغة سالفة خارجة من عصور قديمة ،فكنا كآل بوربون :لم ننس شيئا ، ولم نتعلم شيئا ..فاجبر من اجبر على الخروج من الحزب والاستقالة ،وودعوا باكليشيهات التصفية والانقسام . وتحت الصراخ المتعالى باسم وحدة

الحزب ،يتم تمرير نفس الخط القديم الذى ادى الى الكارثة ،وتكريس نفس القيادات التى اثبتت عدم فعاليتها ،وتثبيت نفس المنهج والصيغ التى كلستنا فى كهوف الجمود

لقد وضعت ،مثل غيرى ،آمالا كبيرة على المناقشة العامة ،معتقدا ان كل اخطاء الحزب قابلة للاصلاح ..وساهمت ،بجهدى المتواضع ،فى محاولات دراسة الاخطاء وسبل الخروج منها ، سواء بصورة فردية او فى عمل الفرع ،وارسلنا مساهمات متعددة ،نشر بعضها واهمل اغلبها ،واجرينا الحوارات والنقاشات ،وتذرعنا بالصبر والهدوء ،والتزمنا باللائحة التى خرقتها القيادة عشرات المرات ،،كل ذلك دون نتيجة تذكر فى ظل وضوح تام لرأى القيادة المتنفذة ،والذى يقول -على لسان الاستاذ التجانى الطيب-(الذين لا يؤمنون بثورية الطبقة العاملة ،وبالماركسية ، وبحزب الطبقة العاملة ،لماذا لا يتركوا "حزبنا " ويبنوا "حزبهم " الديمقراطى)وفى الحديث المكرر للتجانى عمن يريدون (ذبح الحزب قربانا لكيان هلامى للبرجوازية الصغيرة)او تأكيداته القاطعة بانه (ليست هناك قوة قادرة على حل الحزب الشيوعى)-حتى ولو كانت اغلبية عضوية الحزب

hان الخط الرئيسى والفكرة الاساسية للمتنفذين فى الحزب تعلن باختصار بانه ليس فى الامكان احسن مما كان ،وان لا مكان للتغيير او دعاته فى صفوف الحزب الشيوعى السودانى

ان المناقشة العامة مستمرة شكلا ،ولكن مصيرها قد تحدد بصورة عملية .ان الاسلوب الذى عوملت به مساهمة الخاتم عدلان ،والصراع غير المبرر وغير المبدى الذى خوض ضده ،وتسمية خطوة استقالته هو و نفر من اصدقاءه انقساما ،وذلك فى خطابات سكرتارية اللجنة المركزية كما فى وثائق مكتب الخارج،يوضح ان الغالبية العظمى من قيادة الحزب تقف ضد اجراء أى تغيير جذرى فى الحزب ، كما ان المتابع لمجمل النقاش يرى انه يخطو فى اتجاه اجراء تغييرات شكلية ..ان اسهام القيادة يتركز فى الاصرار على نفس السياسات المختلف عليها ومحاولة تكريسها والبحث عن تنظير لها ، فى نفس الوقت الذى تواجه فيه كل الافكار الجديدة بتسخيف فج وردود ضحلة ،خطها القائد هو تكريس القائم والموجود..ان المناقشة العامة قد ترهلت وابتذلت ،وتجرى المحاولات جادة لاغلاقها فى اطار تصور القيادة ،ويبدو الامل معدوما ان تتاح الفرصة لتيار الجديد ان يعبر عن رأيه وينتصر ديمقراطيا ، خصوصا فى ظل عدم وجود الادوات الحزبية -التنظيمية والسياسية والدعائية -تحت يده ، وتغدو أى محاولة لخلق منابر خاصة او النشر فى منابر مستقلة ممددة بتهم الانقسام والتكتل الخ من مصطلحات ذلك القاموس القديم

وعلى الرغم من ان تيار الجمود غالب فى القيادة ، الا ان احد اعضاءها قد تطرف فى ذلك (الاستاذ التجانى الطيب).وانه لمن المؤلم ،والذى فى نفس الوقت يقدم دلالة على ازمة الحزب ،ان مجموعة صغيرة ،يمثلها شخص واحد ،مثابر فى تحجره ،يمكن ان تقف حجر عثرة فى طريق تطور الحزب وتغييره،وتملى ارادتها على اعضاء الحزب فى الخارج ،وعلى عضوية وكادر الحزب فى الداخل ،مستخفين بكل المساهمات ، وضاربين عرض الحائط بمستقبل الحزب ووحدته ..وفى ظل انعدام الافق وضعف الارادة عند غيرهم من القياديين ،وتحت ظل علاقات التضامن والمؤازرة التى طوروها عبر عشرات السنين ،فمن المحال ان يخطئوا او ينقدوا ، حتى ولو كان الثمن هو مستقبل الحزب ..ويبدوان ما تبقى لهم من سنين فى قيادة الحزب لهو اكثر قيمة عندهم من مستقبل الاجيال القادمة ، ومن باب اولى من رغبات عضوية الحزب الغالبة.

اننى فى الفقرات اللاحقة الخص بكثافة ،ما اعتقده خاطئا فى منهج الحزب وسياساته :

الاصرار على صيغة الحزب الطبقى ،المغلق ، النخبوى ،حزب الكادر ، والتمسك الهستيرى بالأيديولوجية الماركسية اللينينة (الستالينية فى حقيقتها) الامر الذى لا يستجيب لواقع السودان ،ولا لمعطيات العصر ، وفى المحصلة تحويل الحزب الى شلة صغيرة بعيدة عن التأثير الجماهيرى

فى نفس الوقت تعميم خط المساومة والاصلاح والتحالف مع القوى التقليدية ،المستمر منذ ابريل 1985 ،والمكرس من يونيو 1989 ،وسحب شعارات التغيير الاجتماعى الجذرى فى البنية الاجتماعية السودانية ،وتغييب واجب بناء الجبهة الديمقراطية لمصلحة تحالف عريض تلعب فيه الاحزاب الطائفية الدور المقدم

انعدام التكتيكات الصدامية الواضحة فى مواجهة السلطة الديكتاتورية ،وتحديدا اداة العمل المسلح ، وحماية التحركات الشعبية وضحايا القمع والتعذيب ، وتغييب صوت الحزب المستقل فى وسط ضجيج التجمع ، الامر الذى وضع الحزب على هامش النضال من اجل اسقاط النظام

رفض دعوات تحالف القوى الحديثة ، والموقف العدائى تجاه محاولات توحيد القوى الديمقراطية ، والرفض العدمى لفكرة بناء حزب ديمقراطى واسع وكبير ،جماهيرى وتقدمى ، يغير من الخرطة السياسية ويشكل رقما جديدا فى الحياة الاجتماعية والسياسية السودانية

انعدام الديمقراطية فى الحزب ،الامر الذى يتضح فى عدم عقد مؤتمراته ،العامة منها والتداولية ، وابدية القيادة فيه ،والتجاهل والرفض لدعوات كشف الحقائق موضع الاختلاف فى تاريخه ،كانقلاب 19 يوليو 1971 مثلا .

الحلقية المفرطة ،والانغلاق المميت ،ورفض الرأى الاخر ،وادعاء الحقيقة المطلقة ، الامر الذى يتجلى فى الهجوم الكاسح على كل من يخرج من الحزب ، متجاهلين نضالاتهم واسهاماتهم ، والسنين الطوال التى امضيناها معا ، وتحويل هذا المنهج الى اداة تخويف وارهاب لاعضاء الحزب ، وليست بعيدة عن الحقيقة تلك النكتة القائلة بان الشيوعيين اذا خرجت منهم بيطلعوا ليك "اخطاء "الابتدائى

((لقد حز فى نفسى ، الهجوم العنيف والتسخيف الجارح لاراء واشخاص زملاء كانوا حتى الامس القريب ابناء الحزب المخلصين ، ومهما كانت درجة الاختلاف معهم فانها لا تصل الى درجة وصفهم بالخيانة والعداء للحزب والتشكيك فى ذمتهم المالية ،الخ الخ ..اننى اتبرأ من كل كلمة زيف قيلت فى حق زميل سابق واعلن انها لم تمثلنى ولا تمثلنى .. ولن يكون هذا موضع فخر لاى حزب يعامل اعضاؤه السابقين بمثل هذه المرارة والكراهية ..ان هذه الاقوال والاتهامات فى نظرى ل تضر الا قائليها ومروجيها))

ضرورى هنا ،تثبيت بعض الحقائق ،وهى انى ،كغيرى ، لا استبعد ان اواجه ،بشكل علنى او مخفى ،على نطاق عام او فى ثرثرات فردية ، بمختلف الاتهامات عن الهروب من المتناقشة العامة والانقسام وتشويه سمعة الحزب الخ الخ ...واثبت ايضا ان لا مشكلة لى شخصية مع الحزب او مع أى احد من اعضاءه ،ولم اتضرر كشخص من أى ممارسة فى الحزب ، كما ان غرضى لم يكن فى يوم من الايام الهجوم على الحزب او التشنيع عليه ،بل العكس هو الصحيح ..لذلك فانى لا اعتبر هذا النقد -او غيره- حجة على ..فلقد آمنت ان لى حقوقا وواجبات داخل الحزب ،اديت واجباتى بقدر المستطاع ، وحاولت ان استمتع بحقوقى بقدر الممكن ..واعتقد ان من حقى -ومن واجبى تجاه العديدين- ان اوضح مواقفى كاملة ،وان انقد ما اراه خاطئا ، وان اخرج من الحزب حين ارى ان الشقة بينى وبينه قد بعدت ، وانه ما عاد يستجيب لآمالى ولخط تفكيرى وقناعاتى ..فلقد دخلت الحزب بقناعة كاملة ،وبصورة فردية ، وبطلب مكتوب ..واليوم اذ تختلف قناعاتى عن القناعات المفروضة على الحزب بصورة جذرية ،فانى اخرج منه عن قناعة ،وبصورة فردية ، وبطلب مكتوب . ومهما كان القرار ثقيلا على النفس ،ومهما كان التخوف من سيف الاتهامات المسلط ، فيظل قدر الثورى ان يكون صادقا مع نفسه ، شجاعا فى اتخاذ

قراراته وتنفيذها ..واذا كان هناك من اسف ، فهو ان دواعى الاستقالة لن تكون معروفة للجميع ،وسيمضى- وقت طويل ، قبل ان يعرف كل من اهتم بهم ،وبهتموا بان قرار الخروج من الحزب قد كان قرارا ثوريا ، حين اصبح الحزب جامدا ومتحجرا ..قد كان قرار احتجاج على منج سير الامور فى الحزب ..قد كان عملا نضاليا ،بحثا عن منابر جديدة تتيح امكانيات افضل لتحقيق البرامج والآمال التى آمنت ولا ازال اؤمن بها : من تحقيق العدالة الاجتماعية ،والديمقراطية الشاملة ، والوحدة الوطنية الحقيقية ،وعلمانية الحياة الاجتماعية والسياسية ..هو التزام بالواجب تجاه الشهداء - الذين يكثر البعض فى الحديث عنهم والمزايدة باسمهم -بالبحث عن اشكال تجعل تضحياتهم لا تضيع هدرا ،وما ناضلوا مكن اجله قابلا للتحقيق

اننى استقيل من الحزب الشيوعى لنفس الاسباب التى دخلت بها الحزب الشيوعى ،بحثا عن موقع للنضال فسيح ،ورفضا للديكتاتورية والجمود ،نقضا للسلفية واللا تسامح ، وبحثا عن نموذج ينطبق فيه الحلم والواقع ، ويكون للعمل ثمرته ، وللجهد عائده ،وللاحلام امكانية التحقق .

فى النهاية لا املك الا الشكر والتقدير لزميلات وزملاء اعزاء عرفتهم داخل الحزب، قدموا لى الكثير من الحب والجمال ، وعلمونى روح التضحية والاقدام ..التحية لهم فى أى موقع كانوا ، وطابت ذكراهم فى داخل الحزب ظلوا ام اصبحوا فى خارجه ، ولتهنأ ارواحهم الاحياء منهم ومن رحلوا عن دنيانا ،اذكر هنا بالود والاعزاز روح الراحلين العم عبد العزيز فوزوالصديق كمال ابو عكر فالتحية موصولة لهم جميعا .والاعتذار موصول لمن لم يفهم منهم اسباب استقالتى ،فربما تكون هى غلطتى فى انى لم اوضح افكارى كما ينبغى .. ولكن الاحترام لهم ولنفسى- يفرض على هذه الخطوة ،عسى- ان تشكل للبعض هزة ، وفرصة لمراجعة الذات ،فربما ينصلح شى ما .. والشكر والتقدير للحزب الشيوعى السودانى ،على سنين جميلة ونبيلة قضيتها فى صفوفه ، سأظل اذكرها دائما بالود والاحترام .

عادل محمد عبد العاطى (عماد/ عز الدين)

وارسو فى 4 مايو 1996

إفادة للحقيقة والتاريخ

تعليقا على بيان فرع الحزب الشيوعي السوداني بهولندا بتاريخ 17-2-2002

إلى الجالية السودانية بهولندا :
إلى الرأي العام السوداني :
إلى المنظمات السياسية والمدنية السودانية والهولندية :

اصدر فرع الحزب الشيوعي السوداني بهولندا ، بيانا بتاريخ 17-2-2002 ، بعنوان :**هل العداء للحزب الشيوعي السوداني وتلفيق الأكاذيب هو البوابة للحصول على إقامة في هولندا ؟ وهل رحلة البحث عن مجد زائف تمر بنفس البوابة ؟** . وقد كرس البيان لمناقشة مقال ورد بصحيفة ألوان الصادرة بالخرطوم ، والذي يزعم كشف علاقة اليسار السوداني بالموساد ، كما ينتقد حركة القوى الديمقراطية الجديدة (حق) ، ولم يكلف البيان نفسه ، لأسباب يعلمها القائمون عليه ، بإيراد عنوان المقال المناقش أو صفحته وتاريخ إصدار العدد الذي حواه .

وإذا كان من الغريب أن يكرس فرع الحزب الشيوعي السوداني بهولندا بيانا للرد على مقال تناول أساسا حركة حق ، وصدر في صحيفة معروفة بالكذب والإثارة والتلفيق في كل تاريخها وفى كل كلمة تنشرها ، فان العجب يزول عندما نقرأ في المقال التلميحات بعلاقة ما بين حركة حق ، والتي يدعوها البيان بتنظيم الخاتم ، وصحيفة ألوان سيئة الصيت . ثم يتابع البيان ليضيف إلى كذب ألوان أكاذيب جديدة تتعلق ببعض كوادر حق في هولندا ، في غرض واضح وهو تشويه واغتيال شخصياتهم ، وإحداث وقيعة بين بعضهم والسلطات الهولندية .

يقول البيان : << **السؤال الذي يطرح نفسه هو تخصص مركز المعلومات والخدمات الصحفية لصحيفة ألوان ، في تغطية نشاط وأخبار تنظيم حق بهذه الدقة والتفصيل ، فهل يا ترى القائم على إعمال هذا المركز عميل مزدوج أم توافق فكرى بين الراسل والمرسل إليه ، خاصة وقد سبق لهذا المركز أن زود المحرر السياسي لصحيفة ألوان بمعلومات مضخمة ومغلوطة نشرت بتاريخ السبت 27-9-1997 ، عن نشاط الخاتم عدلان وخلافه مع الحزب الشيوعي ، مع أيراد بعض الأسماء باعتبارها زورا ، أنها من قيادة الحزب .** >>

إننا إذا تجاوزنا الركاكة اللفظية في الصياغة ، والحشو وخراقة المنطق ،كما تبدى في كون السؤال الذي يطرح نفسه قد تحول إلى جملة خبرية ، او الحديث عن توافق فكرى ما ببين ألوان ومركزها الصحفي كأنه اكتشاف خطير ، فأننا نفاجأ بالافتراض الذي لا يدعمه دليل ، بان القائم على أعمال هذا المركز هو عميل مزدوج ، اعتمادا على تخصص ألوان في تغطية نشاط وأخبار حركة حق . ويأتي تفسير المفاجأة عندما نعلم أن تخصص صحيفة ألوان الرئيسي هو الحزب الشيوعي السوداني ، ولا يكاد يمر عدد دون ان تنتهشه بمقال حاقد أو تعليق مغرض أو خبر مغلوط ، ولا يمر أسبوع دون أن تنشر عنه وثائق مزورة ، فهل بمنطق فرع هولندا يمكن أن نفترض علاقة ما بين صحيفة ألوان والحزب الشيوعي السوداني ، ووجود عملاء مزدوجين بين الطرفين ، أو توافق فكرى بينهما ؟

الثابت لنا أن هذه العلاقة وذلك العميل المزدوج بين حركة حق وصحيفة ألوان لا توجد إلا فى الخيال المريض لمؤلفي هذا البيان المغرض . كما إن قراءة متأنية للمقال المفترض (حيث لم يوثقه البيان) توضح حجم الحقد والكذب والتزوير الذي أفرزته الصحيفة تجاه حركة حق ، مما ينفى أي علاقة مفترضة ما بين كاتبي المقال وحركة حق . إن سبب عدم توثيق المقال يتضح لنا أذن في صورة استنتاج منطقي ، وهو إبعاد القارئ عن المصدر الأصلي للمقال ، وتركه أسيرا لافتراضات بيان فرع هولندا للحزب الشيوعي السوداني المريضة ، بما فيها من تشويه لصورة حركة حق ، وهو أسلوب خسيس في العمل السياسي ، ولا يبرره واقع المنافسة السياسية بين التنظيمين في مجال هولندا أو على النطاق الوطني !

ويمضى البيان ليقول : << **ما نود توضيحه أن المدعو عبد الوهاب عبد القادر همت لم يكن في إحدى الأيام عضوا في الحزب الشيوعي . كان عضوا في الجبهة الديمقراطية لطلاب الثانويات ، سافر للدراسة الى سوريا وعجز عن إكمالها فسافر لمدينة اودسا الأوكرانية بغرض التجارة ، واستقر به المقام بطلب اللجوء في هولندا . امجد إبراهيم سلمان تقدم بطلب ترشيح لعضوية الحزب وانقطع عن نشاط الحزب ، ومن ثم ترك الحزب وانضم لحركة حق . محمد عبد الرحمن لا علاقة له بالعمل السياسي . بقية الأسماء الواردة في مقال مركز المعلومات الصحفية ضحايا وعود وهمية للحصول على إقامة بوسيلة ، تنضح بما فيها من كذب وعقلية خربة للمدبرين لها .** >>

إننا في طول حياتنا ، لم نقرا فقرة واحدة ، مليئة بهذا الحجم من الكذب والمغالطات والدسيسة وسوء النية ، كما ورد بالفقرة السابقة . وقد اتضح الكذب في بيان حركة

القوى الجديدة الديمقراطية (حق) بهولندا ، بتاريخ 5-5-2002 ، والذي نشر صورة شهادة تخرج الأخ عبد الوهاب همت ، ونشر معلومات عن عضويته في الحزب الشيوعي ، و أكد عضوية الأخ محمد عبد الرحمن في حركة حق ، كما في بيان فرع الحزب الشيوعي السوداني ببولندا ، بتاريخ 22-10-2002 ، والذي أكد عضوية الأخ امجد إبراهيم سلمان في الحزب الشيوعي لمدة 6 سنوات ، انتهت باستقالة مكتوبة ومسببة قبلها فرع الحزب الشيوعي ببولندا ورفعت إلى قيادات الحزب . أما بقية الأسماء ، فأننا نتسائل بأي حق ينشر فرع الحزب الشيوعي معلومات عن وضعهم القانوني في هولندا ، ولماذا يشير إلى انهم ضحايا وعود للإقامة بأي وسيلة ، ولماذا دون أن يدعم افتراضه بالمعلومات المؤكدة والوثائق ، يتحدث عن الكذب المفترض والعقلية الخربة للمدبرين لها ؟

إن الإشارة ثلاثة مرات إلى قضية طلب اللجوء السياسي والإقامة ، ومن بينها إيرادها في عنوان البيان ، توضح من هي الجهة الحقيقية المخاطب بها البيان ، وهى السلطات الهولندية . ويبدو واضحا حجم الوقيعة والدسيسة التي يطمح إليها كاتبي البيان ، عندما ينفى البيان العضوية السابقة لاثنين ممن ذكرهم في الحزب الشيوعي ، في مغالطة واضحة للحقائق ، كما في نفى الانتماء السياسي للثالث ، في مسالة لا يعرفها ولا تخصه ، وذلك لنفى تاريخهم وحاضرهم السياسي ، بل وإنجاز بعضهم الأكاديمي . كما تبدو الدسيسة في الإشارة المبهمة وغير الموثقة عن الكذب والعقليات الخربة والوعود الوهمية فيما يتعلق بالأسماء الباقية . إن كل هذا يجعل أي شخص من هذه المجموعة مشكوكا به من قبل السلطات الهولندية إذا ما كانت له أي إجراءات قانونية أو تتعلق بالإقامة فيها .

إنني إذ لا استغرب تخريصات وأكاذيب صحيفة ألوان تجاه حركة حق ، وغيرها من القوى الوطنية ، فإنني استنكر أن تصدر الأكاذيب ومحاولات الوقيعة والدسيسة ، من طرف تنظيم يدعى الانتماء إلى الصف الوطني ، وقد استفاد أعضاؤه في مناطق عديدة ، ومن بينهم بعض كاتبي وموزعي البيان ، من حق اللجوء السياسي كحق إنساني مشروع . وقد نما إلى علمي أن حركة حق بهولندا قد خاطبت أعضاء وقادة الحزب الشيوعي بهولندا لإيضاح هذه الحقائق بصورة ودية ، إلا أنها ووجهت بالمماطلة والتسويف ، الأمر الذي اضطرها إلى إصدار بيان توضيحي في هذا الصدد ، إلا أن فرع هولندا للحزب الشيوعي السوداني مع ذلك لم يحرك ساكنا ، بل وقد نقل البعض أكاذيبه إلى منابر أخرى ، ومن بينها الشبكة العالمية (الإنترنت) .

إنني أؤكد هنا ، من منطلق نشاطي في بولندا في الأعوام 1988-1996 ، ومسؤولياتي في فرع الحزب الشيوعي السوداني ببولندا في الأعوام 1990-1996 ، عضوية الأخ امجد إبراهيم في الحزب الشيوعي السوداني في تلك الفترة . كما استنكر بشدة محاولات اغتيال شخصيته وانتقاص تاريخه بدواعي الخلافات السياسية الحالية أو الغيرة السياسية ، كما أدين بشدة مسلك فرع الحزب الشيوعي في هولندا وبيانه المغرض والكاذب ، والذي لا ينبغي أن يصدر عن أي مؤسسة سودانية شريفة ، ناهيك عن حزب يدعى النضال ضد الديكتاتورية ومؤسساتها .

إنني من هذا المنطلق أدعو فرع الحزب الشيوعي في هولندا ، إلى تصحيح ما ورد بالبيان المذكور ، والاعتذار إلى الأشخاص المذكورين فيه ، والى حركة حق والرأي العام السوداني .وأخص في دعوتي هذه العناصر التالية من أعضاء وكوادر وقادة الحزب الشيوعي السوداني فرع هولندا السادة : خالد الطاهر ، مكي الدخري ، عبد الوهاب محمد على آدم ، محمد عبد الحميد ، عثمان حامد ، خضر عبد الغفور ، محمد مضوي ، ناصر عمر ناصر .كما احمل كل عضوية فرع هولندا للحزب الشيوعي السوداني مسؤولية الأكاذيب الواردة في هذا البيان ، حتى تعلن رأيها الرافض له . وكذلك أطالب قيادة الخارج للحزب الشيوعي السوداني ، وأخص منهم السادة : محمد مراد الحاج ، الشفيع خضر سعيد ، خالد حسن التوم ، التجاني الطيب بابكر ، والسكرتارية المركزية للحزب ، وكل عضويته وكوادره ، للتدخل وتوضيح الحقائق وإدانة ممارسة لا تستقيم مع ما يعلنون من وقوف في الصف الوطني ورغبة في مراجعة الممارسات السلبية في تقاليد الحزب الشيوعي السوداني ضد المختلفين عنه في الرأي والخارجين من صفوفه.

كما أفوض الأخ امجد إبراهيم سلمان بترجمة وتصوير وتوزيع هذه الإفادة ، لكل من يري من جماهير السودانيين والمنظمات السودانية والهولندية والعالمية العاملة بهولندا ، ولكل من يرى أهمية توضيح الحقائق له .

عادل عبد العاطى

عضو سكرتارية الحزب الشيوعي السوداني ببولندا

في الأعوام 1991-1996

حرر في وارسو بتاريخ 7 ديسمبر 2002

مغالطة الحقائق وتزييف التاريخ
في بعض بيانات الحزب الشيوعي السوداني ومنظماته

اشتهر الحزب الشيوعي السوداني بإصدار البيانات المختلفة كوسيلة الاتصال الأساسية بالجماهير السودانية ، وتصدر البيانات عن فروع الحزب او هيئاته القيادية ، وتصدر فى المناسبات السياسية العامة كما فى مناسبات وأحداث خاصة بالحزب الشيوعي يسعى الى طرح رايه فيها .

وقد ادت كثافة اصدار الحزب الشيوعى للبيانات ، والمعروفة على نطاق شعبى بالمنشورات ، وخصوصا فى فترات الديكتاتورية ، الى ان تصبح مادة للتندر ، وقد قال ظريف ابان حكم عبود " والله يا الشيوعيين لو انتوا لميتوا بياناتكم كلها ، ورميتوها مرة واحدة على النظام ، كان سقط طوالى "

وبعيدا عن التندر ، فان ظاهرة إصدار البيانات هى من ناحية المبدا ظاهرة صحية ، فهى تعلن راى المؤسسة المعينة فى الاحداث الجارية ، وتصبح مادة للتوثيق والتاريخ ، وتخرج الراى السياسى او غيره من حيز المشافهة الى حيز الوثيقة . الا انها فى تجربة الحزب الشيوعى قد شابها الكثير من القصور والاغلاط ، وذلك للاسباب التالية :

1. تصدر البيانات فى العادة باسم قيادة الحزب او احدى هيئاته ، ولا يوقعها ناطق رسمى او اعضاء الهيئة المعينة باسمهم ، وبهذا فلا مسؤولية محددة يتحملها افراد بعينهم عما يصدر بالبيان .
2. يرد بالبيانات العديد من المعلومات الخاطئة والتى لا اساس لها من الصحة ، ولا يميل الشيوعيون الى تصحيحها قط ، وفى ظروف السرية لا تكون هناك جهة يمكن الرجوع اليها للمطالبة بتصحيح الوقائع من المتضررين منها .
3. تكتب بعض العبارات والجمل بشكل مبهم ويحتمل اكثر من تفسير ، الامر الذى يجعل تفسيرها خاضعا للاشاعات والاقاويل ، والتى غالبا ما تلجأ الى اكثر التفسيرات اثارة ، وتدعمها مرات تفسيرات شفاهية من اعضاء الحزب ، تعامل كحقائق ولا توجد امكانية توثيقها او تصحيحها .
4. تصدر البيانات حاملة لمعلومات معينة ، وبعد فترة تصور بعكسها ، خصوصا اذا امتدت الفترة الزمنية ، واذكر انه قد جرت فى اول التسعينات محاولة لسحب الوثائق القديمة من بعض فروع الخارج (وربما الداخل) ، وذلك بدعوى ارشفتها ،

فى خطوة واضحة لاعدام واخفاء ما لا يناسب التاريخ " الجديد" للحزب ، وقد رفضنا وقتها فى فرع بولندا تسليم كل الوثائق ، واحتفظنا بالمهم منها وهو لا يجاوز ال10 بالمائة من أرشيف الفرع حينذاك ، ومن وقتها لم اسمع بما جرى لتلك الوثاق المسحوبة .

أنني في الفقرات اللاحقة ، اذكر نماذج من بيانات للحزب ووثائق حدث فيها مغالطة الحقائق ، او جرى التزوير فى تفسير البيان او ذكر ظروف ملابساته ، وهذه نماذج اعرفها من تجربتي الشخصية ، ولا شك أن الآخرين يعرفون مثلها الكثير .

- يرد فى كتابات وبيانات الشيوعيين ، ان الطالب العطبراوى صلاح بشرى من شهداؤهم ، وقد ادرجوا صورته فى البومهم للشهداء فى العيد الاربعين ، ومعروف ان الشهيد صلاح بشرى قد كان عضوا فى منظمة الايسكرا ، وهى منظمة ماركسية منافسة للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى فى مصر ، والتى كان بها مؤسسى الحركة السودانية للتحرر الوطنى (الحزب الشيوعى السودانى) ، وقد كانوا يبادلوا تلك المنظمة العداء ، ولم ينتم ابدا الى الحركة المصرية او حدتو او حستو ، وهى التنظيمات التى خرج من رحمها الحزب الشيوعى السودانى (راجع رفعت السعيد : منظمات اليسار المصرى 1940-1950)

- اصدر الشيوعيون بعد احداث الجمعية التشريعية فى عطبرة ، بيانات يدعوا فيها ان شهداء مدينة عطبرة الخمس هم اعضاء فى حزبهم ، ثم زعموا لاحقا ان الاعضاء هم ثلاثة وليس خمسة ، والثابت ان بين الخمسة كان هناك عضو شيوعى واحد وهو الشهيد قرشى الطيب ، كما افادت بذلك شهادات المعاصرين لتلك الاحداث (راجع مذكرات النقابى العجوز محجوب على ، كما سجلها فى 1984-1985 محمد عبد الخالق وعادل عبد العاطى)

- فى العام 1968 ، وبعد الاجتياح السوفيتى لشيكوسلوفاكيا ، اصدر المكتب السياسى للحزب الشيوعى بيانا من اربعة صفحات ، يؤيد فيه الغزو ، واعيد نشره فى جريدة اخبار الاسبوع التابعة للحزب حينذاك ، ثم زعم الشيوعيون بعد ذلك انهم وقفوا ضد هذا الغزو ، واوردوا ذلك فى رواياتهم عن تاريخ الحزب ، فى مغالطة

واضحة للحقائق (راجع المقالات التى تتحدث عن تاريخ الحزب و" تميزه واستقلاليته" فى مجلة قضايا سودانية).

- اصدر المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى 25 مايو خطابا داخليا لاعضاء الحزب ، يشرح فيه موقفه من نظام مايو . وقد ادعى الشيوعيون بعد ذلك انهم اخرجوا بيانا جماهيريا فى ذلك اليوم ، ويصروا على ايراد مقتطفات من ذلك الخطاب الداخلى كانه صدر كبيان عام ، وهذه مغالطة تاريخية واضحة (انظر فى ذلك كتاب محمد سعيد القدال عن تاريخ الحزب الشيوعى السودانى ، كتاب العيد الاربعين ، وغيرها من المصادر)

- فى العام 1971 ، وبعد محاولة الرائد هاشم العطا الانقلابية ، اصدر الحزب بيانا يقول فيه ان هذه المحاولة " شرف لا يدعيه وتهمة لا ينكرها " وهو تلاعب واضح بالالفاظ ، وهروب من الحقيقة ، وهى ان التنظيم العسكرى الشيوعى هو الذى نظم الانقلاب ، وبمعرفة وموافقة عناصر سياسية قيادية من الحزب ، كما اوضح ذلك اعضاء الحزب من العسكريين كعبد العظيم عوض سرور ومحمد محجوب عثمان فى كتبهم التى كرسوها لذلك الحدث .

- فى نفس العام ، زعمت وثائق دورة اللجنة المركزية للحزب فى دورة انعقادها فى ذلك العام ، بان العناصر المعدمة هى 21 من الضباط ، واكثر من مائتين من الجنود ، ولم يفلح الحزب طوال السنين الباقية فى ان يذكر اسماء هؤلاء المائتين جندى ، وعندما اتضح ان هذه كذبة ومبالغة ، لم يبادر الى تصحيحها (راجع كتيب دورات اللجنة المركزية 1971-1976)

- طوال الاعوام اللاحقة ، والى وقت قريب ، ظل الحزب الشيوعى فى بياناته المختلفة ينكر ضلوعه فى تنظيم انقلاب هاشم العطا ، الامر الذى كشفت كذبه وثيقة اللجنة المركزية والتى صدرت حول تقييم ذلك الانقلاب ، بعد اكثر من عشرين عاما على تنفيذه (راجع وثيقة تقييم 19 يوليو) .

- طوال تلك الفترة كان الحزب الشيوعى فى بياناته ، ولا يزال الكثير من كتابه يسمى انقلاب هاشم العطا بحركة 19 يوليو التصحيحية ، وذلك هربا من تسميتها باسمها الحقيقى ، وهو انقلاب 19 يوليو ، فى نفس الوقت الذى لم يتجراؤا فيه على تسميتها بثورة .

- فى العام 1984 اصدرت سكرتارية اللجنة المركزية للحزب بيانا حول انقسام فرع الحزب الشيوعى فى جامعة القاهرة الفرع ، واردفه مكتب الطلاب المركزى ببيان آخر ، وكان مما جاء فيهما " على صلة بالمنقسمين شاب من خريجى العراق اسمه جعفر كرار ، كان سابقا بحزب البعث ، ويردد انه قدم طلبا لعضوية الحزب ، وان الحزب لم يبت فيه " . ولم يذكر كاتبى البيان انه فعلا قد قدم طلبا لعضوية الحزب ، وانه انتظر سنينا للبت فيه ، والبيان بصيغته تلك يشير الى ان ترديده غير صحيح ، ويوحى بلعبه دور فى الانقسام ، وقد زادت الاشاعات التى اطلقها فرع الحزب الشيوعى فى جامعة الخرطوم حينها ، وبناء على قرائتهم للبيان ، انه عضو بجهاز الامن !! وقد كتبت والصديق عبد الله القطى حينها خطابا لقيادة الحزب ، نستنكر ذلك المسلك ، ونوضح الحقائق الايجابية عن ذلك الشخص ، ونطالب برد الاعتبار اليه ، الا ان خطابنا رد الينا من قيادة منطقة عطبرة ، بزعم ان به الكثير من العاطفية ، وطالبونا بالتركيز على الحقائق ، وقد كتبنا خطابا ثانيا معدلا ، ركزنا فيه على الحقائق ، لم ينشروه الى الان ، ولا تزال الشبهات تدور حول ذلك الشخص نتيجة ذلك البيان وتلك الشائعات ، وسانشر تفاصيلا اوسع عن ذلك فى مقالى عن ممارسات اغتيال الشخصية فى تجربة الحزب الشيوعى السودانى .

- فى خريف العام 1986 ، وبعد ندوة شعرية شاركت فيها الشاعرة رقية وراق ، واستغلها الاخوان المسلمين بتفسير خاطى لاشعارها بانها تهاجم الدين ، نفت الجبهة الديمقراطية بجامعة الخرطوم ، وهى تنظيم يقوده الشيوعيون ، فى بيان نشر بجريدة مساء الخير الناطقة بلسان ذلك التنظيم ، ان تكون رقية وراق عضوا فى تنظيم الجبهة الديمقراطية ، فى الوقت الذى كانت فيه الاستاذه رقية وقتها عضوا بتنظيم الجبهة الديمقراطية بالفرع لعدة سنوات . وقد ادى ذلك الى استياء الاستاذة رقية البالغ ، والى استياء اعضاء الجبهة الديمقراطية بجامعة القاهرة ، وقد اعتذروا عن ذلك شفهيا للاستاذة رقية ، وقد سبب نفيهم الاول وتاكيدهم الثانى مشاكل عديدة للاستاذة رقية وراق حينها .

- فى العام 1989 ، وبعد اضراب الاطباء الشهير ، وصلت الى فرع بولندا للحزب الشيوعى ، مذكرة داخلية مستعجلة من مسؤول العلاقات الخارجية وقتها ، د.محمد مراد ، المشهور بالطيب على احمد ، يفيد بتنفيذ حكم الاعدام على نائب نقيب

الاطباء د. مامون فى فجر ذلك اليوم ، بسجن كوبر . وقد اصدر فرع الحزب الشيوعى ببولندا فى نفس اليوم ، بيانا بالعربية والبولندية يحوى نفس المعلومة ، ويدين هذه الجريمة !! وعندما اتضح لاحقا ان الدكتور مامون لم يعدم (رغم تعرضه للتعذيب) ، رفض فرع الحزب مطلقا ، رغم طلبى المتكرر والملح ، ان يصدر بيانا يصحح فيه هذه المعلومة ، باعتبار ان ذلك يضرب بمصداقيتهم !! (يرجى فى تحقيق ذلك مراجعة البيان المذكور ، وسؤال الاساتذة صلاح ميرغنى ، صلاح على ، وابراهيم ميرغنى) .

- فى فبراير من العام 2002 ، اصدر فرع الحزب الشيوعى السودانى فى هولندا ، بيانا ورد فيه ، ان الدكتور امجد ابراهيم لم يكن عضوا فى الحزب الشيوعى ، وانه قدم طلبا وكان مرشحا ، وكان عضوا بالجبهة الديمقراطية فقط ، الامر الذى يكذبه واقع عضوية الدكتور امجد الكاملة فى الحزب الشيوعى فرع بولندا لمدة ست سنوات ، وتحمله فيه مسؤوليات عديدة ، من بينها السكرتير المالى للفرع ، حتى استقالته المكتوبة فى العام 1996 ، وتدعمه الوثائق الموجودة فى ارشيف فرع الحزب فى بولندا ، والتى تتوافر للكاتب نسخ مصورة منها .

وبعد فقد كانت هذه مجرد لمسات سريعة ، مما اسعفتنى به الذاكرة ، حاولت فيها ان اتلمس قضية تشوية الحقائق وتزييف التاريخ فى بعض وثائق الحزب الشيوعى السودانى ، وقد صفحت النظر عن عدم دقة البيانات الاقتصادية فى بعض الدراسات الصادرة عن الحزب ، وعدم دقة الاخبار فى جريدة الميدان السرية والعلنية ، والتى اشار اليها الشيوعيون انفسهم ، حينما دعوا مراسليهم الى ان لا يجنحوا الى المبالغة وتضخيم الاحداث !! كما لم اتحدث عن الاتهامات والمعلومات عن اعدائهم ومن يعتبروهم اعداؤهم فى وثائقهم الداخلية ، فلهذا مجال آخر ، كما لم اتحدث عن اثر هذه التزييفات على العناصر المتاثرة بها ، وقد ارجع لكل ذلك ذات يوم ، او فى مجرى النقاش .

الفصل الثاني
حواراته وسجالاته

رد على رسالة الصديق على العوض

صديقي ورفيق المعاناة والمنفى :
على العوض

حينما اهتز الزمان مرة ، واتهموك بالخروج والمروق على السائد والمفروض ، قال قائلهم :
على العوض ، عليهو العوض .
الآن أنا أقولها ، مسلح بمعرفة الإنسان فيك ، وبخبرة السنين :
على العوض ، فيهو العوض .

التحية لك يا على وأنت تواصل مشوارك السيزيفى ، حاملا صخرة المسؤولية ، وصاعدا بها إلى قمة تلوح وتبتعد. وإذا كان سيزيف في الأسطورة قد سرق النار وأعطاها لبنى الإنسان ، فحق عليه غضب الآلهة ، فان ذنبك هو انك قابض على النار ، وراكز فيها ، عسى أن تجعل شعلتها تواصل الاشتعال حتى ولو أكلت الأخضر واليابس منك ، والأخضر فيك من جواك ، واليابس أيبسته السنين الضامرة والأحلام المنكسرة والمنافي ورفاق السوء ومشقة البحث عن العنقاء والخل الوفي .

صديقي على :
أفرحني وأحزنني أن تتابع ما أسميته بحواراتي المليئة بالغضب والانفعال والحقيقة. وما أفرحني هو أن صرختي لم تكن بغير استجابة، وان صوتي ما ضاع في البرية، دون أن يجد الصدى . أما ما أحزنني فهو أن هذه الحوارات كان فيها من الغضب والانفعال اكثر مما من الحقيقة ، والعكس هو ما ينبغي أن يكون . وإذا كان قد جاء في الأثر من التوصية : لا تغضب ! فان الانفعال والغضب قد ركباني وأنا أرى الأبيض يصبح اسودا ، والغراب يخطل كأنه طاووس .
وقد نعى على البعض إني دخلت في معركة من غير معترك، وتحاورت مع أشباح وشخصيات كرتونية ، لا تفهم قيمة الحوار ولا تتورع عن الفحش ، وليس من خصائصها الصدق . ولكنى أقول أنى لست بنادم ، وان دارت الأيام دورتها فأنا فاعل ما فعلت ، وان كان بصورة أخري ، وبشكل اكثر وعيا لمزالق الخلاف الحقيقية وتلك التي يضعوها

تحت قدميك . لكن الثابت عندي هو أن من لا يتدخل أمام التجاوزات التي تبدو بسيطة ، ينكسر وينخزى أمام الجرائم الكبيرة ، ومن يتراجع خوفا أن يطال ثوبه وحل الاتهامات ، يأتي المساء وضميره ملوث برشاش دم الضحايا . وبين التجاوز والجريمة ، والوحل والدم خيط رفيع ، سرعان ما يقع فيه الغافلون والمتغافلون .
أرى يا على مأساة وضعك ، وأنت راسخ بقدميك في رمضاء الحقيقة ، فى زمن الزيف ، وأنت المخلص لأحلامك ولأرواح الشهداء ولروح الكتل الجائعة ، في زمن النفعية والعولمة وحكم الكيزان والمخصيين من الرجال والمنتهكات من النساء . اعرف انك ، وقد خرج معظم رفاقك إلي المنافي الخارجية ، والى منافئ الروح ، وتسربوا من الحزب الذي كان ، إلى مواقع يرونها تتماشى مع الحلم القديم ، أو اخلدوا إلى سكون يبل ألم الروح ويعوض ما ضاع من أيام ، قد أصبحت كاليتيم على مائدة اللئام . ولكنى احترم خيارك كما احترم خياراتي ، وأوقن إننا في اختلاف رؤيتنا لما كان ولما سيأتي ، لا زلنا نحارب في نفس الخندق ، ونحمل نفس الحلم .

أدرك أنا يا على ، أن الحزب الشيوعي ، بقدر ما حرك من الأمل ، بقدر ما انتج من الألم .. وما بين الألم والأمل صلة طويلة ، تتجاوز ما بيتهما من تشابه الحروف . وأوقن انه بقدر ما أجترح من تضحيات ، بقدر ما سبب من مآسي ، ولا أؤمن أنا بعفي الله عما سلف ، خصوصا إذا ما واصل البعض غرقه في عمى البصر والبصيرة ، وإذا ما باع البعض الآخر مستقبل الشعب والأجيال ، براحة للضمير كاذبة ، في سنين حياته الأخيرة . وهنا يكمن الفرق بين الثوري والأصولي . عند الثوري لا تسامح مع الذات أو الآخرين ، واجتناب الطريق الثوري يحول المجتنب إلى خصم . أما الأصولي فهو مهادن للذات والعقيدة والقادة ، شرس مع الآخرين والرأي الآخر ، ومحاولات المروق عن الخط المرسوم مرة والى الأبد ، كما إن المارق وشبه المارق يتحول عنده إلى عدو زنيم .
لكل هذا ، ولغير هذا ، ومع احترامي لنبل دعواتك ، وصدق سجيتك ، لا أؤمن أنا بإمكانية إصلاح الحزب الشيوعي السوداني ، وتؤلمني الجهود المهدرة والسنوات المضاعة ، يبذلها بعضا من خيرة النساء والرجال، لإصلاح بنية عطبت وتكلست وما عاد فيها نفس من حياة . لا ارغب ولا احلم بان يرد لي المؤتمر الخامس ، حينما يقوم في لحظة ما من سراب الأيام ، اعتبارا ، وليس لي ، واحسب انه ليست لأغلب من خرجوا من صفوف الحزب ، رغبة في عودة أو لم لشمل ، فقد تغير الزمن ، وانتشرت وتعددت منابر

النضال ، وسقطت الغلالة الأسطورية التي خدعنا بها أنفسنا حينا من الزمن ، حول إن المناضل إما في الحزب الشيوعي ، أو لا مجال غيره ، بل أكاد أقول أن العكس صار هو الصحيح .

مع كل ذلك ، أتمنى أن تصيب توقعاتك وتخيب قراءاتي ، فهذا يعطى لنضالكم معنى ، ولجراحاتنا شفاء ، كما أتمنى أن نلتقي في متحول الأيام والأماكن ، لنبل بعض الشوق ، ونستذكر القديم ونخطط للجديد ، واعدك انه رغم البعد والمعاناة ، فسيظل الحلم اخضر ، والعمل من اجل تحقيقه مثابر ومستمر .

عادل عبد العاطى

رسالة إلى عثمان محمد صالح:
الحزب الشيوعي أم وجه الشعب والحقيقة؟*

(إلى عبد العظيم محي الدين،
حيا كان أم ميتا، وأينما حل وحيثما كان..)

(1)

ظللت أتابع باهتمام وحرص، ما يكتبه شقيق روحي وصديقي القريب – البعيد، والذي فرقتني وإياه ا الأيام، وان لم تفرق بنا المودة، عثمان محمد صالح، عن صيرورة الحزب الشيوعي السوداني. وقد علمت من كتاباته، انه قد استقال من عضوية الحزب الشيوعي في التسعينات. ورغم أني لا اعرف حيثيات استقالته، فلا شك عندي مطلقا، إنها قد انطلقت من مواقع نبيلة، لا هزيلة، ومن موقع الحريص علي شعب السودان، لا المتهرب من الميدان، ومن موقع الثوري المخلص لثوريته، لا المنكسر أو المتساقط، كما تعودنا أن نقول عن الخارجين من الحزب الشيوعي، يوم كنا أعضاءا فيه، وكما يقول الكثيرين من أعضاءه الحاليين، حول رفاق الأمس القريب.

(2)

وعثمان محمد صالح لمن لا يعرفه، إنسان بكل معني الكلمة، وأديب مرهف، ومناضل ثوري. اخذ عن أهله النوبيين، الصراحة والوضوح وقول الحق، الذي يصل أحيانا إلى درجة الجلافة والإحراج. كما اخذ عن مدينته عطبرة، روحها الشعبية، ونفسها الكادح الذي يبقي في الإنسان، مهما ابتعد به الزمان عن ورشها وكتاحتها وبيوتها الطينية، وأخذ ثوريته وتوتره المبدع، عن نهر عطبرة الجارف المتمرد غريب الأطوار، الذي يجف لشهور، ليفيض في شهور اخري، وكانه ثوري فوضوي تتحكم فيه روح غريبة من الكسل والهيجان، ورغبة متناقضة في إعطاء الحياة والتدمير، تحلق به وتعشعش فيه وتعذبه وتدفعه، من منابعه العالية، في تلال أكسوم الشامخة، حتى يصل إلى منتهاه في مدينة الحديد والنار.

(3)

فليكن ما يكن، وليكن أن بعضا من افضل بنات و أبناء شعبنا، ممن اتجهوا بوجدانهم وقلوبهم يسارا ذات حين، وولجوا صفوف الحزب الشيوعي ذات يوم، وقدموا له من

الجهد والحب والعرق والإخلاص والدم والمحبة والدموع والعمل، ما لم يقدموه حتى لأهليهم، أو لانفسهم، حين تهيأ لهم انه الأمير الجديد، وانهم في نضالهم عبره، إنما يرتقوا بإنسانيتهم، ويخدموا الشعب، ثم البشرية جمعاء. ليكن أن بعضا من هذا البعض، قد خرج من تلك الصفوف التي ولجوها ذات يوم، وتغرب في ذاته أو في بلده أو في الخارج، واهتدي بعضهم إلى منابر جديدة، بينما ظل البعض الآخر ممزقا ما بين حلاوة وذكريات الانتماء القديم، ومرارة الواقع الحاضر، وانسداد الطرق أمامهم، فمن يا تري هو المسؤول، عن هذا الانهيار العظيم، في وسط صفوف كان يمكن بها اقتحام السماء، وإطفاء الشمس وإشعالها من جديد؟

(4)

عن ماذا يعبر مثال علي العوض، هذا الغريب في حزبه، ومثال عثمان محمد صالح، هذا الذي ترك الحزب رسميا، ليبقي فيه قلبا وشعورا وطموحات؟ أي قوة خرافية تجعل من شخص يري في تنظيما شجرة مباركة، تستحق أن تسقي بماء العيون، بعد أن خرج منه، والخروج من الحزب الشيوعي، والتنظيمات العقائدية كافة، أشبه بقطع القلب اجزاءا، بسكين غير حاد ؟ أي معني يمكن أن يكون لنداءات عثمان محمد صالح، ولصرخات علي العوض، والحال فيما يصرخون فيه وعنه وله، يسير من سيئ إلى اسؤأ ؟ لماذا خرج عثمان من الحزب الشيوعي، ولماذا استقال منه علي العوض ورجع إليه ثلاثة مرات؟ كيف يدعو عثمان محمد صالح لسقاية هذه الشجرة بماء العيون، وهو قد تركها واعيا مختارا؟

(5)

ينطلق عثمان في كتابته الآنية، وفي كتاباته السابقة، من روح الأديب الشاعر، ويبدو هذا جليا في لغته و أدواته المستعملة. يكتب عثمان كتابة تخاطب القلب، وتخاطب الشعور، وتزدهي بالكلمات، ولكنها تخلو من الوقائع، أو تتناولها بعمومية. ما معني أن يقول عثمان: "إن الحزب الشيوعي السوداني بخيره وشره، بغضه وقضيضه، بغثه وثمينه، بانتصاراته المقيمة وإنكساراته الأليمة، ما يزال نماء شجرته ضرورياً وحيوياً في بيئةٍ جافةٍ مثل عتمور السودان." ، دون أن يحدد لنا ما خيره وشره، وكم هي نسبتها إلى بعضها، وما الذي يسود الآن في هذا الحزب من أحد هذين المتناقضين، وغيرها من المتضادات؟ لم يقل عثمان لنا، ما الذي اجدب بحياة السودان، وجعلها عتمورا، وما دور الحزب الشيوعي في ذلك؟ لم يشرح لنا عثمان، كيف يريد لشجرة قد جف ساقها ، وماتت جذورها،

وسقطت أوراقها، وعزت ثمارها، ولم تعد إلا هيكلا خشبيا ينتظر السقوط، أن تينع وتنمو من جديد ؟

(6)

تجربة الحزب الشيوعي، تستحق فوق الانفعال الأدبي، جهدا علميا صارما، يناقش المنطلقات الفكرية لهذا الكيان، ثم يناقش البنية التنظيمية له، والمسلكيات القيادية، وطرق تربية العضوية، والمواقف السياسية والمصيرية ... ثم يعالج كل هذا في إطار البنية الاجتماعية السودانية، وفي إطار حراك القرن العشرين الهائل، الذي انداحت موجاته ووصلت السودان، وانفعلت بها حياة المئات والآلاف من البشر- المشاركين في الفعل السياسي، والملايين من بسطاء الناس، ممن مارسوا حياتهم البسيطة، ولكن وقعت عليهم الأحداث، كما تقع عليهم الأمطار والسيول والجفاف والحروب والصواعق ، فدفعوا ثمنها فقرا وعوزا وموتا وقتلا ونفي وتشريد. إن دور عثمان وغير عثمان، أن يقوموا بهذا الجهد النقدي التحليلي الكبير، ليكشفوا من أين أتى خير الحزب الشيوعي، ومن أين نبع شره، وأين نري سمينه، وأين هو غثه، الخ الخ من مكونات هذ الجهد التاريخي النقدي، ممن لا تحله الكلمات الرشيقة، ومخاطبة المشاعر وحدها.

(7)

ثم إن هذا الجهد النقدي العظيم، ليس غاية في ذاته، و إنما هو مدخل لتحديد موقف. فإذا وصلنا إلى أن الشر اكبر من الخير، والغث اكثر من السمين، والانكسارات اعمق من الانتصارات، كان من واجبنا أن نحارب هذا التنظيم ، وان نطلق عليه رصاصة الرحمة، وان نحرق ما تبقي من هيكله الخشبي. أما إذا تبين لنا العكس، فما علينا إلا الدفاع عنه دفاع المستميت، والعض عليه بالنواجذ، وسقاية شجرته بماء العيون، وريها بالدمع والعرق والدم، عساها تورق وتزهر من جديد . إن أي موقف وسطي هنا، لا يجدي، ولا يليق، وليس هو من شيم عثمان، ولا رفاق عثمان.

(8)

إن موقف عثمان محمد صالح بالاستقالة من الحزب الشيوعي، يوضح كيف كان تقييمه النهائي، وأنا اعرف عثمان جيدا، لادرك أن ما دفعه للخروج من الحزب هو الشديد القوي، وليس هو تعب وانكسار وإحباط الخ ، مما يدمغ به المهووسون الآخرين. من هنا فأنا لا افهم دعوات عثمان الحالية، إذ هل يريد للآخرين، أن يواصلوا ما تركه هو عن قناعة؟ وهل لو كان مقتنعا بما يقول، أليس من الأجدى والأكثر مصداقية، أن يرجع

لصفوف الحزب الشيوعي؟ وما موقع كل هذه الكلمات الحارة، والانفعال الإيجابي بالحزب الشيوعي، من واقعة استقالته التي يكرر الإخبار عنها، في كل رسالة بهذا الصدد ؟ وما سر هذا التناقض الغريب، أن لم يكن هو تناقض العقل الذي يعرف، والقلب الذي يرفض الاعتراف؟

(9)

كما لم تعجبني إطلاقا، نبرة عثمان الأبوية والأستاذية، المليئة بالتقريع واللوم، تجاه " تعالي نبرة أصوات يكسوها طابع الأسف والحسرة والتفجُع على سنوات العمر المسروقة وعبث الجهد المبذول ولا مردودية العرق المسكوب والوقت المهدر في تأدية وتنفيذ واجباب ومهام العمل الحزبي !". وليوضح عثمان لنا هنا، هل كل هذه المشاعر، لها سندها من حيثيات الواقع، وهل لم يبذل هؤلاء المناضلين، الغالي والرخيص، ليقبضوا السراب؟ ، وإذا كانت إجابته بالتأكيد، كما يري أصحاب الأصوات هؤلاء، فليوضح لنا إذن، من المسؤول عن هذا، وليقدم لنا منهجه لمعالجة هذه الجراح الحقيقية ، والمشاعر الأليمة، بدلا من السخرية من اصحابها، في الوقت الذي يجلس فيه المسؤولون الحقيقيون عن ضياع الجهد والعمل والوقت وسنين وحياة الشباب الغض، علي قمة الهرم الحزبي، منتشين بكهانتهم ، معاقرين لفشلهم التاريخي، ومعطلين لطاقات المناضلين، يطلق البعض ما يزال حولهم البخور، بينما تضم اتباعهم المنافي والسجون والمستشفيات والقبور.

(10)

إن الإنسان هو القيمة الأولى والمطلقة، لا يتم بدونه شي، ولا قيمة لشي خارجه . ومن هذا المنطلق، فليست "المُواطنة الحقة هي فقط مجموعة من الواجبات المستلزم تنفيذها والتضحيات الواجب تقديمها والضرائب الاجتماعية التي لا مفر ولا مهرب من سداد فواتيرها كفرد عين لا كفاية"، و إنما هي أيضا "حزمة من الحقوق" ، لا نحسبها في دائرة "الطيبات والمُتع" ، ولا نقيمها من باب "التمتع بحق الانتساب ودفء الانتماء للكيان الإجماعي/السياسي المُعين"، و إنما ننظر لها كحقوق طبيعية وإنسانية واجبة التنفيذ، يشكل انتزاعها وحجبها جريمة في حق الإنسان، سواء أتت من نظام حاكم، أو قيادة حزب معارض. وقد قام هؤلاء الشرفاء من أعضاء الحزب الشيوعي بواجباتهم كاملة، والتي بلغت في حدها الأقصى تقديم الحياة قربانا ، فماذا اكتسبوا من حقوق في المقابل، وهل كانت هناك حقوق للعضو أصلا ، في هذا الكيان المتسلط علي الفرد، الممتص لرحيق

حياتـه دون مقابـل يلقـاه، إلا الهـزء والاسـتخفاف والجحـود، بعـد سـنين طـويلة مـن التضحيات والواجبات والجهود؟

(11)

إن عثمان رغم خروجه عن صفوف الحزب الشـيوعي، لا يـزال يتطلـب مـن أعضـائه أن يقـدموا التضـحيات دون مقابـل، وان يقومـوا بواجبـاتهم دون حقـوق، وان يسـقوا بمـاء العيـون، شجـرة لم تقـدم لهـم إلا الشـوك، ويطالـب بهـذا كـذلك مـن هم خـارج الحـزب الشيوعي. إننا نعرف بعضا ممن تحدث عنهم عثمان، ونعرف انهم إنما كانوا يطالبوا بالحقوق لكل الشعب، وانهم ما كانوا ليطلبوا تعويضا، أو يشعروا بالحسرة، لـو أتى جهدهم اكله في المجال العام. ولكنهم راؤا أحلامهم تتبدد هباء، والوطن يسير القهقرى، فحق لهم أن يسـألوا عن عائد جهدهم، وكيف ولماذا وأين قد ضاع.. ولا تستيقظ مثل هذه المشـاعر المريـرة، في اناس غيريين، إلا في زمـن الهزيمـة والانكسـارات. فليسـأل عـثمان إذن المسـؤولين عـن الهزيمة، ممن لا يزالوا يتمتعوا بثمار جهد الآخرين، عن كيف أهـدروا جهد المناضلين، وكيـف غيبوا حقوقهم، وسحقوا آمالهم، واورثوها الحسرة والآلام، بـدلا مـن أن يحاسـب الضـحايا، كونهم يتحسروا علي الجهد المضاع، وسنين الشباب المهدرة التي لن تعود.

(12)

لقد سرت تقريبا في نفس طريق عـثمان، وارتبطـت بالحـزب الشـيوعي ارتباطـا، مـا كنـت احسـب له مـن فـكاك، ومـا أظنـه سـيتحقق لي مع أي مـن الأشـياء أو الأحيـاء، إلا أني عندما آتى الوقت، قد ضغطت علي قلبي ومزقته نتفا، من اجل وجه الحقيقة، ومـن اجـل الحلم الأولى. إننا يا عثمان لا نعبد ولا يجوز لنا أن نعبـد الهيـاكل والأشجـار، خاويـة كانـت علي عروشها أم يانعة ، و إنما نقيم ونحترم كرامة وحقوق الانسـان، ونتوجـه نحـو الحقيقـة ، ونبتغي وجه الشعب. وكل ما دون ذلك إلى زوال. ولهـذا نضـغط علـي أنفسـنا ونسـير ألي الإمـام، بحثـا عـن كل مـا يفيـد الإنسـان والحقيقـة والشـعب. وفي هـذا الدرب قـد سـار الكثـيرون، ممـن لا يريـدوا سجـن أنفسـهم في المـاضي أو الخيـال، ولا يرغبـوا في أن يغلقـوا أعينهم عن الوقائع ، ودخلوا في معمدانية الألم والقطع والنـار ، لكـيما تطهـرهم مـن الأوهـام، وتدفعهم إلى الأمام.

(13)

هل يكف عثمان محمد صـالح، عـن البكاء علي الأطـلال أذن، وينخـرط في أي مشـروع سياسي أو مدني أو إبداعي، عام او شخصي، يسـتجيب للحلم الأول، أم سـيظل يـراوح

في مكانه، مرددا الأهازيج عن القديم الذي كان، متجاهلا الواقع المر المتكون، وبراعم الجديد الذي يمكن أن يكون ، وتاركا ما كان نجمته الهادية وحلمه الأول ذات يوم، يضيع في ثنايا إعادة الروح إلى هياكل خاوية، لم يعد عقله مقتنعا بها، وان كان قلبه لا يزال يحن إليها، وهل يقدم جهده وعرقه وصوته قربانا لصنم ليس فيه من خير الآن ، إلا لكهنته وحواريهم ، أم يرجع إلى صفوف الشعب، سر بداية الأشياء، ويشاور ذاته ويسمع لها، ويبحث عن ما ينفع الناس، دون أن يضرهم ولو بالقليل ؟

عادل عبد العاطي
27 يناير 2004

*ردا علي رسالة عثمان محمد صالح: رسالة إلى من يهمه الأمر: الحزب الشيوعي السوداني شجرة مباركة تستحق السِقاية بماء العيون!

تعليق على تصريحات القيادى الشيوعى بهولندا
بصدد بيان الحزب الشيوعي فرع هولندا الكاذب بتاريخ 17 فبراير 2002

تكرم الأخ خالد الحاج، بنقل أسئلتنا ومناشداتنا لأحد قيادات فرع الحزب الشيوعي السوداني، بصدد بيانهم الكاذب بتاريخ 17 فبراير 2002، والذي ناقشناه في غير هذا المكان، وخاطبنا حوله فرع الحزب الشيوعي السوداني بهولندا، ومجموعة من مؤسسات الحزب الشيوعي السودان، بلا جدوي.

ولكن يبدو إن الإصرار من جانبنا قد أتى بعض اكله، حيث تكرم هذا القيادي الشيوعي من فرع هولندا، و صرح بالتالي، وهو تصريح ننشره بكل ما فيه من أخطاء في الإملاء والنحو والمنطق:

<<*- أن الهدف الأساسى والرئيسى من البيان هو الرد على صحيفة الوان وتعرية اكاذيبها وافتراءاتها.
*- توجيه أتهام لبعض المتواجدين بمجال هولندا بفبركة وتسريب تلك المعلومات لهذه الصحيفة بهدف الآستفادة منها فى دعم قضية طلب اللجوء الخاصة بهم.
ودليلنا على ذلك:-
*- قيام بعض من وردت إسمائهم ضمن هذه المعلومات المفبركة بالحصول على نسخة من الصحيفة وترجمتها وضمها الى ملفات للجوء الخاصة بهم رغم علمهم بعدم صحة هذه المعلومات، ولمن يريد التأكد يمكن الرجوع لوزارة العدل الهولندية
*- مركز المعلومات المزعوم والذى تدعى الصحيفة انه مصدرها متخصص حول اشخاص محددين داخل كيان سياسى محدد.
*- مركز المعلومات المزعوم أُصيب بالخرس بعد بيان فرع الحزب !!!.
بخصوص ما ورد حول عضوية السيد امجد ابراهيم بالحزب فالمعلومات التى كانت متوفرة للفرع حتى اصدار البيان بانه مرشح بفرع بولندا وهذه المعلومات جمعت خلال فترة تجميع وبناء الفرع من شيوعيين وديمقراطيين واصدقاء للحزب، وعلى العموم لا فرق بين عضوء الحزب ومرشحه واصدقائه والمتعاطفين معه لدى الاجهزة الامنية السودانية . وحول ما

ورد عن السيد عبد الوهاب همت ما كان يجب ان ينزلق البيان لتناول قضايا شخصية او اكاديمية للفراد.
ولكن اليس من المفارقات ان الحزب الذى تصدى لصحيفة الوان وفضح اكاذيبها وأوقف تسريب المعلومات لها مدان لدى البعض . والمتهمين بتسريب معلومات مفبركة لصحيفة النظام هم ا لضحايا ؟!...>>

انتهى التصريح ..

إننا قد وصفنا هذا التصريح، بأنه مثل حال من سكت دهرا، ونطق كفرا، أو كحال من "جا يكحلا عماها"، وذلك لان القيادي الشيوعي في فرع هولندا، لم يكتف فقط بالإصرار علي أخطاء بيان فرعه، بل أورد لها مبررات، تصنف في باب العذر الأقبح من الذنب. في كل هذا، اثبت هذا القيادي الشيوعي، انه نموذج ممتاز، لقيادة ذلك الفرع، التي ترمي الكلام علي عواهنه، وتكيد لمعارضيها السياسيين، وتكذب بلا حياء، وتتمادي في الخطأ دون وازع من ضمير أو مسؤولية.

إن أول اعتراضاتنا، هو أن القيادي الشيوعي قد رفض الإفصاح عن نفسه، بينما حفل بيانهم الذي يدافع عنه، بذكر أسماء الآخرين مثلثة ، ملحقة باتهامات ثقيلة ، يصر القيادي الشيوعي علي إعادتها هنا .. وهنا نسأل إلى متي تظل المسؤولية عن الكلمة والموقف غائبة عند "قيادات" الشيوعيين؟ ، والي متي يكون اغتيالهم للشخصية مبنيا للمجهول، ومتي ينشروا بياناتهم وتصريحاتهم ممهورة باسماؤهم ، طالما هم يلغوا في أعراض وسمعة الناس، أم أن الشينة منكورة، وهم يخافوا حكم التاريخ الذي لا يرحم؟

يقول القيادي الشيوعي في فرع هولندا في تصريحه :

<<أن الهدف الأساسى والرئيسى من البيان هو الرد على صحيفة الوان وتعرية اكاذيبها وافتراءاتها.>>

ونرد علي هذا الافتراء الرخيص بالتالي:

أولا: جاء عنوان البيان : "هل العداء للحزب الشيوعي السوداني وتلفيق الأكاذيب هو البوابة للحصول على إقامة في هولندا ؟ وهل رحلة البحث عن مجد زائف تمر بنفس البوابة ؟" ، الأمر الذي يوضح انه لا يقصد صحيفة ألوان، بل عناصر معينة يزعم كاتبي البيان انهم يودوا الإقامة في هولندا، أو يبحثوا عن مجدا زائفا، ولم يكلف كاتبي البيان نفسهم عناء الإشارة في عنوانه، إلى صحيفة ألوان وأكاذيبها، الأمر الذي يوضح ما و"من" هو الهدف الرئيسي والأساسي لبيانهم.

ثانيا: يورد البيان كواحدة من الأدلة الرئيسية علي افتراضاته الخرقاء، ورود <<معلومات مضخمة ومغلوطة نشرت (بالوان) بتاريخ السبت 27-9-1997 >> وهنا نعيد التساؤل أين كان فرع هولندا وقياداته طيلة هذه الأعوام من 1997 إلى 2002 ، إذا كان غرضهم الرئيسي والأساسي هو "الرد على صحيفة الوان وتعرية اكاذيبها وافتراءاتها"

ثالثا: إن صحيفة ألوان قد تخصصت في الإساءة والتعرض للحزب الشيوعي السوداني، فلا يكاد عدد منها يخرج دون أن تتناوله بالنقد والنقض والتجريح، فهل يصدر فرع هولندا بيانا عن كل مقال ينشر بألوان، أم قد استغلوا الإشارة لهذا المقال تحديدا، دون غيره، لأغراض الغرض والكيد السياسي لحركة حق في هولندا وأعضائها ؟

رابعا: لو كان الغرض من البيان فضح ألوان وأكاذيبها والرد عليها، لاهتم كاتبوه بتوثيق المقال، ولكنهم كما قلنا من قبل : "ولم يكلف البيان نفسه ، لأسباب يعلمها القائمون عليه ، بإيراد عنوان المقال المناقش أو صفحته وتاريخ إصدار العدد الذي حواه ." ، بينما اهتموا تماما بتوثيق أسماء وسيرة حياة أعضاء حركة حق في هولندا، الذين رموهم بأراجيفهم الكاذبة والمغرضة.

ويواصل القيادي الشيوعي فيقول:

<<*- توجيه أتهام لبعض المتواجدين بمجال هولندا بفبركة وتسريب تلك المعلومات لهذه الصحيفة بهدف الآستفادة منها فى دعم قضية طلب اللجوء الخاصة بهم.>>

أولا: يبدو من الصياغة العامة أن هذا هو هدف فرعي للبيان، ولكن قيادات فرع هولندا الذين يمتازوا بركاكة الصياغة، قد واصلوها في شخص رفيقهم هذه المرة، حيث القي بجملة دون أن يوضح ما المقصود منها، وكأنه ظن أن الحديث عن الهدف الرئيسي- في جملته

السابقة، يفسر معني هذه الجملة العامة التي لا يعرف فيها الفاعل من المفعول به، وتبدو مبتورة غير مفهومة، بسبب من الركاكة اللفظية وعدم ترابط الجمل ترابطا صحيحا.
ثانيا: أما إذا كان ما فهمناه صحيحا، من إن "أحد أهداف البيان هو توجيه اتهام لبعض المتواجدين بمجال هولندا بفبركة وتسريب تلك المعلومات لهذه الصحيفة بهدف الاستفادة منها في دعم قضية طلب اللجوء الخاصة بهم"، فإننا نؤكد أن هذا هو الهدف الرئيسي- للبيان، والذي يتضح ابتداءا من عنوانه، ويمتد ويتصل إلى آخر فقرة فيه، ومن هذا المنطلق فالحديث السابق عن ألوان وفضح أكاذيبها، إنما يصبح مجرد تعمية ، وذر للرماد في العيون، وساتر من الدخان للتغطية علي الهدف الرئيسي.
رابعا: يأتي هذا الاعتراف من القائد الشيوعي بفرع هولندا، بان غرضهم هو "توجيه أتهام لبعض المتواجدين بمجال هولندا بفبركة وتسريب تلك المعلومات لهذه الصحيفة بهدف الآستفادة منها فى دعم قضية طلب اللجوء الخاصة بهم." تأكيدا لقراءتنا الأولى للبيان، والتي قلنا فيها :
<<وإذا كان من الغريب أن يكرس فرع الحزب الشيوعي السوداني بهولندا بيانا للرد على مقال تناول أساسا حركة حق ، وصدر في صحيفة معروفة بالكذب والإثارة والتلفيق في كل تاريخها وفى كل كلمة تنشرها ، فان العجب يزول عندما نقرأ في المقال التلميحات بعلاقة ما بين حركة حق ، والتي يدعوها البيان بتنظيم الخاتم ، وصحيفة ألوان سيئة الصيت . ثم يتابع البيان ليضيف إلى كذب ألوان أكاذيب جديدة تتعلق ببعض كوادر حق في هولندا ، في غرض واضح وهو تشويه واغتيال شخصياتهم ، وإحداث وقيعة بين بعضهم والسلطات الهولندية>>
خامسا: مع ذلك يجبن القائد الشيوعي عن الذهاب باستنتاجاته إلى آخرها، حيث يعمد الآن إلى العمومية، ويتحدث عن بعض المتواجدين بهولندا، مع أن بيانهم قد تحدث عن أعضاء حق بهولندا، وذكرهم بالاسماء، فهل الاتهام موجه لبعض المقيمين بهولندا، ام لأعضاء حق فيها، ولماذا انتهاج العمومية والتعمية، بعد أن اتهموهم من قبل، في بيانهم ذاك بصريح العبارة؟

ويواصل القيادي الشيوعي تصريحه ، فيقول :

<<ودليلنا على ذلك:->>

مرة أخرى تظهر الركاكة اللفظية ، فلا يعرف إلى ماذا ترجع جملة "دليلنا علي ذلك" ، هل للجملة السابقة، أم الجملتين معا، والذي جعلها في القيادي الشيوعي بنفس المقام في التصفيف. وعلي كل فإننا نهمل هذا، ونأتي إلى الأدلة "المزعومة"، فماذا يقول القيادي الشيوعي عنها:

<<*- قيام بعض من وردت إسمائهم ضمن هذه المعلومات المفبركة بالحصول على نسخة من الصحيفة وترجمتها وضمها الى ملفات للجوء الخاصة بهم رغم علمهم بعدم صحة هذه المعلومات، ولمن يريد التأكد يمكن الرجوع لوزارة العدل الهولندية>>

أولا: من أين علم القيادي الشيوعي ب"قيام بعض من وردت أسمائهم ضمن هذه المعلومات المفبركة بالحصول على نسخة من الصحيفة وترجمتها وضمها الى ملفات للجوء الخاصة"، وهل يعمل هو بوزارة العدل الهولندية، وهل لو كان يعمل بها، له حق الاستفادة من معلومات العمل، في الصراع السياسي ؟ وما علاقة فرع الحزب الشيوعي بهولندا، بوزارة العدل هناك، أم أن لهم "غواصة" فيها، لا يمكن أن يكشفوها، كما هو زعمهم عادة في التهرب من إثبات اتهاماتهم المريضة ومنعدمة الأدلة؟
ثانيا: أورد البيان أسماء ثلاثة من الأشخاص، هم الأخوان امجد إبراهيم سلمان وعبد الوهاب همت ومحمد عبد الرحمن، فمن منهم حسب القيادي الشيوعي قد قام بما يتهمهم به ؟
ثالثا: في نص البيان سيئ الصيت، وردت أسماء هؤلاء الأشخاص في سياق آخر تماما، وهو نفي علاقتهم بالحزب الشيوعي، ، ولم يتحدث قط عن ملفات لجوئهم، ليأتي الآن القيادي الشيوعي ويتهم (بعض) هؤلاء باتهامات جديدة، تاركا أكاذيبه القديمة عنهم التي افتضحت جانبا، وكل ذلك دون دليل إلا الزعم المبني علي أقواله، المبنية لمجهول.
رابعا: إشارة القيادي الشيوعي لمن يريد التأكد بإمكانية الرجوع إلى وزارة العدل الهولندية، إنما هي كذبة وفرية وحيلة واطية، ومحاولة لاكتساب مصداقية لا يملكها، حيث إن هولندا موقعة علي كل الاتفاقيات الأوربية بحماية البيانات الشخصية، ولا يمكن لوزارة العدل الهولندية أو غيرها من الوزارات، أن تكشف معلومات كهذه إلا لجهات الاختصاص،

وليس لكل من هب ودب، مما يفضح أكاذيب هذا القيادي الشيوعي حول مصدر معلوماته ومصدر معلومات فرعه.

ويواصل القيادي الشيوعي سلسلة "أدلته" فيقول:

<<*- مركز المعلومات المزعوم والذى تدعى الصحيفة انه مصدرها متخصص حول اشخاص محددين داخل كيان سياسى محدد.>>

أولا: كيف اثبت القيادي الشيوعي أن المركز مزعوما، ما دامت الصحيفة تنشر عنه الأخبار والتحليلات، وهي ممارسة ، حسب بيان فرع الحزب الشيوعي فرع هولندا ، قد تكررت اكثر من مرة.
ثانيا: هل للقيادي الشيوعي وقيادة فرعه، والتي أتت لاثبات مقولاتها بمقالة عائدة للعام ....1997، اطلاع يومي علي صحيفة الوان، لكيما يثبتوا إن هذا المركز "المزعوم" متخصص "حول أشخاص محددين داخل كيان سياسى محدد" ، أم انه الكلام يلقي علي عواهنه؟
ثالثا: هل التخصص يعني الحصر، أم الاهتمام المكثف ؟ بكلمات أخرى، هل يكتب المركز " المزعوم" حصرا حول اولئك الأشخاص المحددين، أم أن هذا المركز متخصص "حول" هؤلاء، ويكتب أيضا عن غيرهم ؟ وإذا كانت الإجابة الثانية هي الصحيحة، فكيف يفسر القيادي الشيوعي إن هذا المركز وصحيفة ألوان قد كتبت عن غيرهم، وكيف يشرح أن صحيفة ألوان قد كتبت آلاف المقالات عن قيادات الحزب الشيوعي السوداني، وهل ألوان متخصصة في الحزب الشيوعي أم لا، وإذا كانت متخصصة فيه، فهل هذا دليل علي أن قيادات الحزب الشيوعي تفبرك المعلومات وترسلها إليها ؟
رابعا: من هم هؤلاء الأشخاص المحددين، وما هو هذا الكيان السياسي المحدد، ولماذا التعمية والتهرب من جديد ، بعد أن تحدث البيان عن هذا الأمر بوضوح، ونسبهم لحركة حق؟

ويواصل القيادي الشيوعي فيقول:

<<*- مركز المعلومات المزعوم أُصيب بالخرس بعد بيان فرع الحزب !!!.>>

أولا: علي القيادي الشيوعي أن يثبت لنا ، أو يصرح علي الأقل، انه يقرأ صحيفة الوان يوميا، لكيما يكون لأقواله السابقة أي قيمة عند القارئ .
ثانيا: إذا اثبت أو صرح القيادي الشيوعي بأنه يقرأ الوان يوميا، وانه لم يقرأ فيها خبرا منسوبا لهذا المركز، واثبت بذلك ان هذا المركز المزعوم قد اصيب بالخرس، فهل من المحتمل أن إصابة هذا المركز بالخرس قد تعود لاسباب أخرى ، غير بيان فرع الحزب الشيوعي بهولندا؟
ثالثا: لم تصب حركة حق في هولندا بالخرس، وهي التي تتهموها تصريحا وتلميحا، بأنها تقف خلف ذلك المركز، والدليل أنها أصدرت بيانا مضادا لكم ، أثبتت فيه كذب بيانكم، وصبت عليكم ثقيل القول، وأوردت معلومات عن اتصالاتها بكم، وتهربكم منها، وهو بيان يبدو انه أصابكم بالخرس، حيث لم تردوا عليه حتى الآن، حسب علمي.
رابعا: إذا كانت بيانات فرعكم " الرهيب" تصيب المؤسسات الإنقاذية بالخرس، فلماذا لم تخرجوا البيان إلا في عام 2002، مع رصدكم لأكاذيب هذا المركز منذ سنوات، كما أتيتم في بيانكم بأمثلة من العام 1997، ولماذا لا تصدروا بيانا عن صحيفة ألوان نفسها، حتى تصاب بالخرس، وعن البشير وعلي عثمان ، حتى يصابا بالخرس، وعن وعن ...، الخ الخ

وبعد ان أورد القيادي الشيوعي بفرع الحزب الشيوعي السوداني بهولندا، المبني للمجهول، أدلته "الدامغة" ، التي "لا تخر منها المية "، انتقل للدفاع عن ما افتضح من أكاذيبهم، هذه الأكاذيب التي دحضتها صور شهادات تخرج الأخ عبد الوهاب همت المصورة، وبيان فرع الحزب الشيوعي في بولندا بخصوص عضوية الأخ امجد إبراهيم فيه لمدة 6 سنوات، وبيان حركة حق والذي أوضح عضوية الأخ محمد عبد الرحمن فيها، الخ الخ ، فماذا قال :

<<بخصوص ما ورد حول عضوية السيد امجد ابراهيم بالحزب فالمعلومات التى كانت متوفرة للفرع حتى اصدار البيان بانه مرشح بفرع بولندا وهذه المعلومات جمعت خلال فترة تجميع وبناء الفرع من شيوعيين وديمقراطيين و أصدقاء للحزب، وعلى العموم لا فرق بين عضو الحزب ومرشحه واصدقائه والمتعاطفين معه لدى الاجهزة الامنية السودانية .>>

اولا: المعلومات الصحيحة كانت متوفرة لفرع الحزب الشيوعي بهولندا قبل إصدار البيان، ولكنهم مع ذلك قد كذبوا، وعندنا هنا شهادة الأخ امجد حينما اتصلوا به يطلبوا منه العودة للحزب، باعتباره عضو سابق، وليس مرشح، وهي واقعة لم ينفوها.
ثانيا: لماذا لم يصدر فرع هولندا تصحيحا لموقفه، طالما اتضح له كذب وخطأ معلومته الأولى التي أوردها في بيانه سيئ الصيت ذاك؟
ثالثا: ليس عضو الحزب كالمرشح كالصديق كالمتعاطف، ولقد كان هم البيان الكاذب نفي عضوية الأخ امجد إبراهيم في الحزب الشيوعي، ولذلك أنزله إلى درجة مرشح ، مع انه كان عضوا كامل العضوية ، بل عضوا قياديا بفرع بولندا، حيث كان مسؤولا عن مالية ذلك الفرع لسنوات عدة، و ها هو العضو القيادي يقول انه لا فرق بين العضو والمرشح الخ الخ ، فلماذا أصدرتم بيانكم أوردتم فيه تلك المعلومة إذن، ما دام لا فرق بين عضو الحزب والمرشح والمتعاطف والصديق و"الزول الماشي في الشارع "؟
رابعا: ما دخل الأجهزة الأمنية بكل هذا، ومن يخدم الأجهزة الأمنية هنا، أليس هو من يأتي بأسماء الناس مثلثة، ويحكي سيرة حياتهم – وفق زعمه-، بينما يختبئ هو، ولا يعلن اسمه، ويبني نسبه للمجهول ؟

ويقول القيادي الشيوعي الذي أراد أن يكون نكرة، وحق له ذلك، طالما كانت كل أجهزة حزبه تتعامل بأسلوب التخفي والتهرب من المسؤولية عن الكلمة والموقف:

<<وحول ما ورد عن السيد عبد الوهاب همت ما كان يجب ان ينزلق البيان لتناول قضايا شخصية او اكاديمية للفراد.>>

أولا: ما كان يجب أن ينزلق كاتبي البيان إلى كتابة هذا البيان كله، الممتلئ بالكذب والاتهامات من غير الدليل والتحريض والدسيسة والمؤامرة.
ثانيا: من طبع الشيوعيين في صراعاتهم الانزلاق إلى قضايا شخصية أو أكاديمية، مما هو معروف عنهم من أساليب اغتيال الشخصية، بحيث يخرجوا لك "أخطاء" الابتدائي، وفي ذلك فان بيان فرع هولندا ليس استثناء، و إنما هو جزء من القاعدة العامة في ذلك الحزب.

ثالثا: لم ينزلق البيان لتناول قضايا شخصية وأكاديمية فقط، و إنما كذب حول الرجل مرتين: الأولى عندما نفي عضويته السابقة في الحزب الشيوعي، والتي عليها شهود احياء، والثانية عندما زعم بأنه لم يكمل دراسته، الأمر الذي أثبتت خطله وجود وثائق تخرجه، والتي صورت ونشرت في ملحق لبيان حركة حق.
رابعا: بدلا من الاعتراف بالخطأ والتراجع عنه، يعمد القيادي الشيوعي المجهول للحديث عما يجب وما لا يجب، ويتهرب عن واقعة الكذب الصريح ، وضرورة تصحيح هذا الكذب والتجني، ببيان مماثل من نفس الهيئة التي بدأت بالكذب ونشرته وعممته.

ثم يجد القيادي الشيوعي في نفسه من الصفاقة، والبجاحة، والإصرار علي الخطأ، والصلف، وتبلد الإحساس وموت الشعور وتخانة الجلد، ما يجعله يقول:

<<ولكن اليس من المفارقات ان الحزب الذى تصدى لصحيفة الوان وفضح اكاذيبها وأوقف تسريب المعلومات لها مدان لدى البعض . والمتهمين بتسريب معلومات مفبركة لصحيفة النظام هم الضحايا ؟!...>>
إن القيادي الشيوعي في فرع هولندا، هذا الدون كيشوت الجديد، والذي يتحدث مرة عن أكاذيب، ومرة عن تسريب معلومات، وهما أمران جد مختلفان، قد صدق كذبه الصفيق، واحتيالاته المتبجحة، حول أن هدف البيان هو جريدة كشف جريدة ألوان، وليس التهجم علي أعضاء تنظيم وطني مناضل، هو حركة القوي الديمقراطية الجديدة (حق)، ذكرهم بالأسماء، وكذب في حق ثلاثة منهم ، وافتضح كذبه في حقهم بالوثائق الدامغة، ليأتي الآن ولا يعتذر عما اتضح من كذب بيانه، و إنما ليتهمهم باتهامات جديدة عارية من الصحة، ويطلب منا بعد هذا أن نتضامن معه ولا ندينه.
لقد قلنا اكثر من مرة من قبل، إن مؤسسات الحزب الشيوعي السوداني، ترمي الناس بالإفك، وتتهمهم بعظيم الأمور، دون دليل، وقد تفننت و"تخصصت" في اتهام الناس بالخيانة والعمالة للأمن، هذا الذي يكتشفوا له - علي حد قولهم – عميلا لهم وسط ارفع قياداتهم ، كل بضعة اشهر. وفي كل ذلك يعتمدوا علي بيانات ركيكة، وأقاويل لا يسندها دليل من حقائق أو منطق، لا يعرف من هو كاتبها، حتى إذا ما أشار إليهم أحد بسوء ما يفعلوا، حاولوا أن يمثلوا صورة الضحية، وان يصوروا ضحاياهم والمعترضين عليهم كذئاب كاسرة.

إن تصريح القيادي الشيوعي في فرع الحزب الشيوعي السوداني في هولندا، لا يخرج عن هذا الخط، وعن هذه الممارسات البشعة، والتي آن أوان إيقافها، و إدانتها، ومحاربتها. إن الطيور علي أشكالها تقع، وقد وافق شن طبقه هنا، وقد اثبت هذا القيادي الشيوعي المجهول، انه احسن من يعبر عن قيادة فرعه، ممن اصدروا مثل ذلك البيان المغرض الكاذب الركيك، وبذلك فان رده لا يلقي منا، تماما كالبيان الكاذب الذي يدافع عنه، إلا الإدانة والرفض والاحتقار .

لهذا كله، فإنني اجدد مرة أخرى مطالبتي التي رفعتها من قبل، والتي قلت فيها:

<<انني من هذا المنطلق أدعو فرع الحزب الشيوعي في هولندا ، إلى تصحيح ما ورد بالبيان المذكور ، والاعتذار إلى الأشخاص المذكورين فيه ، والى حركة حق والرأي العام السوداني .وأخص في دعوتي هذه العناصر التالية من أعضاء وكوادر وقادة الحزب الشيوعي السوداني فرع هولندا السادة : خالد الطاهر ، مكي الدخري ، عبد الوهاب محمد على آدم ، محمد عبد الحميد ، عثمان حامد ، خضر عبد الغفور ، محمد مضوي ، ناصر عمر ناصر .كما احمل كل عضوية فرع هولندا للحزب الشيوعي السوداني مسؤولية الأكاذيب الواردة في هذا البيان ، حتى تعلن رأيها الرافض له . وكذلك أطالب قيادة الخارج للحزب الشيوعي السوداني ، وأخص منهم السادة : محمد مراد الحاج ، الشفيع خضر سعيد ، خالد حسن التوم ، التجاني الطيب بابكر ، والسكرتارية المركزية للحزب ، وكل عضويته وكوادره ، للتدخل وتوضيح الحقائق وإدانة ممارسة لا تستقيم مع ما يعلنون من وقوف في الصف الوطني ورغبة في مراجعة الممارسات السلبية في تقاليد الحزب الشيوعي السوداني ضد المختلفين عنه في الرأي والخارجين من صفوفه.>>

عادل محمد عبد العاطي
1 فبراير 2004

هل يقتل ستالينيو الحزب الشيوعي الخاتم عدلان بعد موته؟

"الستالينيون سيقتلوننا"

الخاتم عدلان

مدخل:

كانت فكرة هذا المقال تختمر في ذهني منذ ايام، وانا اتابع المسعي الحثيث لستالينيي الحزب الشيوعي السوداني لاغتيال الخاتم عدلان بعد موته، يمارس عبر اليات مختلفة. وقد قررت ان اعطي نفسا والناس وقتا للحزن، حتي يتم دفن رفات الفقيد الكبير، ثم ارجع للموضوع من بعد، وكذلك لكيما يتبين لي الخيط الابيض من الاسود، وحتي اكون علي بينة من الامر، فربما هي حساسية فائقة عندى تجاه هؤلاء، وربما هو من وسوسات النفس الامارة بالسوء.

في خلال ذلك صُدِمت وصُدِم الجميع، بممارسة النظام البربرية في اختطاف جثمان الخاتم عدلان، والذي اثبت انهم يهابوا الخاتم حيا وميتا، وانهم يعيشوا في رعب عظيم ، وللوهلة الاولي فكرت ان اترك هذا الموضوع، واركز علي فضح ممارسات النظام، وخصوصا البواعث النفسية والسياسية التي تقف وراء تلك الفعلة البشعة، وبدات في تجهيز عُدتي لذلك، قبل ان تاتيني اخبار جديدة غيرت كل الموازين.

اقول الان اني قد وصلت لقناعة راسخة ان ما رايته في الايام الاولي بعد موت الخاتم في غباش، انما هو حقيقة واقعة، ووصلت لقناعة ان فضح محاولة سرقة الخاتم معنويا، ومحاولة اذلاله بعد موته، وهما الآليتان التان يمارس بهما ستالينيو الحزب الشيوعي محاولة اغتيال الخاتم عدلان بعد رحيله، هو اهم من فضح ممارسة الانقاذ المفضوحة، فهؤلاء الانقاذيون في رعبهم خطفوا الجثمان الميت، وفضحوا انفسهم، وابانوا كم ان الخاتم حي في

الناس، واولئك الستالينيون يريدوا ان يخطفوا الروح والقيمة الحية، فيما سيكون الموت الثاني او قل القتل الحقيقي للخاتم عدلان، اذا ما كتب لهذا المخطط الشرير النجاح.

من هم ستالينيو الحزب الشيوعي:

هم اناس اغلقوا الاقفال علي عقولهم، وعبدوا النصوص والاوهام والاصنام، متحجرين كالغرانيت، انتهازيين ومائعين كالزئبق، يتخذوا لكل موقف مسوحا، بما يوافق هوى اصنامهم البشرية، من القيادات الابدية .. قد استعبدوا انفسهم لرجال مثلهم، وهبطوا من كرامة البشرية وتفرد الانسان الي انحطاط الحيوانية وحياة قطيع الضان، وحقت عليهم اذن مقولة لينين: ان العبد الذي يجد نفسه في العبودية، لا تثريب عليه، ولكن العبد الذي يدافع عن عبوديته، ولا يتمرد عليها، فهو من يستحق الاحتقار.

قال عنهم حسن تاج السر، عضو سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني، وهو يصفهم ويصف الحزب الذي سيطروا عليه، فيما نقله عنه التجاني الطيب بابكر، التالي:

(الزميل حسن تاج السر، وهو عضو سكرتارية اللجنة المركزية منذ إعادة هيكلة العمل القيادي في النصف الثاني من عام 1971 يصف الحالة في حزبنا في ظل ما أسماه الستالينية علي النحو التالي: عقيدة ايمانية .. عبادة فرد .. شخصنة الحزب في سكرتيره العام .. تفشي الكسل الذهني بين مثقفيه .. معاداة المبادرة .. سيادة أساليب الهيمنة والتشرذم والفتك بالخصوم وتدميرهم عن طريق تشويه السمعة وفبركة التهم .. وتسريب الاختلاقات والأقاويل عن القادة الغير مرغوب فيهم للحط من شأنهم وقتل شخصياتهم ... والإنتشاء باخبار السقوط والإرتداد والإبعاد من القيادة .. افتقاد الحق والعدل داخل الحزب .. وأصبحت القيادة نهباً للكذب والتآمر، وتحول الحزب الي قطيع مسلوب الارادة وانطمست معالم الحزب كمؤسسة ديمقراطية.) - "التجاني الطيب بابكر، مجلة قضايا سودانية، العدد الثاني والعشرون، ديسمبر 1999، صفحة 1"

وقد اكد ما جاء عن ستالينية الحزب الشيوعي، الاستاذ النقابي عرمان محمد احمد، وذلك في مقاله: **استالينية الحزب الشيوعي السوداني والالفية الجديدة** التالي:

((والحق ان الأوصاف التي وصف بها الرفيق (حسن تاج السر) عضو سكرتارية اللجنة المركزية حزبه هي عين الصواب، وتعبر أحسن تعبير عن واقع الحال داخل هذا الحزب الإستاليني السري، الذي يعرفه كل الأذكياء من أهل السودان، بل ان تدمير الخصوم عن طريق تشويه السمعة وفبركة التهم، والحط من شأن القادة غير المرغوب فيهم، وقتل شخصياتهم الخ .. هي ما صار يسميه الرفاق الآن بـ(النضال اليومي) وربما لايدري هؤلاء (المناضلون السريون) ان افعالهم الشنيعة هذه تدخل في دائرة الجرائم الجنائية، وتشكل انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان)).. "عرمان محمد احمد: ستالينية الحزب الشيوعي السوداني والالفية الجديدة، لندن، نوفمبر 1999"

هل ساهم الستالينيون في موت الخاتم:

اى نعم، اقول هذا ولا اخشاه، واضع صوتي مع صوت الدكتور ابراهيم الكرسني، والذي كتب عنهم، واصفا لهم بالموظفين، وما هم موظفين، فالموظف له اخلاق مهنة، ويخضع للوائح وقانون، ويعمل في الغالب لمصلحة العموم، وانما هؤلاء عبدة للبشر، وعبيد لهم، قد استرقوا انفسهم ولم يحترموها، فلا سبيل لان نحترمهم، التالي:

((باعدامهم للشهيد محمود تمكن الاخوان (المسلمون) من الخلاص من أحد طرفى "الكماشة" التى تمسك بتلابيبهم ولم يتبقى لهم سوى القضاء على الطرف الآخر الممثل فى الخاتم عدلان. لم يفلح الاخوان فى تصفية الخاتم جسديا, كما فى حالة الأستاذ محمود, لكن, ولحسن حظهم وجدوا من يقوم بتنفيذ هذه المهمة نيابة عنهم, سواء كان ذلك بوعى منهم أو بدونه.

ان الحملة الشعواء التى شنها بعض "موظفى" التنظيمات السياسية ,وليس "مفكريها", بهدف اغتيال شخصيته, والمقاطعة الاجتماعية الشاملة التى فرضها عليه, وللأسف, من كانوا حتى الأمس القريب أعز أصفيائه, ثم بدأوا فى ذرف دموع التماسيح بعد رحيله الفاجع, كانت, على ما أعتقد, هى السبب المباشر فى اصابة الخاتم بمرض السرطان اللعين, حيث أنه يمتلك شخصية غاية فى الرقة والعذوبة طغت عليها شخصيته التى تميزت بالصلابة والصمود فى وجه جلاديه. و لطالما تألم الشهيد على مثل هذه التصرفات الصبيانية ليس على مدى وقعها عليه وانما شفقة ورثاءا على أمثال هؤلاء القوم!!)) "د. إبراهيم الكرسني، الخاتم عدلان: رحيل رجل في قامة وطن، 24 ابريل 2005"

وقد رصد العديدون هذه الحملة لاغتيال شخصية الخاتم عدلان، والتي امتدت لسنوات، فكتب عنها الاستاذ احمد امين:

((فى منتصف التسعينات عندما أعلن الخاتم رأيه فى الخط السياسي للحزب الشيوعى من خلال المناقشات التى بادر بها فى دراسته "آن آوان التغير" وبعد قنوطه ويأسه من التغير من داخل المؤسسة الحزبيه واعلانه منظمة سياسية جديدة بأستقالته من الحزب الشيوعى السودانى، لكن كلعنة كل الايدولجيات ومعتنقيها كانت رؤية التسامح وأتساع الصدر الفكرى آخر منظومة أخلاقيه فكريه ينتبه لها ذلك الزمان، لكنه واجه العزله الاجتماعيه التى فرضها عليه رفاق الأمس بشجاعه منقطعة النظير فى عتمة وقساوة المنفى، لكنه صبر لأنه كان يثق فى صحة رؤيته وتصوره.)) "أحمد امين، رثاءللخاتم عدلان نشر بمنبر الحوار بموقع سودانيزاونلاين.كوم، ابريل 2005<<

اما الخاتم نفسه فقد رصد الامر، بما عرف عنه من وضوح وصراحة ومبدئية، حين قال في لقاء صحفي، ردا علي سؤال حول علاقته الاجتماعية بالشيوعيين:

((علاقتي الشخصية اتصور انها ممتازة لا اخلط مطلقا بين الشيئين السياسي والاجتماعي لذلك تجدني اذهب للشيوعيين في العزاء .. كما اذهب اليهم في الافراح وابادر بالتقاط خيوط الصداقة وخيوط الود ، عندما تتراضي وهذا واضح في تصرفاتي معهم.

ولكن العكس ليس صحيحا فعندما خرجت حاول كثير من الشيوعيين ، بتشجيع من القيادة .. اغتيال شخصيتي .. وهذه واحدة من الممارسات التي كان يمارسها الحزب الشيوعي للاسف واصبح عاجزا عنها يعني هو حتي لو تخلي عنها فسيكون تخلي العاجز اسلوب اصبح لايفيد كثيرا ولكنهم علي كل حال حاولوا اغتيالي معنويا . ولاكون دقيقا فان فئات منهم حاولت ذلك وهذا ايضا بدوافع البرنويا ودوافع المقولة اللينينية ان الشيوعي اذا سقط يسقط عموديا وهذا هراء محض كانما الحزب الشيوعي هو الأرضية الوحيدة الطاهرة لاداء فرائض السياسة ولكنهم لم ينتبهوا الي ان ارض السودان - ايضا - واسعة وانتماءات السودان واسعة ، ويمكن ان تكون وطنيا .. وان تكون تقدميا وان تناضل من اجل العدالة من خارج الحزب الشيوعي)) "الخاتم عدلان، لقاءصحفي مع جريدة اخبار اليوم، 2004"

الستالينيون ومحاولة اغتيال الخاتم بعد موته:

في شهادة للصحفي الاستاذ ابوبكر الامين، قال ان الخاتم قد قال له: "الستالينيون سيقتلونا"، وربما قصد الخاتم حينها الموت الحسي، وظن انهم غير قادرين علي القتل المعنوي او اغتيال الشخصية، ولكن لا اظن انه تصور ان تتم محاولة الاغتيال، بعد ان يموت الانسان.

لم تمض ايام قليلة علي رحيل الخاتم عدلان بجسده عن دنيانا، حتي اتضحت لنا ابعاد المحاولة الكبيرة لستالينيي الحزب الشيوعي، في اكمال مسلسل الاغتيال المعنوى للخاتم عدلان بعد موته، بعد ان فشلوا في ذلك في حياته.

وحقيقة انه علي رغم معرفتنا بمقدار السوء والانحطاط الكامن في ستالينيي الحزب الشيوعي، واجرام اساليبهم السياسية في العمل، الا اننا ما كنا نتصور انها ستصل الي هذا الحد، وانهم بعد ان ساهموا في استقحال "غباين" الرجل حيا، وكانوا من مسببات موته المبكر، كما يقول د. الكرسني، فانهم سيواصلوا مسعاهم لقتله بالكامل بعد موته.

وقد قلنا ان محاولة اغتيال الخاتم تمارس عبر آليتين رئيسيتين، وهي التبخيس من قدره ومحاولة اذلاله، والثانية هي محاولة سرقة تراثه ونضاله، وجبره لصالح الحزب الشيوعي، وهما آليتان تعملان في تناغم، رغم التناقض الظاهري بينهما.

في السطور التالية، نقدم قراءة جد اولية، لذينك الآليتين، عسى ان نرجع لهما بتفصيل اكبر في المستقبل، وحالما نستطيع ان نحيط بما لا يمكن تصديقه من الوهلة الاولي، من ممارسات ستالينيي الحزب الشيوعي السوداني.

الآلية الاولي: التبخيس ومحاولة الاذلال:

فالالية الاولي للاغتيال، والقائمة علي التبخيس ومحاولة الاذلال، تمثلت في رفض قيادة الحزب الشيوعي المركزية، ممثلة في اللجنة المركزية، او سكرتارية اللجنة المركزية، او السكرتير العام للحزب – والذي قال انه ليس سكرتيرا عاما، وانما هو لقب الصق به زورا- ، محمد ابراهيم نقد، او التجاني الطيب بابكر، اهم قيادي لهم في الخارج، اصدار بيان نعي للخاتم عدلان، وذلك بعد مرور 5 ايام علي وفاته، وفي وقت اصدرت فيه معظم القوى السياسية والاجتماعية، بيانات تنعي فيها الخاتم، وتتحدث عن دوره الوطني وعن الخسارة الفادحة للصف الوطني بفقده، وذلك في اليوم الاول او الثاني لرحيله.

هذا الامر ليس غريبا علي ستالينيي الحزب الشيوعي، فهم كآل بوربون، لا ينسوا شيئا ولا يتعلموا شيئا ولا يغفروا شيئا، ومن قبل اسقطوا سيرة رجال عظام من تاريخ حزبهم، بل وصفوهم باقذع الالفاظ، لانهم اختلفوا معهم، اذكر منهم عبد الوهاب زين العابدين وعوض عبد الرازق، اول سكرتيرين لحزبهما، ومحمد السيد سليمان والحاج عبد الرحمن، القياديان العماليان الفذان، ولم تنع جريدتهم الميدان المرحوم عمر مصطفي المكي، والذي كان رئيسا لتحريرها لسنوات، الخ الخ من امثلة الجحود ونكران الجميل والخصومة الفاجرة.

وقد يقول البعض ان محمد ابراهيم نقد كان في استقبال جثمان الخاتم في مطار الخرطوم، ونقول ان هذا هو من قبيل دموع التماسيح التي تحدث عنها دكتور الكرسني، وهو من قبيل ذر الرماد في العيون، اذ هل اسهل –نظريا - اصدار بيان او تصريح صحفي ينعي الخاتم من قبل سكرتير الشيوعيين، ام الذهاب للمطار ؟ لكن الذهاب للمطار ورهقه وذرف دموع التماسيح لا يكلف شيئا في الحقيقة، بل هو يُكسِب التعاطف، اما البيان فهو وثيقة تاريخية، وهو في حالة الشيوعيين يفترض منهم الاعتراف بحقائق مرة، في حقيقة تعاملهم مع الخاتم، وفي الاعتراف بدوره الوطني والثوري والفكري، ولذا يهربوا منها الي دموع التماسيح.

اما تلك المؤسسات الاقل قيمة من مؤسسات الشيوعيين، والتي نعت الخاتم، ونعني بها فرع الحزب الشيوعي السوداني في المملكة المتحدة، وفرع ذلك الحزب في هولندا، والحزب الشيوعي بالعاصمة القومية، فانها قد حاولت جميعها تبخيس قدره، حين رفضت كلها ان تلحق باسمه لقبه وموقعه السياسي الذي شغله في السنوات العشر الاخيرة، وحتي لحظة موته، وهو رئيس اللجنة التنفيذية لحركة القوى الديمقراطية الجديدة "حق"، ورفضها كلها ان تعزي رفاقه في تلك الحركة التي بناها وسط صعوبات جمة، وبذل لها خلاصة فكره ونشاطه، في حين ان الاغلبية الساحقة من القوى الاخري والشخصيات التي نعته، قد اشارت الي موقعه ذاك، وعزّت رفاقه في حركة حق، والذين كانوا معه طوال السنين السابقة، وحتى آخر لحظات في سرير الموت.

أننا لا نستغرب اطلاقا محاولات التهميش والتبخيس التي يمارسها ستالينيو الحزب الشيوعي، تجاه حركة حق، والتي يظنوا انها تهدد مواقع حزبهم المتهاوي، وكيف نستغرب وهم الذين تآمروا عليها مع الطائفية المهترئة، ليبعدوها من ساحات النضال الوطني، وليضربوا العزلة عليها، عندما رفضوا دون سبب عضويتها في التجمع الوطني، وليقصقصوا اجنحتها ويعتقلوا علاقاتها الدولية، وليسعوا وسط عضويتها بالتحبيط وزرع الانقسام والتغويص وغيرها من الممارسات المخزية التي يندى لها الجبين.

الا اننا نستغرب ان يكون هؤلاءالستالينيون من الصلف والجرأة علي الحق، بان يحاولوا مغالطة الحقائق التاريخية التي يعرفها اليوم كل طفل، وهي ان الخاتم قد ترك حزبهم المتهالك لعقد من الزمان مضي، وانه كان قائدا مؤسسا لحركة "حق"، ورئيسا

للجنتها التنفيذية، فيما اسقطوه في بياناتهم، وكانهم يمكن ان يطفئوا نور الحقيقة بكلماتهم او عدمها، وكان الشعب يعيش في كوريا الشمالية او كوبا، محروم من المعلومة وامكانية المعرفة، ولا يمكن له ان يصلها الا عبر دعاية حزبهم العضير.

الالية الثانية، سرقة فكر الخاتم وتجبيره للحزب الشيوعي:

اما الالية الثانية فتتمثل في محاولة سرقة تراث وفكر الخاتم عدلان، ومحاولة تجبيره لصالح الحزب الشيوعي فاقد الاتجاه والفكر، في ممارسة اقل ما يقال عنها انها سافلة، وذلك في حق رجل اعلن بكل وضوح طلاقه مع كل منهجهم الستاليني، وطرح اطروحات هي بالضد من كل ممارساتهم وخطابهم، ولم يكف عن نقد ايدلوجياتهم المتكلسة، وممارساتهم السياسية القاصرة واليمينية والمدمرة، طوال ال11 سنة الاخيرة من حياته، او اكثر.

انظر الي بيان هولندا يقول عن الخاتم:

"بحزن بالغ واسى عظيم ينعى الحزب الشيوعى السودانى فرع هولندا الأستاذ الخاتم عدلان الذى انتقل الى الرفيق الأعلى فى وقت كان فيه شعبنا احوج مايكون لأمثاله من الذين نزروا حياتهم له..

نتقدم باحر التعازى لأسرته واهله واصدقاؤه وكل الذين سيفتقدون الخاتم انسانآ عزباً جسوراً ثاقب الذهن ومناضلاً

لم تلن له قناة حتى آخر يوم فى حياته. ان الدور البارز والمهم الذى مثله الخاتم فى حياة حزبنا وشعبنا سيظل نبراسآ ومفخر لنا".

ان هذا البيان البائس الذي يغمط الخاتم حقه وموقعه، ولا يشير البته الي تجربته في حق، ولا الي الصراع الضاري الذي خاضه ضد منهج حزبهم، مصاغ بعناية لاعطاء الانطباع ان دور الخاتم المهم في حياة حزبهم والشعب السوداني متطابق، وتهميش الخلاف – بعدم ذكره-، حتي يظهر وكأن الخاتم لم يختلف مع حزبهم، ويمارسوا في النهاية

المراءاة والتزلف دون ان يحددوا هل نقده الجارف للحال في حزبهم، والمعلن في "آن اوان التغيير "وغيرها، هو ايضا نبراس لهم ام لا ، وماذا سيفعلوا بهذا النقد، اسيقبلوه ويصبحوا من "جناح الخاتم"، ام انها مجرد الرغبة في سرقة الرجل وفكره واثره الجارف علي الحياة الثقافية السودانية.

اما بيان الحزب الشيوعي بالمملكة المتحدة، فهو ايضا لا يذكر تجربة "حق" بتاتا في حياة الخاتم، ويغمطه حقه في ذكر موقعه الذي قضي وهو يقوم بواجباته، ولكن مع ذلك يذكر فقرة طويلة عن دوره في حزبهم الستاليني، ثم يعرج الي بقائه في معسكر اليسار التقدمي، ثم عمله من اجل السلام والتقدم الاجتماعي، ثم حديث عاطفي طويل عن صبر الخاتم وجلده، دون ان يقولوا علي ماذا صبر الخاتم، الم يصبر علي اذاهم وكيدهم ؟ ثم انهوا البيان بالشكر له بعبارات قادمة من قاموس المراثي الشيوعي، حتي يخرج القارئ غير المتابع بوهم ان الرجل قد كان منهم، او انه علي الاقل لم يبعد عنهم الا قليلا ..

اما بيان الحزب الشيوعي بالعاصمة القومية، فهو بعد اسقاطه تماما لحركة "حق" ولموقع الخاتم فيها، يصوره بعبارات من الجارقون الشيوعي، مناضلا من اجل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وقد كان، ولكن بمفهوم مختلف حقا عن مفهوم حزبهم، والذي لا تربطه صلة في الواقع بالديمقراطية ولا النضال من اجلها، والذي اساء كثيرا الي فكرة العدالة الاجتماعية.

واذا كان هذا ما قيل رسميا، فقد طفحت في الكتابات الفردية للستاليينيين من اعضاء الحزب الشيوعي نفس النبرات التي ظهرت في بيانات هيئاتهم: اى محاولة المماهاة ما بين الخاتم والحزب الشيوعي، بما في ذلك استعادة اسماؤه الحركية التي كف عن استعمالها منذ استقال من حزبهم، وعبر اعلان انتماؤهم لخطه التجديدي، او انتماؤه لحزبهم "الحقيقي"، بل لقد بلغت الصفاقة ببعضهم حد ان يحاسبوه علي خروجه من حزبهم الجهنمي، وان ينهوا كتاباتهم بما يشبه تقديم الغفران له، علي ذلك الجرم الشنيع.

هذا كله دفع بعض هؤلاء الستاليينيون، الي تقديم اقتراح بتاسيس "مركز الخاتم عدلان للدراسات والبحوث "، ولِمن قدموا هذا الاقتراح، هل لاسرة الخاتم ام لرفاقه في حركة

حق ؟؟ كلا بل لانفسهم، وبدوا في السير حثيثا لتاسيس هذا المركز الذي سيقوم علي التزييف وسرقة اسم الرجل، فمالهم هم ومال تراث الخاتم وفكره، اما كان الاحري بهم، ان يقيموا مركز عبد الخالق محجوب للدراسات والبحوث، هذا الشهيد الذي يخفي سكرتيرهم العام وصيته السياسية الاخيرة، والتي طالب الخاتم بكشفها، وصمتوا هم وكأن علي رؤوسهم الطير، او ان ينشئوا مركز الشفيع احمد الشيخ للدراسات العمالية، او مركز قاسم امين للتدريب النقابي ، الخ الخ ، لا ..لن يفعلوا اي من ذلك، بل سيحاولوا سرقة اسم الخاتم وتراثه، والاستيلاء عليها، كما فعلوا بمنظمات حقوق الانسان ومنظمات المجتمع المدني المختلفة، والتي دمروها وحرفوها عن مهامها.

لقد رد الاستاذ بشري الفاضل – بلطف شديد – علي محاولات الاختطاف هذه، لاسم وتراث الخاتم، تمارس بليل وعلي عجل وقبل ان يواري جسده التراب، من قبل نفس من حاربوه في الامس القريب، وفي وقت مشغولة فيه اسرته ورفاقه بقضية ترحيل جثمانه ودفنه والبكاء عليه، فكتب لهؤلاء:

"فكرة مركز البحوث باسم الخاتم فكرة رائعة طبعاً لكن يجب التاني في طرحها عسى أن تنقضي فترة سخونة الوجع ويتكلم فيها رفقاء دربه ومريدوه بتخطيط رصين يليق بمقامه فلتقم بكتابة تفاصيل اوفى حول المشروع ومصادر تمويله وأهدافه وتقدمه بعد شهور من الآن لجهات عديدة لها صلة بالخاتم وجهات على امتداد الوطن مع جلب دعم خارجي للمشروع وتوطينه في ارض الوطن الديمقراطي"

الخاتم اكبر من الموت واقوى من التزييف:

يطرح السؤال نفسه، لماذا يعمد ستالينيو الحزب الشيوعي، الي محاولة هذا الاغتيال المفضوح للخاتم بعد موته، والكثيرون يعرفوا تراث الخاتم وهو تراث مسجل ومحفوظ، للعشرة سنوات الاخيرة علي الاقل ، منذ ترك صفوف حزبهم، وليس هو شيئا مجهولا كوصية عبد الخالق محجوب السياسية الاخيرة، والتي تخفيها قيادتهم عنهم وعن الشعب.

نقول ان هناك سببان، ذاتي وموضوعي، اذا استعرنا مصطلحات الماركسيين. اما السبب الذاتي فيمكن البحث عنه في انثربيولوجيا الثقافة، والتي تتيح امكانيات واسعة لفهم الشخصية ذات التكوين الستاليني، او قل شخصية الانسان ذو البعد الواحد، او الشخصية التابعة والمنغلقة عابدة الطوطم والاصنام.

فمما لا ريب فيه ان الخاتم عدلان في حياته قد حقق انتصارا فكريا ساحقا علي هؤلاء الستالينيين، والذين لم يغفروا له ذلك مطلقا. ورغم انهم قد نجحوا في تحجيم حركته سياسيا، بالتحالف مع كل القوى القديمة، الا ان الخاتم بجهده الفردي قد ارتفع وتسامي حتي كاد ان يتحول قائدا وطنيا جديدا، مثله مثل علي عبد اللطيف، ولا ريب ان الستالينيين قد اندهشوا لحجم الحزن والصدمة الذي شمل الاجيال الجديدة لموت الخاتم، والذي كان اوسع بكثير من مجال تاثير حركة "حق"، ولذلك فانهم مثلهم مثل بعض البدائيين الذين كانوا ياكلوا قلوب اعدائهم القتلي الشجعان، حتي يكتسبوا شجاعتهم ويرثوها، قد عمدوا الي محاولة سرقة روح الخاتم وسيرته واختطافها وابتلاعها، عسي ان يكتسبوا بعض القوة من لحم ودم وفكر ذلك المحارب الذي قضى، وهيهات.

اما من الناحية الموضوعية، فان الحزب الشيوعي يعاني من افلاس فكري حاد، ومن فقدان اتجاه بعد ان حار به الدليل، سقطت مرجعيته في موسكو ولم يكتسب مرجعية سودانية ديمقراطية، لان قادته من التيار اليميني المهزومين قد اقعد بهم التردد، وجرفتهم مناهج التسوية، وفقدوا ثقتهم في الشعب، وفقد الشعب الثقة فيهم، فلماذا لا يسرقوا جهد الرجل وينتحلوه، ولماذا لا يسطوا علي افكاره ويخرجوا بها من ازمتهم، ألم يكن لينين من قبل ينتحل افكار غيره، ام ألم يكن ستالين يسرق افكار غيره ونصوصها، ثم ينسبها لنفسه؟

ان ستالينيو الحزب الشيوعي يعتمدوا في خططهم الشريرة هذه، علي الطيبة التي يتمتع بها الشعب السوداني، وميله للمصالحة والتسامح، وعلي ضعف الذاكرة التاريخية في السودان، وعلي حالة التشتت التي تعاني وستعاني منها حركة حق واسرة الخاتم، بعد ذلك الفقد العظيم، وعلي حقيقة ان حق قد انهكت كثيرا في ذلك الصراع الذي شن ضدها، والذي كان الخاتم درعه الاول، ولذلك فان كوادرها ستكون اقرب الي روح المصالحة، بعد تيتمها في الخاتم، وستحاول ان تتعايش مع الستالينيين باسؤا الاحوال،

ولذلك فانهم لن يقاوموا كثيرا جريمة سرقة الخاتم، وخصوصا ان اغلبهم يتمتع باخلاق رفيعة وطيبة سودانية لا تجدى في مواجهة الستالينين، الذين يقتلونك اذا لم ينتصروا عليك، ثم بعد ذاك يسرقوك.

الا ان مخطط الستالينيون مع ذلك مفض الي فشل كبير، وذلك ليس فقط لان بذرة الخاتم قد زرعت في القلوب، ولا لأن الف خاتم سيجئ لكيما يواصل الدرب، وليس لان تراث الخاتم وتاريخه مسجل ومعروف، وكذلك تاريخهم، الامر الذي سيصعب عليهم عملية الاغتيال الجديدة هذه، ولكن لان افكار الخاتم ونهجه وسيرته، لهي اكبر بملايين المرات من اوعيتهم الضيقة، ولان الفكر لا ينفصل عن المفكر، ولان الجرذ اذا ما رفع فوق جسمه راس الاسد المقتول، فانه لا بد ساقط تحت تاثير ذلك الثقل، ولانه سيظل دائما جرذا، ولن يصل مقام الاسد، كان ذلك الاسد حيا ام ميتا.

نقول لهؤلاء اذن، انكم لن تفلحوا في قتل الخاتم بعد موته، وان كنتم ساهمتم في انهيار جسده، الا ان فكره عصي علي القتل، والخاتم اكبر من الموت المعنوي، وان طاله الموت المادى، فهو قد تحرر من قيود الجسد، واصبح الان يتحدث فكرا وسيرة ومنهجا، ويخاطب كل منا في ضميره، وهو اكبر من التزييف، لانه لا يزيف الا المزيف، والذهب لا يستحيل حديدا، كما ان الحديد، مهما ذهبته من الخارج، لن يكون ذهبا.

ولن يقتلك الستالينيون يا خاتم، ما دمت حيا فينا..

عادل عبد العاطي

الشفيع خضر وحاتم قطان وأبكر آدم إسماعيل وممارسات أحزابنا الشمولية

نقلت الصحف فيما نقلت خبر قيام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني بإيقاف وتجميد عضوية كل من الدكتور الشفيع خضر سعيد والاستاذ حاتم قطان عضوي اللجنة المركزية. كما سرت تسريبات بإنهاء تفرغ وإيقاف نشاط حوالي 27 من قيادات ذلك الحزب التاريخية والمعروفة. ولم تطرح قيادة الحزب الشيوعي تفسيرا لأهل السودان لخطواتها تلك، وإن كانت كل المؤشرات تفيد بأن القرارات كيدية وذلك بسبب اختلافات فكرية وسياسية مع هؤلاء المناضلين وزنتيجة طرحهم اجندة للتغيير السياسي والفكري.[i]

وكانت الحركة الشعبية شمال من قبل قد اوقفت عضوية الدكتور ابكر آدم إسماعيل مدير معهد التدريب السِياسي فيها والمفكر والكاتب الكبير، لأسباب مجهولة ووفق اجراءات فاشلة فندها كلها الدكتور آبكر في مقالين عن الأمر وعما يدور بالحركة الشعبية من غرائب، ثم قامت بطرده من صفوف الحركة بحيثيات أكثر غرابة.[ii]

أنني برغم إختلافي السياسي والبرامجي والأيدلوجي مع الاستاذين الشفيع خضر وحاتم قطان ورفاقهما، إلا اني اسجل اعتراضي الشديد على قرار تجميد عضويتهما في الحزب الشيوعي السوداني ، واعتبره استمرارا للممارسات الاقصائية والمعادية للتغيير من طرف قيادة الحزب الشيوعي اليمينية الديناصورية – كما أني أسجل مجددا عميق تضامني مع الدكتور أبكر آدم اسماعيل ضد قرار تجميد عضويته الإقصائي والطلب منه أن يمثل في كاودا للتحقيق، مما اعتبره الكثيرون دعوة مفتشرة لسجنه أو تصفيته، وكذلك على قرار فصله اللاحق.

أقول هنا من إن حق الشفيع خضر وغيره ان يدعو لما يشاء ومن خلال الحزب الشيوعي وغيره وهذا حق الناس في الاحزاب ان تدعو لارائها، ولو اراد الشفيع خضر ورفاقه أن يتحول الحزب الشيوعي لحزب يساري او وسطي أو ليبرالي، فإن هذا من حقهم، كما من حق القيادة اليمينية للحزب الشيوعي ان تطالب أن يبقى شيوعيا . للطرفين نفس الحق والحكم هو الاغلبية. الايقاف وإنهاء التفرغ أي الحرمان من المخصصات والتحقيق بسبب الاختلاف الفكري بل والتشنيع كما عرفنا عشية مؤتمر الحزب الشيوعي المسلفق السابق ليس من السلوك الديمقراطي في شيء وانما هي ممارسات ستالينية بغيضة . ولو

كان هؤلاء الستالينيون في السلطة لجمدوا الشفيع وقطان في السجن وليس في الحزب فقط، وربما لأعدماهما ، وفي التاريخ الشيوعي الاف النماذج عن ذلك.
كما من حق الدكتور أبكر آدم اسماعيل ان يدعو لما يشاء من خط فكري وسياسي داخل الحركة الشعبية. لقد ناقشت دكتور ابكر مرارا واعلنت رأيي الناقد لبعض اطروحاته، ولكن هذا لا يمنعني من أقدم حياتي دفاعا عن حقه في التفكير والتعبير . إن المؤسسة التي تضيق بأفكار المفكرين وتستبعد المناضلين ممن قدموا تضحيات جمة لها، لا يمكن أن يكون لها نفع لشعب السودان.
إن ما تمارسه الاحزاب من ممارسات اقصائية وعشوائية غير عادلة تجاه عضويتها، حسما للصراعات الفكرية والسياسية ، وبانتهاك للوائحها نفسها، مثل ما مارسته الحركة الشعبية شمال ضد د. ابكر ادم اسماعيل، وما يمارسه الحزب الشيوعي ضد د. الشفيع خضر واستاذ حاتم قطان، هو انتهاك مباشر لحقوق العضوية ومن ثم حقوق المواطن في المؤسسة السياسية . هذا امر لا يخص هذه التنظيمات وحدها ولا هؤلاء الاساتذة المنتهكة حقوقهم فقط، وانما يهم كل ناشط وكل مواطن يبحث عن ممارسة سياسية شريفة وعن المؤسسية وحكم القانون.
ويتحجج علينا بعض الشيوعيون إن ما طبق تجاه هؤلاء المناضلين إجراء لائحي. أننا نعلم أن اللائحة في الحزب الشيوعي تنفذ انتقائيا، ولو كانت هناك لائحة لتم محاسبة من عطل مؤتمر ذلك الحزب اربعين عاما وخرق دستور الحزب عشر مرات بذلك (المؤتمر يجب أن يتم كل اربعة اعوام) .
إن معرفتي الجيدة بتاراث وتاريخ الحزب الشيوعي توضح لي ان هذين الاستاذين ضحايا جدد للآلة الشيوعية الجهنمية ومفرمة الحزب الشيوعي الوحشية . لا يمكن ان يكون هناك تحقيق عادل ونزيه في الحزب الشيوعي اذا كان الخصم هو الحكم . ليست هناك مؤسسة تحكيمية او عدلية في الحزب الشيوعي خارج اطار الجهاز التنفيذي وتعلو عليه. من يجمد هو من يحاسب وهو من يحقق وهو من يصدر الحكم أي قيادة الحزب المتنفذة. هذه ممارسات لا يمكن ان تتم في حزب ديمقراطي ومن واجبنا كسياسيين وناشطين ان نرفضها بكل قوة.
وقد عاب علينا بعض الشيوعيون ما اسموه بالتدخل في قضاياهم الداخلية. إن ما لا يفهمه الشيوعيون وغيرهم من نشطاء وقيادات الاحزاب الشمولية والطائفية والتنظيمات العسكرية أن قضايا أي حزب سوداني تهم كل مواطن سوداني، ما دام هذا الحزب يطرح

نفسه في الساحة ويمكن أن يصل الى السلطة . إن قضايا أي حزب ليست شأنا داخليا يخصه ، ألا ان تذهب عضوية هذا الحزب لجزيرة منعزلة ليس فيها انسان ويسكنوا فيها وحدهم فقط، عندها ربما لهم الحق حتى أن يسحلوا انفسهم ويقتلوا بعضهم وان يجعلوا من قياداتهم قديسين وآلهة . لكن ما دامت هذه الأحزاب تنشط في السودان و تطمع لحكم السودان فإن أي ممارسة داخلية لها انما توضح طريقة تفكيرها وكيف يمكن أن تمارس السلطة لو ظفرت بها ، وهذا الامر ينطبق على كل الاحزاب بما فيها الحزب الديمقراطي الليبرالي .

يجب وضع كل احزابنا المعارضة تحت المجهر حتى نعرف كيف تفكر وكيف تسلك مع عضويتها والمواطنين قبل ان تصل السلطة ، لأننا لا نريد أن نستبدل جحيم الانقاذ بجهنم شموليين آخريين، وشعبنا ومواطنينا أعزّ علينا من أن نسلمهم لسفاحين جدد يسحلون ويفصلون عضويتهم لمجرد الاختلاف في الرأي.

عادل عبد العاطي
2015/11/8
إشارات مرجعية :

---

[i] صحيفة " سودان تريبيون" : تفاقم صراع التيارات داخل الحزب الشيوعي السوداني والإطاحة بقيادات مؤثرة – تجدها على الرابط التالي:
http://www.sudantribune.net/%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%85-%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9,12504

[ii] الاستاذ عبد الوهاب الأنصاري : قيادة الحركة المُكلفة تتنكر و تأكل مُفكِريها.. (قرار) فّصل دكتور أبكر آدم إسَّماعِيل..!! – تجده على الرابط

التالي:

http://www.sudanile.com/index.php?option=com_content&view=article&id=88437:2015-10-29-20-46-48&catid=34&Itemid=55

الفصل الثاني: الشيوعيون والنظام الديمقراطي والدستوري

دور الحزب الشيوعي السوداني
في تخريب التجربة الديمقراطية والنظام الدستوري في السودان

لعب الحزب الشيوعي السوداني دورا خطيرا ، مع غيره من بعض أطراف القوى السياسية السودانية ، في تخريب التجربة الديمقراطية في السودان ، وفى تقويض النظام الدستوري ، عن طريقين مباشر وغير مباشر . أنني اعتقد أن أي محاولة لبناء الديمقراطية السودانية على أسس مستقرة ، تحتاج إلى مراجعة ونقد وتوثيق لكل الأطراف التي أدت إلى انهيار التجربة الديمقراطية والنظام الدستوري في السودان . إنني ف العجالة اللاحقة اسرد بعضا ما أراه من دور الحزب الشيوعي السوداني السلبي في سياق تطور التجربة الديمقراطية السودانية .

إن متابعة دقيقة لنشاط الحزب الشيوعي ، لمدة 56 عاما من نشاطه في الساحة السودانية ، توضح أثره غير المباشر في تخريب التجربة ، وذلك عن طريق الآليات التالية :

1. تأسيس الفكر الشمولي :

كان للحزب الشيوعي السوداني قصب السبق فى التأسيس للفكر الشمولي في السودان ، وإدخال مفاهيم معادية للديمقراطية ، مقتبسة من الفكر والتجربة والممارسة الستالينية ، مثل مفاهيم ديكتاتورية البروليتاريا ، والدور الطليعي للحزب ، والحزب الحديدي ،والمركزية الديمقراطية ، وهى مفاهيم لا تنسجم مع التجربة الديمقراطية ، ولا مع مفهوم الحزب كمؤسسة مدنية ، الأمر الذي أدى إلى ترسيخ الفكر الشمولي في وسط قطاعات كبيرة متأثرة بالحزب ، كما استفادت من بعض هذه المفاهيم تيارات شمولية أخرى من يمين البعثيين والقوميين العرب والأصوليين ، وقد أشار احمد عثمان مكي والترابي وموسى يعقوب الى تعلمهم من تجربة الحزب الشيوعي – وهو تعلم من الجانب الاسوأ في تجربة الحزب -. كما أشار العديد من الباحثين إلى دور هذه المفاهيم في إغناء الأدب الشمولي لمعظم الحركات والأنظمة الشمولية في بلادنا .

2. تغييب الديمقراطية الحزبية :

غيب الحزب الشيوعي السوداني أسس الديمقراطية الحزبية في داخله ، واسهم بذلك في تقليص الفضاء الديمقراطي في داخل مؤسسته ، وبالتالي في تقليصه في المجتمع ، وعمل في ذلك جنبا بجنب مع الأحزاب الطائفية الأخرى على إرساء تقاليد سيئة في الحياة الحزبية السودانية . تتبدى أزمة الديمقراطية الحزبية في المظاهر التالية :

- عدم السماح بتعدد المنابر في الأحزاب ومعاملة كل اختلاف كأنه تكتل وانقسام ، ومطاردة المختلفين والمستقيلين والخارجين عن الحزب بحملات الدعاية السوداء واغتيال الشخصية ،
- طرد الأعضاء وتشويه مواقفهم استنادا على خلافات سياسية وفكرية ، مثل السكرتير العام الأول عبد الوهاب زين العابدين ، والسكرتير الثاني عوض عبد الرازق ، ومحمد حسن سلامة عضو اللجنة المركزية في 1958 الذي دعا إلى تكوين حزب انتخابي جماهيري ، ومحمد السيد سلام الذي دعا إلى تقليل تسييس الحركة النقابية ، وكامل محجوب قائد منطقة النيل الأزرق الذي طرد وابعد واتهم بالانتهازية لأنه دعا إلى ... الإضراب السياسي – راجع كتاب لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي لعبد الخالق محجوب وثورة شعب الصادر عن الحزب بعد ثورة أكتوبر .
- عدم الالتزام بمقررات الوثائق الحاكمة الحزبية ، ومن ذلك تغييب قرار بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية المقر من المؤتمر الرابع للحزب ، وعدم إنجاز ذلك إلى اليوم – راجع تقرير المؤتمر المنشور باسم الماركسية وقضايا الثورة السودانية ، وقرارات المؤتمر والتي نشرت في كتيب منفصل .
- عدم نقاش السياسات الجوهرية للحزب مع القاعدة الحزبية ، ومن ذلك قرار الدخول في المجلس المركزي فى عام 1961، وقرار الاشتراك في حكومة مايو الأولى ، وقرار تغيير تكتيكات الحزب من بناء الجبهة الديمقراطية إلى بناء جبهة عريضة مع قوى المعارضة اليمينية في 1977 – راجع وثيقة جبهة عريضة للديمقراطية وإنقاذ الوطن الصادرة عن الجنة المركزية للحزب في ذاك العام – الخ الخ .
- تعيين القيادة في المجال المركزي والمحلى ، ومن ذلك إن معظم اللجنة المركزية الحالية وسكرتاريتها معينة ، وكذلك السكرتير العام ، ومن بين 32 عضوا انتخبهم آخر مؤتمر للجنة المركزية يوجد باللجنة الحالية منهم 4 أعضاء ، وحتى هؤلاء انتهت دورتهم منذ 31 عاما !!
- تغييب المؤتمرات العامة الحزبية ، وهى أعلى سلطة في الحزب حسب نص اللائحة ، وحرمان العضوية بذلك من حقهم الديمقراطي في إدارة وتحديد سياسة الحزب ومحاسبة القيادة وانتخابها – عقدت أربعة مؤتمرات خلال 56 عاما وكان

آخرها في عام 1967- في حين تفرض لائحة الحزب أن يقوم المؤتمر مرة كل أربعة أعوام ،

- انعدام وجود مؤسسات الرقابة الحزبية أو الهيئات القضائية الحزبية المستقلة ، والتي يمكن أن يرجع لها الأعضاء المتضررون أو مؤسسات النظام الديمقراطي .

3. مهاجمة التجربة الديمقراطية :

مارس الحزب الشيوعي دورا خطيرا في مهاجمة التجارب الديمقراطية ، وذلك عن طريق نحن وتعميم مصطلحات تؤدى الى أضعاف هيبة النظام الديمقراطي ، وتشكك في شرعيته ، وتلحق الخلط بالوعي الديمقراطي الناشئ ، كما تشكل قاعدة أيدلوجية للممارسات المعادية للديمقراطية . كان من ذلك وصف النظام الديمقراطي بأنه يمثل الديكتاتورية المدنية ، ، والديمقراطية البرجوازية ، وديمقراطية الطائفيين ، وغيرها من المصطلحات التي هوجم بها النظام الديمقراطي . كما استخدم الحديث العام عن عدم تمثيل القوى الحديثة ، والشعارات الفضفاضة عن الديمقراطية الجديدة من بعض قيادات الحزب ومن أطراف متأثرة به في سياق تدبيرها وتبريرها للانقلاب على الديمقراطية كما تم في 25 مايو 1969 – راجع في توثيق ذلك مساهمة عبد الخالق محجوب للمؤتمر التداولي للحزب في 1970 ، وفى كتاب محمد سعيد القدال الحزب الشيوعي السوداني وانقلاب 25 مايو ، وكتيب محمد إبراهيم نقد عن التجربة الديمقراطية في السودان وكراسته : مراحل الانتقال الحرجة .

4. استغلال وتحريف دور الحركة النقابية ومؤسسات المجتمع المدني :

لعب الحزب الشيوعي السوداني دورا خطيرا في استغلال الحركة النقابية كذراع مساند له ، الأمر الذي أدى لحرفها عن دورها المطلبي الأساسي ، والى إدخال الصراعات الحزبية والأيدلوجية في داخلها ، والى محاربتها الفظة من قبل الأنظمة الدكتاتورية ، كما أدى إلى انفضاض قطاعات واسعة عضويتها عنها ، احتجاجا على تحزبها الصارخ ، والى تهميش دورها في الحياة العامة . انو الحركة النقابية التي بدأت ونشأت بجهد مشترك من الاتحاديين والشيوعيين والعناصر المستقلة وبدعم من مختلف القوى الوطنية ، ما لبثت أن دخلت في صراعات مريرة فى داخلها ، ومغامرات غير محسوبة في خارجها نتيجة لمحاولات الاحتواء الشيوعية ، فكان إضراب العمال الفاشل في 1952 ، والصراع غير المبرر مع سلام في فترة الستينات ، وغيرها من الممارسات التي أدت لان يفقد الشيوعيين سيطرتهم على أهم نقابة عمالية وهى نقابة

عمال السكة الحديد فى أواخر الستينات والى اليوم . كما تبدى استغلال الحركة النقابية في دفع الشيوعيين لاتحاد العمال لدعم انقلاب 25 مايو 1969 ، ودفعه مرة أخرى لدعم انقلاب 19 يوليو 1971 ، الأمر الذي استعمله السفاح نميرى ذريعة لتصفية الحركة النقابية وقياداتها المختلفة من شيوعيين وغيرهم .

إن هذا النهج الذي مورس في نقابات العمال ، قد نقل الى نقابات المهنيين ، والى منظمات المجتمع المدني المختلفة ، والتي كان يتوسل بها الشيوعيين للضغط على خصومهم ، ولتمرير خطهم السياسي ، الذي لا يستطيعوا تمريرهم بوزنهم الجماهيري والبرلماني الضعيف . وقد اضعف ذلك من مصداقية هذه المؤسسات ، وجعل الأحزاب الأخرى تتسابق إلى ممارسة نفس الاستغلال ، وقد تحولت المنظمة السودانية لحقوق الإنسان مثلا ، والتي تأسست بجهد شعبي وأكاديمي ، إلى غنيمة توزعتها فيما بينها أحزاب التجمع، بما فيها الحزب الشيوعي ، في القاهرة ولندن ، فأبعدتها بذلك عن وظيفتها الرئيسية وعن صيغة الحياد السياسية المطلوب في مثل هذه المؤسسات .

5. إدخال الجيش في السياسة :

كان الحزب الشيوعي من أوائل الأحزاب السياسية التي اخترقت الجيش السوداني ، وبدأت في تكوين خلايا سرية لها في داخله . ونحن وان كننا نفهم ضرورة إلا يعزل الجيش عن السياسة ،بل واستحالة ذلك ، ونقف مع دعوات إصلاحه ديمقراطيا ، إلا أن الطريق لذلك لا يتم عبر الخلايا السرية و إنما عن طريق الإعلام والعمل السياسي والإصلاح المؤسسي- . إن التنظيم العسكري الشيوعي الذي تأسس في مطلع الخمسينات ، قد دعم الاتجاهات الانقلابية داخل الحزب وفى الجيش ، كما شجع الأحزاب الأخرى على اختراق الجيش ، فبدأت الحركات الشمولية الأخرى من بعثتين وناصريين وأصوليين في بناء تنظيماتها السرية داخل الجيش ، بل واستغل البعض هذه الحقيقة ، حقيقة الاختراق الشيوعي للجيش لتبرير تنظيماتهم واختراقاته اللاحقة – راجع حديث البشير لفتحي الضو في كتاب أزمة الصفوة السودانية – .

يقول محمد محجوب عثمان في توثيق هذا النشاط " يعود تاريخ النشأة الحقيقية وعملية التأسيس إلى ما قبل الاستقلال السياسي للسودان بداية عام 1954 ، وما صحب هذا من زخم وانفتاح ديمقراطي نسبى ، أتاح الفرصة لعناصر متفتحة من الحركة الطلابية لولوج المؤسسة العسكرية . " إلى أن يقول " وفى تلك الظروف تفتحت الفرص أمام مجموعات من الطلاب ذوى الميول الديمقراطية و آخرين من أعضاء الحزب

–رابطة الطلبة الشيوعيين – للدخول للكلية الحربية والتخرج منها كضباط صغار في الجيش . ولقد شكل ذلك النواة الأولى لتنظيم الضباط الشيوعيين " . كما يكتب محمد سعيد القدال " وكان الحزب الشيوعي قد بدأ منذ الخمسينات في إقامة تنظيم داخل الجيش تحت إشراف عبد الخالق مباشرة " –معالم صفحة 211-

<<راجع تفاصيل قصة التنظيم الشيوعي السري في الجيش السوداني في كتاب الجيش والسياسة في السودان لمحمد محجوب عثمان ومعالم من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني والحزب الشيوعي السوداني وانقلاب 25 مايو لمحمد سعيد القدال وفى مذكرات عضو ذلك التنظيم عبد العظيم عوض سرور عن انقلاب 19 يوليو المنشور بعضها في قضايا سودانية وفى موقع جريدة الميدان بالإنترنت .>>

غير ذلك ، لعب الحزب دورا مباشرا في تخريب التجربة الديمقراطية واغتيال الديمقراطية الدستورية ، عن طريق الآليات التالية :

- تدبير الانقلابات العسكرية :

وقد ساهم الحزب الشيوعي في العديد من الانقلابات العسكرية ، سواء في صورة المشارك التابع أو المشارك الرئيسي- ، ومن العجب إن اكثر الأحزاب تشدقا بالديمقراطية قد اشترك في حزمة من الانقلابات العسكرية ، ولم ينتقد أيا منها إلي اليوم ، وان كان يحاول التحلل من مسئوليته عنها ، وهو نهج غير مسؤول ، ويتناقض مع قيمة النقد الذاتي التي يزعم الشيوعيون توفرها في حزبهم . إننا في الفقرات التالية نوضح مساهمة الحزب الشيوعي السوداني في تدبير الانقلابات العسكرية المختلفة سواء بدور الشريك التابع أو المحرض الخفي أو المنفذ الأول :

- ساهم الحزب الشيوعي في اغلب الانقلابات التي تمت إبان حكم الفريق عبود ، وفى ذلك يقول مؤرخ الحزب الدكتور محمد سعيد القدال:"وكان للحزب الشيوعي دور في كل المحاولات الانقلابية التي تمت ، والتي انتهت بالفشل وبالإعدام والسجن والتشريد للعناصر الوطنية في الجيش "!!...

وقد كان إسهام الحزب الأكبر في هذه الفترة في انقلاب على حامد في 1959 ، وهى المحاولة التي اشترك فيها بنشاط اثنان من أعضاء التنظيم الشيوعي السري في الجيش ، وهما محمد محجوب عثمان وعبد المنعم محمد احمد – الهاموش – جنبا إلى جنب مع ضباط ....الإخوان المسلمين ومرشدهم العام آنذاك الرشيد الطاهر

بكر . وقد حاول مؤرخي الحزب من بعد التملص من مسئوليتهم عن المشاركة بإلقائها حصرا علي كاهل عضوي اللجنة المركزية احمد سليمان ومعاوية إبراهيم سورج ، واللذان باركا المحاولة ووافقا على مشاركة أعضاء الحزب فيها ، وتنكرا من بعد لها . ومن الغريب أن هذين الرجلين لم يتعرضا لأي مسائلة من قبل الحزب بعد أكتوبر ، بل اصبح أحدهما وزيرا ممثلا للحزب في حكومة أكتوبر – احمد سليمان - ،ولم تستغل هذه المسالة ضدهما إلا بعد خروجهم من الحزب في عام 1970 ، أي بعد اكثر من عشرة أعوام على الحادثة .

-في العام 1966 حاول الملازم أول خالد الكد تنفيذ انقلاب عسكري اعتمادا على جنود ومجندين جدد ، وقد أشارت أصابع الاتهام حينها إلى الحزب الشيوعي وعناصر محددة من قيادته ، إلا انه لم يثبت عليها الدليل . وقد اتضح لاحقا إن خالد الكد شيوعي ملتزم ، ولم يفصح خالد الكد حتى فترة الديمقراطية الثالثة ، عمن وقف خلفه في هذه المحاولة ضد النظام الديمقراطي ، في المقالات التي نشرها بجريدة الميدان حول ذلك الانقلاب .

- في عام 1969 ، نفذ تنظيم الضباط الأحرار ، وهو تنظيم مشترك للشيوعيين والقوميين العرب وعناصر أخرى ، انقلاب 25 مايو 69 . وقد حاول الشيوعيون كل وسعهم التملص من مسئوليتهم في تنظيم ونجاح الانقلاب ، إلا إن الشهادات اللاحقة للانقلاب ، تثبت تورط الحزب الشيوعي وجناحه العسكري في تدبير وتنفيذ ذلك الانقلاب ، في الفقرات التالية نذكر جزءا منها .

يذكر محمد محجوب عثمان " إن تطور الموقف حول فكرة الانقلاب الذي تبنته عناصر القوميين العرب من ضباط تنظيم الضباط الأحرار ، والذي لاقى اعتراضا من الحزب في اجتماع المكتب السياسي فى مارس 1969 ، ما كان له أن يحدث لولا الكتلة التي دعمت فكرته داخل اللجنة المركزية التي استطاعت تمرير موقفها على المستوى القيادي ، وهذا ما يفسره لنا وقوف غالبية اللجنة المركزية مع فكرة المشاركة في حكومة مايو على المستوى الوزاري بعد رفضها للاقتراح المقدم من السكرتير العام للحزب بعدم قبول كراسي وزارية "كما يمضى ليؤكد " فقد شارك العسكريون الشيوعيون في العملية الانقلابية بتوجيه من الحزب ، ودخلوا في ساعات الصباح الأولى القيادة العامة وقاموا بتأمينها والاستيلاء عليها

بجسارة أذهلت بقية الانقلابيين الآخرين " – من كتاب الجيش والسياسة في السودان – ص 35 .

إن اشتراك الشيوعيين في التخطيط والتنفيذ تثبته واقعة إن مجلس قيادة الانقلاب قد احتوى على عنصرين شيوعيين ، هما المقدم بابكر النور – رئيس التنظيم الشيوعي السري فى الجيش – والرائد هاشم العطا .كما عين المقدم عثمان حاج حسين أبو شيبة قائدا للحرس الجمهوري ، وهو عضو رئيسي- في التنظيم الشيوعي السري في الجيش ، واحد المدبرين والمنفذين لاحقا لانقلاب 19 يوليو 1971.

- بعد الخلاف مع القوميين العرب ، وبداية العداء بين الحزب الشيوعي وسلطة مايو ، و إبعاد العناصر الشيوعية من السلطة في 17 نوفمبر 1970 ، نفذ التنظيم العسكري الشيوعي انقلاب 19 يوليو 1971 ، بمعرفة تامة من السكرتير العام للحزب والمكتب السياسي للحزب . إلا أن الحزب الشيوعي قد أصر كالعادة على نفى مسئوليته في تدبير وتنفيذ ذلك الانقلاب ، متهربا تحت ستار جملة أدبية " شرف لا ندعيه وتهمة لا ننكرها " . إلا أن الشهادات التي أتت من الضباط المشاركين ، ومن وثائق الحزب نفسه ، تثبت معرفة الحزب للانقلاب ، ومناقشة المكتب لقيادة التنظيم العسكري حول تفاصيل خطة الانقلاب ، وغيرها من الدلالات التي توضح مسؤولية الحزب السياسية والمعنوية عن ذلك الانقلاب الذي أدى قيامه وفشله إلى اخطر النتائج في تاريخ الحركة السياسية ، والى تقوية سلطة نظام مايو إلى سنين طوية قادمة " راجع حول ذلك الانقلاب كتب القدال ومحمد محجوب عثمان ، وثيقة تقييم انقلاب 19 يوليو الصادرة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، كتاب اللبناني فؤاد مطر الحزب الشيوعي السوداني نحروه أم انتحر ، مذكرات عبد العظيم عوض سرور المنشورة في قضايا سودانية ، الفصل المكرس للسودان في كتاب جاك وودز " الجيوش والسياسة " ، وكتاب محمد احمد كرار عن الانقلابات العسكرية في السودان .

- دعم الأنظمة العسكرية :

دعم الحزب الشيوعي نظام مايو منذ بدايته الأولى وحتى 16 نوفمبر 1970 ، حين ابعد الشيوعيين من مجلس قيادة الثورة ومن المواقع الحساسة ، إلا إن الثابت إن الحزب الشيوعي قد ألقى بكل ثقله فى تأييد نظام مايو ، وتبدى ذلك فى تنظيم العناصر المرتبطة به لمسيرة تأييد مايو في 2 يونيو 1969 ، وفى انخراط الشيوعيين فى آلة النظام السياسية والإعلامية وحتى الأمنية ، وهى كلها ممارسات موثقة ومشهود بها ، وقد كانت هناك لجنة مشتركة للتنسيق بين الحزب الشيوعي ومجلس قيادة الانقلاب ، وكان دعم الحزب الشيوعي لانقلاب حاسما في تقوية مواقعه في الحياة السياسية السودانية . ولم يدع الحزب الشيوعي رغم الضربات التي وجهت له بعد 61 نوفمبر 1969 إلى إسقاط النظم ، إلا في 30 مايو 1971 في بيان من اللجنة المركزية للحزب .

- <u>التقاعس عن حماية النظام الديمقراطي :</u>

تقاعس الحزب الشيوعي مرتين عن حماية النظام الديمقراطي الذي كان طرفا فيه ، وذلك في عامي 1969 و1989 ، وان كان تقاعسه فى المرة الاولى من نوع الاشتراك فى المؤامرة ، وتقاعسه فى المرة الثانية من نوع العجز السياسي .

فحين بدا التحضير لانقلاب 25 مايو ، اتصل الانقلابيون بالحزب الشيوعي للحصول على تأييده ، أخطروا الحزب بكل تفاصيل الانقلاب ، فما كان التصرف من طرف الحزب؟ لقد ناقش الفكرة فى اجتماع اللجنة المركزية فى مارس ، واعترض عليها هناك عبد الخالق محجوب ، الا ان الحزب لم يقف موقفا واضحا ضد فكرة الانقلاب ، او يقنع الانقلابيين بخطرها ، الأمر الذي جعل زعيم الانقلاب يلتقي مرة أخري بعبد الخالق والشفيع احمد الشيخ ومحمد إبراهيم نقد ، ودار بينهم حديث طويل ولم يتوصلوا فيه الى شي ، ومن بعد التقى فاروق حمد الله وبابكر عوض الله فى نفس الموضوع مع قيادة الحزب ، وتم نقاش قصة الانقلاب فى اجتماع المكتب السياسي فى 9 مايو 1969 ، وتحت ضغط عبد الخالق رفض المكتب السياسي المشاركة . إلا ان الحزب عشية الانقلاب لم يكتف بعدم محاولة إيقافه ، بل دعا العسكريين الشيوعيين من أعضاء تنظيمه السري لدعمه ، وفى ذلك يقول محمد محجوب عثمان ، عضو التنظيم الشيوعي السري داخل الجيش " فقد شارك العسكريون الشيوعيون في العملية

الانقلابية بتوجيه من الحزب ، ودخلوا في ساعات الصباح الأولى القيادة العامة وقاموا بتأمينها والاستيلاء عليها بجسارة أذهلت بقية الانقلابيين الآخرين" - مصدر سابق .
إن وثائق الحزب الشيوعي ، وخصوصا وثائق المؤتمر التداولي لكادر الحزب ، الذي انعقد في العام 1970 ، توضح معرفة الحزب وتستره على انقلاب مايو ، بل ودعوته للضباط الشيوعيين لدعم النظام . إن هذه الحقيقة قد أثبتها أيضا الباحثين جاك وودز وفؤاد مطر ، كما سجلها السفاح نميرى فى كتابه النهج الإسلامي لماذا ، وان ادعى فيه البطولات وزعم فيها انه ارهب القادة الشيوعيين لكيلا يفشوا السر ، وفى نظرنا إن هذه مجرد جعجعة من طرف النميرى لا دليل لها .
إن محمد إبراهيم نقد ، أحد المشاركين في تلك الحوارات والمفاوضات بين قيادة الحزب والانقلابيين ، قد اعترف بذلك على استحياء فى إفادته لمحكمة مدبري انقلاب مايو . ألا انه لا الحزب ولا نقد قد قام بتقديم كشف حساب ونقد ذاتي واعتذار علني على تسترهم على المتآمرين على الديمقراطية . وربما ظن نقد والحزب إن التستر على الانقلاب وعدم إفشاء سره هو جزء من الأخلاق ، كما فهمها الرائد مأمون عوض أبو زيد ، والذي قال " نحن نحفظ للحزب الشيوعي أخلاقه . لم يفشى الأسرار رغم رفضهم للانقلاب .. لكن كلم ناسوا ، فشاركوا في التنفيذ " – الجيش السوداني والسياسية – صفحة 61 .
إن محمد إبراهيم نقد نفسه ، والذي لم يحرك يدا في فضح انقلاب مايو او تعطيله ، قد عرف بانقلاب الجبهة القومية الإسلامية في 30 يونيو 1989 ، وجاءته المعلومات مؤكدة وموثقة ، فماذا فعل ؟ هل توجه إلى البرلمان وأعلن الحقائق ، هل ذهب إلى التلفزيون وفضح المخطط ، هل أقام ندوة وذكر فيها أسماء المخططين وتفاصيل خطتهم ، هلا اصدر بيانا للجماهير بما تحصل عليه من معلومات ، هل طرح الأمر على عضوية الحزب ودعاهم إلى اليقظة والحذر ، هل اتصل بالنقابات ودعاها إلى التنظيم والمقاومة ، هل وزع السلاح على كوادره الخاصة ودعاهم لحماية النظام الديمقراطي ، لا لم يفعل أيا من هذا ، وكلها خطوات ينبغي أن تنجز في حالة كهذه ، فماذا فعل إذن ؟
اتصل حضرته بجهاز أمن حزب الأمة ، وجهاز الأمن الوطني ممثلين في شخص رئيس الجهازين – يا للهزل – عبد الرحمن فرح ، والذي أكد لهم انهم يسيطرون على كل شي ، وكان حديثه كحديث الفريق محمدى بابو نمر ، رئيس الأركان حينها ، والذي قال لضباط الجيش في لقاء تنويري في منطقة الخرطوم بحري العسكرية قبل أيام من

الانقلاب " ما في واحد يقدر يعمل انقلاب ونحن (أي هيئة القيادة) موجودين .. ونسى سعادته في غمرة انفعاله قول أهلنا البسطاء (حواء والده) " – السر احمد سعيد – السيف والطغاة – ص 166.

ولقد قال التجاني الطيب ، عضو سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، فى محاولة خجولة للاعتراف بهذه الحقائق المرة ، وفى محاولة لتقليل أهميتها في نفس الوقت ، قال: " لقد رأى الحزب الشيوعي التخطيط العام للانقلاب ، ولكن لم يضع خطة مضادة تعتمد على الجماهير " – الجيش السوداني والسياسة – ص 264 . ولعمري فقد كانوا يعرفوا الخطة التفصيلية للانقلاب ، ولكنهم فضلوا بدلا من الاعتماد على الجماهير ، والتي نسوا دربها منذ زمن ، الاعتماد على أجهزة مخابرات خربة ومتهاوية ، وعلى حليفهم رئيس الوزراء الغرور المأبون ، فيا بئس الطالب والمطلوب .

- الانكفاء والتخبط وسط حركة المعارضة الوطنية :

رغما عن البطولات والمقاومة الفذة التي قام بها أعضاء الحزب الشيوعي ضد مختلف الديكتاتوريات ، ونشاطهم ضد سياسات الحكومات المدنية ، الا ان قيادة الحزب كانت ترتكب العديد من الأخطاء ، وتمارس التكتيك وضده ، ولا تعترف بأخطائها البتة ، الأمر الذي لم يساعد ولا يساعد على قيام معارضة ومقاومة وطنية موحدة ومستديمة وظافرة ضد مختلف الديكتاتوريات .

إننا في الفقرات التالية سنذكر ثلاثة فقط من الأخطاء السياسية التي قامت بها قيادة الحزب الشيوعي، ولم تنتقدها رسميا حتى الآن :

-فى العام 1961 أسس الفريق عبود برلمانا هزليا ، اسماه المجلس المركزي ، والذي كان بمثابة ديكور للديكتاتورية . إن الحزب السياسي الوحيد الذي اشترك في تلك المسرحية ، قد كان الحزب الشيوعي السوداني ، معطيا بذلك شرعية لكامل ذلك الهزل السياسي ، ومدافعا عن موقفه في الاشتراك حتى بعد عمليات التزوير وحتى بعد استغناء عبود عن مجلسه المتهالك - راجع جزء من التبريرات فى كتاب ثورة شعب .

ورغم إن هذا الاشتراك قد كان خطأ سياسيا كبيرا ، إلا إن الحزب الشيوعي لم يجد فى نفسه الشجاعة للاعتراف به ، ومن ضمن عشرات التبريرات الهزيلة الصادرة عن الحزب ، وجدت اعترافا خجولا بخطأ تلك الخطوة في مقال التجانى الطيب هاكم اقراؤا

كتابيا ، والمنشور بأحد أعداد مجلة قضايا سودانية فى ...النصف الثاني من التسعينات !! وحتى الآن فإننا لا نجد اعترافا من الحزب الشيوعي بخطأ تلك الخطوة المدمرة ، ولا تقديما للإسبال الحقيقة التي أدت إليها .

- فى العام 1989 ، وبعد الانقلاب مباشرة رفض سكرتير الحزب محمد إبراهيم نقد الاختفاء ، وانتظر رجال الأمن فى بيته . وعندما سئل عن أسباب ذلك من جريدة الشرق الأوسط أجاب بأنه كان يعتبر نفسه مسؤولا عن الحكومة السابقة لان حزبه كان مشاركا فيها – بوزير واحد – ، وانه لن يتهرب من المسائلة ، وانه لم يفعل شيئا يستحق الاختفاء و إخفاء نفسه . وفى الحق فلو كانت هذه دوافع حقيقية ، فهي تعبر عن سذاجة سياسية بالغة . فالحكومة السابقة كانت حكومة ديمقراطية والحكومة التى أتت ديكتاتورية لا شرعية ، وليست لها صلاحيات المحاسبة ، وانما ينبغي حشد كل الجهود لمقاومتها والصراع معها وهزيمتها ، ولا ينبغي تسليم النفس اليها طائعين مختارين ، اذا كان فى الإمكان الاختفاء والعمل من تحت الأرض ضدها .

لقد كلف هذا الخط السياسي الفادح قواعد وكوادر الحزب الشيوعي الكثير من الجهد والوقت والإمكانيات ، لحماية حياة السكرتير العام ورفيقه التجانى الطيب. وإني أذكر الجهد الخرافي الذي قمنا به في الخارج للضغط على النظام لتامين سلامة من سلموا نفسهم طائعين مختارين ، وهو جهد كان سيثمر الكثير لو صب فى نضالات أخرى ، ولم نكن مهمومين بسلامة هؤلاء القيادات ، ولو لم يغامروا هم بحياتهم وبقيادة الحزب وقتها ، بدلا من ممارسة الجعلية السودانية القريبة من الحمق .

- في الأعوام 1989-2002 ، دخل الحزب الشيوعي في تحالف مكشوف في إطار التجمع الوطني الديمقراطي ، مع حزبي الأمة والاتحادي الديمقراطي ، وهما الحزبان المسؤولان عن إجهاض الديمقراطية الثالثة . ولم يكتف بذلك بل ودعم على تدعيم مواقف هذين الحزبين في التجمع ، وتحالف مع اكثر العناصر رجعية فيها ، فى الوقت الذي حملتها فيه جماهير واسعة المسؤولية الأولى عن فشل التجربة الديمقراطية الثالثة .

وفى هذا الإطار فان الحزب الشيوعي قد كان من المبادرين باقتراح مبارك الفاضل المهدى لان يكون سكرتيرا عاما للتجمع ، ومن المبادرين ولا يزال من الداعمين لرئاسة محمد عثمان الميرغنى للتجمع . والأول انتهازي سياسي من المقام الأول ، ومن المسؤولين المباشرين عن انهيار الديمقراطية الثالثة وعن الفساد فيها عندما كان وزيرا للتجارة ،

وهـو معتقـل الأسـاتذة المشـاركين في ورشـة أمبـو عنـدما كان وزيـرا للداخليـة فى الديمقراطية الثالثة ، والثاني زعيم طائفة عاطل من المواهـب والكاريزما ، متقلـب يبنى سياسته حسب ما تـأتى بـه الأحداث ، منفعـل لا فاعـل ، وليسـت له أي قـدرات قيادية تؤهله لقيادة نضال طويل وشرس ضد عدو كنظام الإنقاذ .

لقد رفض الحزب الشيوعي دعوة حلف للقوى التقدمية كان قـد أطلقها الفريق فتحي احمد على وفاروق ابو عيسى فى عام 1993 ، وتأرجحت تحالفاته ما بين دعم للامـة مرة ودعم للاتحادي مـرات ، ورفـض فى داخـله مختلف الدعـوات لتجميع القـوى الجديـدة وقوى السودان الجديد ، وقد عبر عن هذا الأستاذ طه إبـراهيم فى تقريـره الذي قدمـه فى عام 1999 إلى اجتماع قوى السودان الجديد بالقاهرة ، ولا يزال خط التحـالف مع القوى الطائفية مسـيطرا عـلى الحـزب ، بـل وصـل العـداء بالحـزب الشـيوعي إلى أن يقف في صف واحد مع القوى الطائفية ضد دخول حركة القوى الجديدة الديمقراطية (حق) للتجمع ، وهى قوة جديدة وعلمانية ، وان كان الشيوعيون يعتبروها منشقة عن تنظيمهم ، كما لم يسجل الحزب الشيوعي أي مواقف ضد انعدام تمثيل المرأة السـودانية في قيادة التجمع ، وعندما اسـتطاعت الأسـتاذة فاطمـة احمـد إبـراهيم ، بفضـل نضـالها ودعم الحركة النسائية والعديد مـن الشخصيات والمنظمات أن تصبح عضـوه في هيئـة القيادة ، ما لبث الحزب الشيوعي أن تخلى عنهـا في أول سـانحة ، وذلك حـين أشـعل إعلام النظام حملة ضارية ضدها اسـتغلوا فيهـا شريـط فيـديو مسـرب ، وتحـالف عليهـا سدنة التجمع من كل صوب ، ومنعت من دخول مـداولات التجمع في القـاهرة ، بـل ودفعها الصادق المهدى دفعا عن طريقه ، حتى كادت ان تسقط على الأرض !! فمـاذا فعل الحزب الشيوعي ؟ لقد وقف مع الطائفيين ضد عضو قيادي فيه ، واصـدر بيـانا يدينها ، الأمر الذي جعل شخصية نضـالية كفاطمـة احمـد إبـراهيم ، خـارج نشـاطات التجمع ، وجعلها تبحـث عـن منـابر أخـرى وتؤسـس لتنظيمات جديـدة ، في عـزلة إجبارية لها عن حزبها وعن التجمع الوطني الديمقراطي المزعوم ، حيث لا هـو بتجمع ، ولا هو بوطني ، وليس للديمقراطية إليه من سبيل .

وبعـد فقـد كانـت هـذه بعـض الملاحظات حـول الدور السـلبي للحـزب الشـيوعي في صيرورة التجربة الديمقراطية والنظام الدستوري فى السودان ، ونتمنى أن يكون الحـوار

حولها موضوعيا وخاليا من التشنج المرضي والتعصب الأعمى ، وان يحتكم الى المنطق و الحقائق ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه .

عادل عبد العاطى
30 أكتوبر 2002

اغتيال الشخصية فى ممارسات الحزب الشيوعى السودانى

تشكل ظاهرة اغتيال الشخصية ، معلما بارزا وسط سلبيات الحركة السياسية السودانية . وهى وان كانت ظاهرة عامة نجدها فى اغلب التيارات السياسيية السودانية ، الا ان الحزب الشيوعى السودانى قد تطرف فيها ، واستخدمها كاحد اسلحته الرئيسية فى الصراع السياسى .

واغتيال الشخصية هى مجموعة من الممارسات الهجومية ، التى ترمى الى تصفية الخصم اجتماعيا ، لا الى التحاور معه او الجدل الفكرى او السياسى مع اراءه ومواقفه . وتستخدم فيها الاشاعة والتشنيع والاتهامات المجانية التى تتعلق بشخصه وامانته واخلاقه ودوافعه، كما يتم فيها استخدام نصف الحقائق والاكاذيب والروايات الملفقة وغير المثبتة ، كل ذلك بقصد اغتيال شخصية الخصم وتصفية مصداقيته وحرق صورته الاجتماعية فى الحياة العامة .

واذا كانت ممارسات اغتيال الشخصية ، والتى تندرج تحت بابها اساليب الدعاية السوداء ، تعتمد فى الغالب على قنوات غير رسمية ، وعلى تسريب الاشاعة وترديدها شفهيا ، فان الحزب الشيوعى ، فى تطرفه وعماه ، قد استخدم فيها الوثائق ، سواء كانت الوثائق الداخلية المتداولة وسط عضوية الحزب ، او الوثائق العامة المطروحة للجمهور .

ويستخدم سلاح اغتيال الشخصية من قبل الشيوعيين فى الغالب الاعم ضد تلك العضوية التى خرجت من صفوفهم ، سواء عن طريق الاستقالة او الانقسام او التراجع غير المعلن . وفى عرف الشيوعيين ، الذين يروا حزبهم قمة لا تعادلها اخرى ، والذين تربط بهم علاقات تكاد تكون قبلية ، وتحت عقلية وتربية اللاتسامح والتعصب العقيدى والاستنفار التى يخضعوا لها ، فان كل خارج من حزبهم هو "متساقط" و ، وقد قال احدهم فى ذلك " ان السقوط من القمة يكون عموديا ".

الا ان اغتيال الشخصية يمارس ايضا مرات عديدة ضد العضوية العاملة فى الحزب ، وذلك فى الصراعات الحزبية المختلفة ، او فى اخضاع العناصر المتمردة والتى لها اراء مغايرة لاراء القيادة او المجموعة المتحكمة ، او ضد من لا يعجبهم لسبب ما ، مجرد شكله او هندامه او مظهره . ولا عجب فى ذلك ، ففى غياب الآليات الديمقراطية لادارة الصراع ، وتحت ظل الاراء التى ترى فى مخالفة للراى تكتلا وانقساما وتخريبا وردة ، لا تكون هناك من وسائل لادارة الصراع شريفة وواضحة ، وتصبح وسائل اغتيال الشخصية

والمؤامرات وتصيد الاخطاء والعزل الاجتماعى هى الوسائل الاساسية لابعاد الخصوم او كسر شوكة المعارضين .

كما استخدم الشيوعيين مرات كثيرة اساليب اغتيال الشخصية ضد عناصر من خارج حزبهم ، وان كانوا يوجهوها فى المقام الاول للعناصر التى لا حزب لها ، حيث قل ما استخدموها ضد خصومهم السياسين من قادة الاحزاب الاخرى او كوادرها ، وذلك لان هذه الوسيلة تصلح عندما تمارس من مجموعة منظمة ضد شخص منفرد ، لا يملك فى العادة ادوات الدفاع عن نفسه ، وتفشل اذا ما استخدمت ضد فرد هو جزء من مؤسسة ، تكون قادرة على الدفاع عنه بما تملك من موارد وادوات اعلام وقوة سياسية .

وقد اقتبس الشيوعيين وسائل اغتيال الشخصية فى معظمها من تراث الاحزاب الشيوعية الاخرى ، وخصوصا الحزب اللينينى – الستالينى ، ومن مؤلفات لينين ، والتى تترد فيها عبارات العميل والخائن والبرجوازى ضيق الافق والمرتد فى كل صفحة . بل لقد عنون لينين احد كتبه بعنوان " الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكى " ، ردا على قائد الاشتراكية الالمانية الذى اختلف معه ، وكلنا يعرف اتهامات الخيانة والعمالة التى كالها ستالين لكل من خالفه الراى او شكل تهديدا لموقعه ، من قادة الحزب البلشفى واصبحت ذريعة للتصفية الجسدية ، بالاغتيال والاعدام ، لاكثر من 90 بالمائة من قوام اللجنة المركزية للحزب والكوادر الشيوعية خلال سنين طغيانه الكالحة .

الا انهم فى السودان قد اضافوا اليها اساليب جديدة ، وخصوصا ما يتعلق بالتشكيك فى اخلاقيات وسلوكيات الشخصية المستهدفة . وقد استخدم هذا الاسلوب فى بلد كالسودان يتميز بالمحافظة فى التقاليد ، الامر الذى ادى الى ان يصبح الشيوعيين مماثلين للاخوان المسلمين وانصار السنة فى التضييق على حريات الناس الشخصية ، هذا طبعا فى حالة الاختلاف معهم . اما العناصر الخاضعة لهم والسائرة فى فلكهم فيجدوا لها كل عذر ولو خرجت عن كل عرف و مالوف .

لقد ادت حملات اغتيال الشخصية التى مارسها الشيوعيون ، الى تشوية سمعة العديد من المواطنات والمواطنين دونما ذنب جنوه ، والى تعميم اختلاقات وتابيدها لمدة سنين طويلة ، والى حالات عزل اجتماعى قاسية تعرض لها ابرياء ، والى نتائج ماساوية من الاكتئاب والمرض النفسى- او العزلة او الانتحار ، كما ادت فى حالات كثيرة الى ابعاد الشخصية المستهدفة من مجال العمل العام ، وضرب مصداقيتها وتقليل تاثيرها السياسى والاجتماعى . وادت بالمقابل الى تصعيد العداء تجاه الحزب الشيوعى من عناصر اخرى ،

اختلفت معهم فى رقى ، وكان يمكن ان تصبح صديقة وداعمة للحزب ، فاستعدوها هم بسياستهم الاغتيالية المشينة ، ودفعوها دفعا الى مواقع العداء للشيوعية والحزب ، كما ان اسلوبهم فى اغتيال الشخصية قد استعمله بعض الخارجين عليهم ، فكالوا لهم من نفس المكيال ، وخير مثال لذلك احمد سليمان المحامى فى كتابه الشهير مشيناها خطى .

اننى فى الفقرات اللاحقة اذكر بعضا من النماذج التى مارس فيها الشيوعيين حملات اغتيال الشخصية ، ضد شخصيات من حزبهم ، او خارجة عنهم ، او شخصيات مختلفة عنهم فى خلال تاريخهم الطويل ، وهذه هى النماذج التى اعرفها ، ومما لا ريب فيه ان الكثير قد فاتنى ، ما دامت الظاهرة تستعمل على كل المستويات ، فى المنطقة الصغيرة فى الحى او المدينة او القرية ، او على المستوى الوطنى العام ، وبذلك فان رصدها عسير على شخص واحد ، حتى تتوافر يوما امكانية تجميع كل النماذج او اغلبها ، وخصوصا تلك التى ادت الى نتائج ماساوية ، والتى استخدمت فيها احط اساليب اغتيال الشخصية .

- كان اول سكرتير عام للحزب الشيوعى السودانى (الحركة السودانية للتحرر الوطنى كما كان يسمى وقتها) هو عبد الوهاب زين العابدين عبد التام ، احد ابناء قادة ثورة 1924 ، ومناضل ممن بنوا لبنات الحزب الاولى ، وقد ابعد بفظاظة فى العام 1947 من قيادة الحزب بدعوى انه حصر نشاطه فى عمل احزاب الطبقة الوسطى واتهم بالانتهازية (راجع كتاب لمحات من تاريخ الحزب الشيوعى السودانى لعبد الخالق محجوب) ، وان كان البعض يرى انه ابعد نسبة لاصوله النوبية - الجنوبية ، حيث رفض اولاد الشماليين ان يقودهم " عب" ، حسب تحليل د. فاروق محمد ابراهيم .

- كان مصير السكرتير العام الثانى عوض عبد الرازق ، وهو قائد شيوعى ملهم وخطيب مفوه ، مماثلا لمن سبقه ، حيث ابعد بتهمة الانتهازية فى عام 1949 ، وطرد من الحزب ، وكان ذنبه الوحيد هو ميله للعمل الجماهيرى ، اى ان الاختلاف كان حول اساليب العمل ، وليس حول المبادى او البرامج .

- فى العام 1952 ، وحينما حاول عوض عبد الرازق انشاء تنظيم خاص به ، اسماه الجبهة الوطنية ، وصف بالانتهازية واليمينية والانقسامية ، وطردت مجموعات كاملة من الحزب بدعوى انها من جماعة عوض عبد الرازق . وكان ممن ابعدوا المناضلة د. خالدة زاهر ، لمجرد ان زوجها كان من مؤيدى عوض عبد الرازق (راجع كتاب لمحات

من تاريخ الحزب الشيوعى وشهادة خالدة زاهر لمجلة الشيوعى عشية الاحتفالات بالعيد الاربعين للحزب).

- فى نفس العام ، وعندما كان لاحد قادة الحزب الحاليين ، الاستاذ التجانى الطيب ، اراء مخالفة وتصورات مختلفة لسياسية الحزب ، اتهم بالانتهازية اليسارية ، وشن هجوم ضار ضده ، وجد انعكاسه بعد عشر سنوات فى كتيب لمحات من تاريخ الحزب ، الا انه "اكلها " وسكت ، ليعود لتوجيه الاتهامات من بعد الى مخالفيه فى الراى فى التسعينات بالتصفوية والانتهازية الخ .
- فى العام 1958 ، طرح اثنان من اعضاء اللجنة المركزية ، فكرة تحويل الحزب الى حزب ديمقراطى جماهيرى ، يكون مؤهلا لخوض الانتخابات وفوزها ، فووجهوا بهجوم عنيف عليهم فى صحافة الحزب الداخلية ، وابعدوا من قيادة الحزب ، وكان الاتهام لهم هو التصفوية والانتهازية واليمينية (كتاب لمحات)
- فى فترة حكم عبود تمت احد المجاز الرهيبة ، فقد ابعد محمد السيد سلام ، رئيس اتحاد العمال واحد قادة الحزب الشيوعى واحد القادة النقابيين الافذاذ ، ووصف بالعمالة والانتهازية والخيانة ، وسطرت فى خيانته مئات البيانات ، لمجرد ان كانت له تكتيكات مختلفة فى العمل السياسى والنقابى ، ووجدت كل هذه الاتهامات طريقها الى كتاب "ثورة شعب" ، والذى اصدره الحزب بعد ثورة اكتوبر ، وبعد الثورة ونتيجة لدعاية الشيوعيين ، وقوتهم النسبية ، ابعد الرجل عن العمل النقابى رغم مؤهلاته العالية وقدراته الفذة ، وقد اعترف بذلك الخطا النقابى محجوب سيداحمد بعد ثلاثين عاما ، بان سلام " ما خان ولا باع قضية العمال ،بس كان عندو اسلوب مختلف فى العمل النقابى والسياسى " جاء ذلك فى حوار مطول اجراه مع الكاتب على هامش مؤتمر اتحاد النقابات العالمى فى وارسو فى اوائل التسعينات .
- فى نفس الفترة ابعد قائد الحزب فى مديرية النيل الازرق ، واتهم بالانتهازية اليسارية وبالتامر على الحزب ، وذلك لانه ... دعا الى الاضراب السياسى العام فى المديرية (راجع كتاب ثورة شعب) كما بسبب الخلاف الروسى السوفيتى ،ونتيجة لوقوف الحزب مع السوفيت ، فقد ابعدت فى نفس الفترة كوادر قيادية ، مثل يوسف عبد المجيد واحمد شامى ، وحينما كونوا من بعد حزبهم الخاص ، الحزب الشيوعى -

القيادة الثورية ، وصفوا بالانقسامية والتخريب وسخر منهم واطلقت عليهم الاشاعات بانهم مارسوا السرقة والنهب المسلح .

- فى العام 1966-1967 شنت حملة ضارية من قبل صحافة الحزب ، على الشاعر صلاح احمد ابراهيم ، مؤلف دواوين غابة الابنوس وغضبة الهبباى ، بعد اختلافه مع السكرتير العام وخروجه من الحزب ، وان كان بلسانه اللاذع لم يترك الحبل على القارب للناهشين فيه ، فدبج فيهم المقالات ، الامر الذى اضطرهم الى ايقاف حملاتهم ضده ، حينما اتضح انه لا يقل فى الهجومية وسلاطة اللسان عنهم .

- فى العام 1968 ، اطلقت اشاعات حول السلوك الجنسى للقائد العالى الفذ قاسم امين ، عضو قيادة الحزب ، ضمن مسلسلات الصراعات الداخلية ، وتم تحقيق بشانه ، وادين كذبا وتم انزال نتيجة التحقيق لكل الفروع ، الامر الذى حطم هيبة هذا القائد فى الحزب ، وادى الى ابعاده الى براغ ، حيث بقى بها سنوات حتى تم استدعاءه فى السبعينات من قبل قيادة الحزب ، فى قرار طائش ادى الى اعتقاله وموته فى السجن .

- بعد انقلاب مايو ، اتهم الشيوعيون وزير الشباب والرياضة فى حكومة مايو ، الدكتور منصور خالد ، وهو احد العناصر التى لم تكن تتبع لهم ، بانه عميل للمخابرات الامريكية . ولم يكفوا عن ترديد هذه التهمة طيلة 20 عاما ، حتى تحالفهم مع تنظيمه فى التجمع الوطنى الديمقراطى ، حين كفوا عن ترديها . ولا تزال التهمة تتابع الرجل وتنتشر فى الحياة السياسية ، ويسئل عنها فى المقابلات الصحفية .

- بعد انقلاب مايو وانقسام الحزب الشيوعى ، شنت الحملات على المنقسمين كلهم دون تمييز ، واتهموا بالعمالة والخيانة والردة الخ الخ من القاموس الشيوعى ، كما اتهمت عناصر بانها سرقت اموال الحزب (محمد عبده كبج) ، كما كتبت مجلة المنظم ، المجلة الداخلية للحزب الشيوعى فى الثمانينات ، عن اختلاسات مالية قام بها احمد سليمان فى عام ... 1967 ، ويبقى السؤال انه اذا صح ذلك فلماذا بقى عضوا بقيادة الحزب لمدة اربع سنوات لاحقة !! ولم ينج من هذه الحملة لاحقا ، الا العناصر التى رجعت الى حظيرة الحزب ، مثل سمير جرجس وفاروق ابو عيسى- وفاروق محمد ابراهيم (وان لم يسلم الاخير من الاتهامات ، بعد اختلافه الثانى معهم ، راجع رد التجانى الطيب عليه فى مجلة قضايا سودانية العدد الخامس)

- ورغم ان المجموعة التى طردت من الحزب ، والمسماة بالمنقسمين ، قد اختلفت فيما بينها ، ووقفت مجموعة منها بوضوح ضد سياسات السفاح ، مثل الحاج عبد الرحمن ، احمد عثمان سراج ، عمر مصطفى المكى ، ودخول بعضهم سجون مايو ، الا ان الشيوعيون لم يسامحوهم ، وحينما توفى عمر مصطفى المكى ، وهو احد مؤسسى الصحافة الشيوعية وكتابها ، رفضت الميدان العلنية ان تنعيه ، الامر الذى جعل البعض يلومها على ذلك ، وفى جنازة قاسم امين ، وحينما حضر لمراسم الدفن احد المفصولين ، ميرغنى المحسى ، وهو شخص معوق ، تعرض الى الضرب والشتم من بعض متطرفى الشيوعيين .

- يحكى النقابى محجوب سيد احمد ، انه بعد الانتفاضة ، حين حضر المناضل الحاج عبد الرحمن ، القائد العمالى الفذ ، نائب اتحاد العمال عن دائرة عطبرة 1968 ، احد قيادى اتحاد القوى الوطنية الديمقراطية الى مقر جريدة الميدان فى فترة الديمقراطية الثالثة ، رفض التجانى الطيب ان يمد يده له !! الامر الذى جعل الحاج عبد الرحمن يبكى ، ويشتكى لمحجوب سيداحمد ، الذى اعتذر له مبررا ذلك بحدة طبع التجانى الطيب وانه زول صعب (من حوار مع الكاتب)

- فى العام 1984 ، وبيانا على اقوال مبهمة فى بيان لسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، حول انقسام جامعة القاهرة الفرع ، اطلقت شائعات حول الاستاذ جعفر كرار بانه ضالع فى الانقسام ، وانه "يتبلى " على الحزب الشيوعى ، وتمادى اعضاء الحزب فى جامعة الخرطوم ، بانه عضو فى جهاز الامن ، وهى كلها اكاذيب لا حظ لها من الصحة ، وقد حاولنا والاخ عبد الله القطى تفنيدها فى حينها ، الا ان مخاطباتنا لم تنشر قط . وكان تبرير التهمة بانه عضو فى جهاز الامن ، بانه يتحدث ضد النظام ، ولا يعتقل !!

- بعد الانتفاضة ، وحينما كتب نفس الشخص ، رسالة للدبلوم فى الاعلام ، حول الاضراب السياسى بتركيز خاص على دور الحزب الشيوعى ، ثمن فيه هذا الدور ، ارتفعت الاصوات عن مصدره للوثائق الحزبية ، وكلها وثائق قديمة ، وقد زودته انا والصديق عثمان الباشا ببعض منها ، وزوده بالبعض الاخر اعضاء للحزب من وزارة الخارجية . وعند التحقيق الحزبى معهم ، انكر هؤلاء فى جبن ان يكونوا قد سلموه هذه الوثائق ، ليؤكدوا الاشاعات بانه حصل عليها من عمله بالامن ،

وذهبت احداهن ، فى جبن رخيص ، الى ابيها ، احد مخضرمى العمل السياسى ، والذى كان الاستاذ جعفر يسجل مذكراته ، لتحذره من هذا الامنجى ، الامر الذى ادى الى ان يطرده هذا الشيخ المحترم ، نتيجة لهذه الاشاعات المغرضة .

- ورغم ان الاستاذ جعفر كرار قد ساعد الحزب كثيرا ، ورغم انه قدم طلبا لعضوية الحزب ، لم يات عليه الرد ابدا ، فقد تمت ضده هذه الاتهامات . وعندما حاولت معرفة سببها ، كان رد معظم من يرددها ، يا خى دا زول كلامو كتير ، ويا اخى دا زول منظر ساكت ، ياخى دا زول بتاع مشاكل ، دون ان يقول احدهم انه يصدق فعلا انه رجل امن . واتضح ان الامر كله تغذيه حالة ثرثرة مرضية فى فرع الحزب بجامعة الخرطوم وعدم استلطاف شخصى لا غير .

- بعد الانتفاضة ، اطلق الشيوعيون ، اشاعات لا تسندها اى دلائل ، حول الاستاذ امين مكى مدنى ، بانه عميل للمخابرات الامريكية ، كما اطلقت نفس الاشاعات ، على وزير الدفاع حينها ، اللواء عثمان عبد الله.

- فى العام 1987 ، طردت احدى الزميلات من فرع الحزب بجامعة القاهرة الحزب ، وذلك نتيجة لاتهامات من بعض الزميلات ، تتعلق بسلوكها . وكانت الزميلة المعنية ، وهى قمة فى النشاط ، قد جمدت لسنوات طويلة ، كمرشحة ، وطردت دون اى ادلة بصحة ما نسب اليها . وعندما سالت احد المسؤولين عن اتخاذ القرار ، كيف ياخذوا الناس بالشبهات ، اجابنى " الحاصل شنو يا زميل ، انت قايلنا محكمة ولا شنو ؟ " اى انهم لا يخضعوا لاجراءات المحاكم من ضرورة اثبات التهمة . والثابت عندى ان الاتهامات والقرار هما فرية كبيرة ، وكان فصل الزميلة ابعادا لاحد العناصر المشاكسة ، ونتيجة لمشاكل شخصية –بناتية – لها مع من وجهوا لها الاتهام .

- فى العام 1988 ، طردت قيادة الجبهة الديمقراطية بعطبرة ، وهى تنظيم يسيطر عليه الشيوعيون ، زميلتين من الجبهة الديمقراطية ، وذلك لان لهم معرفة بشاب معروف بانه " بتاع بنات" . وعندما تدخلت لدى قيادة الجبهة الديمقراطية ، بناء على طلب احدى الزميلتين ، اتضح ان لا دليل لهم على اى سلوك غير لائق للزميلتين ، وان كل الامر مربوط بخلافات شخصية وسط بعض البنات بالمدرسة ، وتصريح بعضهن بانهن لن يدخلوا الجبهة ، ما دام فيها هاتين الزميلتين . فكان ان ضحى بهم كبش فداء !! ولم تفلح كل مجهوداتى فى اعادتهم لصفوف الجبهة ، امام

تعنت من فصلوهم ، رغم اعترافهم بخطا قرار الفصل (يرجع فى تحقيق ذلك الى قرشى ، عبد الله ، عبد العظيم ، معتز الخ من قيادة فرع الطلاب والجبهة الديمقراطية بعطبرة انذاك .

- فى اوائل التسعينات ، حاول احد عناصر جهاز الامن ، عن طريق احدى عميلاته ، عضوة الحزب الشيوعى ، ان يجند لجهاز امن السلطة ، الاخ على عمر على ، عضو امن الحزب ، الذى نقل الامر برمته الى رئيسه الامنى بالحزب الشيوعى ، والذى طلب منه ان يحتفظ بصلته مع هذا العنصر ، وان يستحصل من الزميلة المعنية باعتراف خطى بعملها للامن . وقد كان . وعندما تصاعدت الضغوط عليه من هذا العنصر ، طلب منه رئيسه ، مسؤول امن الحزب ، السفر لعدة اشهر الى مدينة اخرى . وقد كان . وعندما رجع ، وجد ان الجميع يتحدثوا عن صلته بالامن ، ويتهموه بالعمالة للامن ، نسبة لمعلومات ثرثر بها ، فى جلسات سكر ... رئيسه فى امن الحزب . الامر الذى ادى الى دخوله فى ازمة نفسية عميقة ، وانقطاع صلته بالحزب . بينما واصلت "الزميلة " صاحبة الاعتراف الخطى ، وصاحبة " الضهر " ، تواجدها بالحزب دون اى مشاكل .

- وعندما خرج الاخ على من ازمته ، وسافر الى الخارج ، وفى نهاية التسعينات قرر الانضمام الى احدى الاحزاب الاخرى (قوات التحالف) ، اشاع الشيوعيين فى ذلك البلد ، بانه عميل للامن ، فى محاولة لحرقه من جديد . . وقد كتبت رسالة الى مسؤول الامن بقوات التحالف اؤكد فيها ثقتى بالاخ على عمر ، الامر الذى تم تقبله ايجابيا ، ولم يعودوا من ذلك الوقت الى ترديد هذه التهمة الكاذبة .

- فى العام 1995 ، وبعد خروج الاستاذ الخاتم عدلان من صفوف الحزب الشيوعى ، وتاسيسه للحركة السودانية للديمقراطية والتقدم ، ومن بعد لحركة حق ، اتهمه الشيوعيون بانه ضرب من اموال الحزب ، مبلغ 6 الف دولار . ثم تراجعوا تحت الضغط ، للقول بانه جمع تبرعات باسم الحزب ، دون موافقة منه . وفى الاولى والثانية كانوا كاذبين . والحقيقة هى ان البعض من داعمى الحزب ، ونسبة لعدم معرفتهم باى تفاصيل عن مصير دعمهم ، اتصلوا بالاستاذ الخاتم ، وابدوا له عدم رضاهم عن الطريقة التى يتم بها صرف دعمهم . فاوصاهم الاستاذ الخاتم بان لا يدعموا حتى يتاكدوا من مآل الدعم ، وطرح عليه البعض فكرة تاسيس صندوق مستقل

لدعم الانتفاضة والعمل المسلح ، الامر الذى شجع عليه استاذ الخاتم ، وفى كل ذلك لم تكن هناك اى تبرعات مباشرة او غير مباشرة استلمها الخاتم باسم الحزب .

- وتبريرا لسلوكياتهم ضد الاستاذ الخاتم ، وتقليلا لقيمته ، زعموا بانه لم يكن عضوا فى اللجنة المركزية ، وان قرار تصعيده الى سكرتارية اللجنة المركزية ، وهى هيئة اعلى من اللجنة المركزية ، هو قرار استثنائى . ولعمرى فان هذا تبرير عجيب ، لحزب لم يعقد مؤتمره العام منذ 35 عاما ، وكل قيادته الحالية ، بما فيها السكرتير العام ، غير مختارين من عضويتهم او من مؤتمرات ، ومعينين فى ظروف استثائية .

- كما اطلق الشيوعيون اشاعات ، ردد بعضها فى قائمة درب الانتفاضة للتراسل والحوار ، بالشبكة العالمية ، ان الاستاذ الخاتم ، قد شارك فى مؤتمر للوسطية الاسلامية ، اشرفت عليه المملكة العربية السعودية ، دعا فيه الى الوسطية الاسلامية ، وتلقى لذلك دعما ماليا من السعوديين !! وهذا دجل تكشفه كل وثائق حركة حق ، وكتابات الاستاذ الخاتم ، ومواقفه الواضحة من كل الدعوات المتسترة بالدين ، وخطه المدنى العلمانى الواضح .

- وفى النصف الثانى من التسعينات ، وبعد اذاعة تلفزيون النظام لشريط الاستاذة فاطمة احمدابراهيم الشهير ، فى معسكرات المعارضة ، ونتيجة لمواقفها الواضحة ضد الاحزاب التقليدية ، وخصوصا ضد الصادق المهدى ، حليفهم آنذاك ، فقد اصدر مكتب الخارج للحزب الشيوعى ، بيانا يدين فيه الاستاذة فاطمة ، وكانت عضويتهم تردد بلا خجل ، ان فاطمة "خرفت " ، اى تتحدث حديثا لا عقل فيه .

- وقد ردد الشيوعيون اتهامات اخرى ، ضد قوات التحالف السودانية ، فى الاعوام 1994-1996 يتهموها بخرق حقوق الانسان ، فى مسايرة واضحة لحملة حزب الامة التى قادها ضد ذلك التنظيم ، الا انهم ما لبثوا ان تراجعوا عن ذلك لاحقا ، وكان ذلك من قبيل المنافسة السياسية ، وان كانوا لا يزالوا يرددوا هذه الاتهامات وسط عضويتهم .

- وفى بداية عام 2002 ، ونتيجة لمنافسة سياسية بينهم وحركة حق فى هولندا ، اصدر فرعهم فى هولندا ، بيانا ينفى فيه ان يكون الاخوة امجد ابراهيم وعبد القادر همت عضوان سابقان فى الحزب الشيوعى ، مع توفر كل المعلومات بذلك ، وذلك

ضربا لمصداقيتها . واعتمادا على مقال بالوان ، حاولت عناصرهم فى هولندا وفى شبكة الانترنت ، ان يربطوا بين حركة حق والوان ، ووقوف الوان خلف حركة حق وعناصرها فى هولندا ، وغيرها من الترهات .

- وآخيرا وليس اخرا ، احكى من تجاربى الشخصية ، انه قبل الانضمام الى صفوف الحزب الشيوعى او الجبهة الديمقراطية ، وعند دخولنا المدرسة الثانوية ، فى عام 1982 ، قمنا مع مجموعة من الاصدقاء ، منهم بكرى جبريل ، وعلى خليفة ، وطارق عبد الرحمن ، وآخرين بتاسيس نشاط ثقافى ضخم ، كان منه تاسيس جمعية اصدقاء الشعر الحديث ، وكانت لنا تحرشات بالاخوان السلمين ، ولهم بنا تحرشات . حدث حينها ان سال مسؤول الطلاب فى عطبرة ، عضو الحزب حينها (الوحيد والخامل) فى مدرستنا واسمه عوض سعيد ، عن مجموعتنا التى احدثت ضجة ، وهل لها توجه سياسى معين ، فكانت اجابته : " ديل اولاد لوا...طة ساكت " . وقد عاتبته من بعد على وصفنا بهذه الكلمة البذيئة ، والتى لا تنطبق علينا ، فاعتذر بانه لم يكن يعرفنا !!!

عادل عبد العاطى
17 اكتوبر 2002

غواصات الشيوعيين بالامن والاحزاب الاخري: ممارسة سياسية قذرة وآثار نفسية مدمرة

درج الشيوعيون السودانيون ، علي زرع جواسيس لهم ، بالاجهزة الامنية المختلفة، وفي الاحزاب الاخري ، من اقصي يمينها الي اقصي يسارها، ممن اسموهم بالغواصات، كما سموا كل العملية تغويصا، ويبدو انهم هم من اتي بالمصطلح الي معجم الحياة السياسية السودانية.

وقد زرع الشيوعيون غواصاتهم عن طريقين: الاول هو ارسال اعضاء موثوق بهم من طرفهم ، للانضمام الي تلك الاحزاب، وهم فيحقيقة الامر اعضاء ملتزمين بالحزب الشيوعي، ويعملوا لصالحه، والثاني هو استمالة اعضاء من تلك الاحزاب، والتاثير عليهم ، حتي يصبحوا اعضاء في حزبهم ، وفي نفس الوقت الطلب منهم بان يبقوا باحزابهم القديمة، وان ينقلوا ما يدور بها للشيوعيين.

ان هذه الممارسة بلا شك قد حققت للشيوعيين الكثير من المعرفة بما يدور في اجهزة الامن المختلفة ، المايوية او اجهزة الانقاذ، ولا اعرف هل كانت لهم غواصات في زمن عبود، كما حققت لهم اختراق العديد من الاحزاب الاخري، وانجزت لهم ليس معرفة ما يدور فيها فحسب، وانما مرات كثيرة اتاحت لهم التاثير علي قراراتها وشل قدراتها او توجيهها في الاتجاه الذي يرغبون .

تجارب تاريخية:

وقد كان من اهم غواصات الشيوعيين " الناجحة" في تاريخهم الطويل، هما العقيد عبدالمنعم محمد احمد (الهاموش)، والمقدم عثمان حاج الحسين (ابوشيبة) ، واللذان نجحا في تغويص انفسهم ، في تنظيم احرار مايو العسكري، وذلك بعد تفكك تنظيم الضباط الاحرار، ومحاولة النميري ومجموعته بناء تنظيمهم الخاص، باسم تنظيم احرار مايو

يقول محمد محجوب عثمان ، عضو التنظيم العسكري الشيوعي لسنوات طويلة ، وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني، وشقيق عبدالخالق محجوب عثمان ، سكرتير الحزب التاريخي، في كتابه << الجيش والسياسة في السودان>>، والذي ارخ فيه لسيرة التنظيم الشيوعي العسكري داخل الجيش : (اثنين من قيادة التنظيم الشيوعي العسكري، بحكم ظروف سابقة ، كانا قد تمكنا من اختراق تنظيم احرار مايو ، وتبوءا اماكن بارزة في تشكيلته القيادية ، هما العقيد عبدالمنعم محمد احمد، قائد اللواء الاول مدرعات، والمقدم عثمان الحاج حسين -ابو شيبة- ، قائد الحرس الجمهوري) الجيش والسياسة في السودان - ص 69

كانت هذه ضربة معلم ، فقد كان قادة مايو يثقوا في هذين الشخصين ثقة عمياء، وخصوصا كان النميري يثق ثقة مطلقة في المقدم ابشيبة ، والذي كان قائدا لحرس نميري الجمهوري، وقد استفاد الشيوعيون من كل ذلك ، حينما تم تهريب عبدالخالق محجوب من معتقله في مصنع الذخيرة الحربي بالشجرة ، واخفي لاسابيع عديدة في منزل المقدم ابشيبة ، داخل .. القصر الجمهوري .. يقول محمد محجوب عثمان((: تم نقل عبدالخالق الي مخبأ كان فوق تصور كل اجهزة الامن العديدة. تم اخفاء عبدالخالق محجوب في غرفة بالطابق الاعلي، في منزل المقدم عثمان حاج حسين (ابو شيبه)، قائد الحرس الجمهوري، وهذا المنزل يقع داخل سور القصر الجمهوري، اي علي بعد مسافة مائتي متر من مكتب الرئيس نميري. ظل عبدالخالق محجوب في ذلك المخبأ، واجهزة الامن تقلب في طوب الارض داخل العاصمة المثلثة بحثا عنه، حتي وقوع انقلاب 19 يوليو)) المصدر السابق- ص 63.

لم تكن الفائدة كامنة في معرفة كل ما يخططه نميري وتنظيمه ، وليس في اخفاء عبدالخالق فحسب، وانما في تنفيذ انقلاب 19 يوليو ، والذي قام به التنظيم الشيوعي العسكري، وقد كانت القوي الضاربة في تنفيذ الانقلاب؟، واعتقال نميري وقيادات مايو ، هي قوات الحرس الجمهوري، وقوات اللواء الاول مدرعات ، والتي كان يشرف عليها هذان الغواصتان ، واللتين زرعوا فيهما عناصرهم التي ولاءها الوحيد لهم ، وللحزب الشيوعي.

ان كل من تحدثوا وكتبوا عن التخطيط المحكم لانقلاب 19 يوليو ، والسهولة والسرعة التي تمكن بها من الاستيلاء علي السلطة ، قد افاضوا في الحديث، ولكنهم جميعا تعاموا او سكتوا عن الدور الفعال، الذي لعبته عملية التغويص هذه، والتي كانت من اهم عوامل نجاح الانقلاب، بما وفرته من عنصر المفاجاة والضربة من الداخل.

وقد أكد عضو الحزب الشيوعي الاستاذ طه جعفر الخليفة الريفي هذه الممارسة في شهادة له بموقع سودانيز اونلاين ، حيث قال (ان التغويص بالنسبة للحزب الشيوعي ضرورة ليتبين ما الذي تخفيه ادوات الاعداء الطبقيين له و ليس الاعداء الرومانسيين و الحالمين من النقاد و الكتاب المفوهين علي الورق . هل هنالك اعتد من الديمقراطيات الاوربية و ديمقراطية امريكا هل التغويص ليس اسلوبا معروفا لديهم . بدون هذا التغويص كنا لن نستطيع الحفاظ علي ارواح الكثيرين و بدون هذا التغويص كنا لن نستطيع معرفة ملابسات مقتل الدكتور علي فضل و مقتل الشهيد عبد المنعم رحمة و غيرهم كثيرين و لولا هذه الغواصات ما كنا لن نستطيع ايضا اتخاذ قرار تسفير كاتب البوست الي المهجرالامن !!!!!! . و سؤال سيظل لمصلحة من هذا الجهد . و عبر الغواصات سنعلم !!!!!!.)) – الاستاذ طه جعفر – مساهمة بموقع سودانيز اونلاين. كوم – بتاريخ 18-4-2004 - http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=15&msg=1088507465&rn=37

الاثار المدمرة للتغويص:

الا ان الفوائد السياسية والتنظيمية التي حصل عليها الشيوعيون ، تقابلها من الجهة الاخري الاثار المدمرة لهذه الممارسة ، علي كل من الحركة السياسية السودانية واخلاقياتها، وعلي نفسية هؤلاء الغواصات نفسهم، الامر الذي ادي ويؤدي الي نتائج مدمرة وماساوية

فمن الجهة الاولي، فان سيادة هذه العقلية ، وانتقالها الي احزاب اخري، وخصوصا الحركة الاسلامية وحزب البعث، قد افسد السياسة السودانية ، وجعل من ممارستها شيئا قذرا ، مربوط بالكذب والتجسس والنفاق، وجعل الناس لا تامن العضوية الملتزمة معها في حزبها، اهم اعضاء مخلصين، ام هم اعداء مستترين ، واشاعت كل الممارسة جوا

من التجسس المتبادل، وانعدام المبدئية ، وعدم معرفة المسؤوليات عما يتم عمله وتسريبه ، واختلط الحابل بالنابل، وضاعت المبديئة والشفافية وروح التعامل الواضح في كل هذا العفن والتغويص المتبادل

اننا في حالة كهذه ، لا نعرف ان كان السكرتير العام للحزب الشيوعي مثلا، هو عضوا حقيقيا فيه، ام غواصة لحزب آخر، كما لا نعرف ان كان محمد الحسن الامين ، ليس بعثيا علي سبيل المثال ، ولا نعرف هل ما يمارسه اوباش الشيوعيين في البورد ، يمارسوه من واقع عضويتهم في الحزب ، ام من منطلق انهم مغوصون من الكيزان ، داخل هذا الحزب الذي بدأ اختراق الاخرين ، ويزعم الان انه مخترق من القمة للقاعدة - راجع بيانات سكرتارية المديرية الاخيرة-

وقد اشار الاخ بن بن ، وهو من المحسوبين علي الشيوعيين بالبورد، الي خطورة هذه الظاهرة ، ووضح اضرارها البليغة ، وقد اتفقنا معه في رايه ، ولكننا قد سالناه سؤالا مباشرا : هل يمارس الحزب الشيوعي هذه الظاهرة ، ففضل الصمت المريب .. وهو يعلم ونحن نعلم ، ان الحزب الشيوعي لا يمارس هذه الظاهرة فقط، بل انه هو من ابتدعها ، وقد جاء في الاثر ان من ابتدع بدعة سيئة ، فعليه وزرها ووز من عمل بها ، الي يوم القيامة .

ومن الجهة الثانية ، فان هذه الممارسة ، لها آثار نفسية مدمرة ، علي هؤلاء الغواصات ، والذين يعيشوا حياة مذدوجة ، ويقضوا معظم حياتهم وهم يكذبون ، ويخفوا افكارهم ومعتقداتهم الحقيقية ، وهم يعيشوا وحدة قاتلة ، فامام اعضاء حزبهم الحقيقي، هم لا يستطيعوا اظهار انفسهم ، الا لواحد او اثنان من الكوادر التي تشرف عليهم ، وهم في حزبهم الجديد - الذي هم غواصات فيه - لا اصدقاء لهم ، حيث ان الكل عدوهم ، اما من يثق فيهم ويصادقهم من اعضاء التنظيم المخترق، فهم لا يستطيعوا ان يفضوا لهم بما في قلوبهم ، اذ هم يخدعوهم طول الوقت

ان هذه الحالة في الدمي الطويل تؤدي الي الانشطار النفسي ، والاكتئاب ، وكراهية الذات ، وغالبا ما يصل الغواصة الي كراهية تنظيمه الاول ، الذي دفعه الي ان يكون انسانا مخادعا هكذا ، لا اصدقاء له ، ولا ضمير له ، كما ان قناعات الغواصة تتغير مع

الايام ، حيث يعيش هو في بيئة مغايرة تماما لمعتقداته ، ولكنه مضطر الي مسايرتها ، وغالبا مع الايام تبدأ هذه البيئة الجديدة في التاثير عليه ، وربما يصل للاعتراف للجهة التي اخترقها بانه غواصة ، ولا يلبث هؤلاء ان يطلبوا منه ان يستمر في دوره كعميل مذدوج ، ولكن هذه المرة لصالحهم ، وتغدو الدائرة بالنسبة له مغلقة ، مهما كان خياره.

تجارب شخصية:

لقد اتفق لي ان رايت تجربة ماساوية كهذه ، حينما كنت اعمل في مجال ما ، فان احد "الزملاء" من اعضاء الحزب الشيوعي، قد بدأ في التحول التدريجي ، ومهاجمة الجزب ، ثم استقال ، ثم انضم للجبهة الاسلامية .. عندها بدأ الشيوعيون في محاربته واحتقاره والصاق اقذع النعوت به ، وكانوا يكرهونه كراهية حقيقية .. واذكر انني كلما رايته ، كانت ملامح حزت عظيم ترتسم في عينيه ، وكنت اعجب لذلك . ولم نكن نتبادل السلام بطبيعة الحال ، بعد فعلته تلك ، حتي التفيته مرة في شارع مظلم ، وكنا وحدنا ، فنظر الي تلك النظرة المايئة بالالم ، وقال لي بصوت خافت : عادل سلامات .. رددت عليه حينها السلام لدواعي المجاملة ، وكم كانت دهشتي لفرحه الكبير ، ثم لم يقل شيئا واختفي سريعا .

مرت الايام من بعد ، لاعرف ان الرجل هو غواصة "لنا"، في الجبهة الاسلامية ، في ظل ظروف درامية ، افضل الا اخوض فيها الان . ولا ازال حتي الان ، رغم مرور السنين ، اتذكر ذلك الحزن الهائل ، في وجه وعيون ذلك الشخص ، كما اذكر الفاظ الشتم والقذف والكراهية ، التي كان يبديها تجاه الشيوعيون ، ممن لم يعرفوا طبيعة "تحولاته " الحقيقية.

كما تابعت تجربة كهذه ، في احد المجالات الطلابية الخارجية (روسيا) حينما غوصت الجبهة الديمقراطية ، احد ابناء مدينتنا ، واحد افضل من عرفتهم من المناضلين والثوريين ، غوصته في تنظيم مؤتمر الطلاب المستقلين .. واذكر اني كنت في زيارة لذلك البلد، وسالت عن هذا الشخص، فاجابني الشيوعيون بكل حقد ، بانه انقسم وسقط وخان .. الخ الخ من قاموسهم .. رددت عليهم علي الفور ، وانا لا اعرف عماذا

يتحدثون : اذا كان فلان قد خان او سقط ، فانا اول الساقطين ، واذا كان قد تخلي عنكم ، فانكم اذن اردأ الناس والتنظيمات.

مرت الايام لاعرف ان هذا الشخص لم يخن او يسقط ، وانما غوص داخل المستقلين ، ولكن ولانه انسان ثوري ، فانه لم يستمر كثيرا في هذا الدور، وبدا في كراهية من دفعوه الي هذه السلوك ، وتحول فعلا الي مستقل ، وقدم الكثير لتنظيم المستقلين ، وفضح الجبهة الديمقراطية وممارساتها ، وبقي بعد هذا كله في الصف الوطني ، ولا يزال.

من هو الغواصة؟ :

ان نفسية الغواصة تحتاج منا هنا الي تحليل ، فلماذا يقبل انسان سوي ، بهذا الدور القذر، وما هي الدوافع التي تفرض قبول خيار كهذا، علي شخص يعتقد انه مناضل ثوري؟

يكون اغلب الغواصات اناس مخلصون جدا لقضيتهم ، مخلصون لدرجة انهم يمكن ان يضحوا باشياء كثيرة ، ومن بينهم العلاقات الاجتماعية ، والمناخ الذي ينتمون اليه ، لصالح ما يؤمنوا به ، وهم يظنوا ان في نبل القضية التي يناضلوا من اجلها، ومستعدين هم لكل هذه التضحية في سبيلها، ما يعوض عما يفعلوه من ممارسات ، وعن التضحيات المقدمة

كما يكون الغواصة في العادة انسانا هادئا، منضبطا، متحكما في نفسه الي اقصي الحدود، وهو انسان لايخلو من ذكاء، تستدعيه طبيعة المهمة الموكلة اليه ، ودرجة التخفي التي ينبغي ان يمارسها

الا ان الغواصة بكل ما فيه من اخلاص وانضباط وذكاء، لايعلم هو حجم الجحيم، والمعاناة ، والتمزق النفسي، الذي يرمي نفسه فيه، والذي لا يتصور هو مداه ، حيث لا يظهر الا في التجربة ، وهي تجربة تمتد سنينا ، يندمج فيها الغواصة في المحيط الجديد ، وينشط لاجله - من اجل ان يكاسب مصداقية -، وينعزل فيه عن محيطه الحقيقي - لكيلا ينكشف- ، ما عدا اتصالات سرية خاطفة ونادرة ، مع رؤسائه المشرفين عليه

ان اجهزة المخابرات العالمية ، والتي تستعمل مسالة العميل المذدوج ، توصي بعد فترة محددة، بسحب العميل المذدوج، حيث انها تعرف، ان هناك مرحلة لا يكونفيها هذا العميل متوازنا، ويبدا فيها في عدم تمييز موقفه الحقيقي، في ظلالحياة المذدوجة التي يعيشها، وتكون فيها امكانية الانهيار، اوالانتقال الي الخندق الاخر، اسرع مما يتصور الجميع

اما احزابنا الغبية ، فهي لا تعرف شيئا من ذلك ، وتود لو تحتفظ بغواصتها مغوصا الي ابد الابدين ، ولا تحفل هي بوضعه النفسي ، ولا بالاثار النفسية المدمرة ، التي تجلبها طبيعة هذه الممارسة ، علي شخصيته ونفسيته ونظرته لنفسه والاخرين والعالم .. ان الغواصات عندنا في السودان، غالبا ما يصلوا الي تغيير القناعات ومعاداة تنظيمهم الاول الذي غوصهم في الاخرين ، او الانهيار ، او الانتحار.

الشيوعيون ومأساة التغويص:

اننا هنا نتسائل ، لماذا يحكم الحزب الشيوعي، علي مجموعة من انقي البشر ومن افضل الثوريين ، بان يسيروا في هذا الدرب الفظيع ، ولماذا يضحي بهم كبشر، من اجل ان يعرف معلومة ، لو كان له تحليل سياسي جيد لادركها من صفحات الجرائد، وهل المكاسب السياسية والتنظيمية مهما عظمت، تساوي قيمة تدمير انسانية انسان، واجباره علي معايشة الكذب، وقضاء سنين في الزيف، والحياة حياة مذدوجة ، وحيدا بلا صديق، خائنا بلا رفيق، ومحكوم عليه بالادانة من قبل الجميع ؟

اننا علي خلفية كل ذلك ، لا نستغرب اطلاقا ، ان يظن الشيوعيون في اعضائهم الظنون، وان تكفيهم مجرد اشارة من قيادتهم ، بان فلان خائن او عميل او غواصة ، ليصدقوها، دون ان يسالوا عن ادلة او عن تحقيق، ودون ان يضيرهم ان هذا الفلان قد امضي ثلاثين عاما عضوا في حزبهم ، ودخل السجون ، وقدم التضحيات ، فهم حين يغوصوا اعضائهم بالسنين داخل الاخرين، فما الذي يمنع في رايهم ، ان يكون للاخرين وسطهم غواصات

قيل ان اكثر الناس شكا في الاخرين ، وتخوفا منهم ، هو الحرامي .. فالحرامي ينظر للاخرين، بعين نفسه، ولانه يري في كل مكان فرصة للسرقة ، فهو يعتقد ان الجميع هم مثله، مستعدين لهذه الفرصة ، وينووا السرقة

ان الحزب الشيوعي الذي حفر حفرة للاخرين ، قد وقع فيها، واذا كان الشيوعيون قد بداؤا مشوار التغويص، فان الاخرين قد لحقوا بهم فيه، والمصيبة ان لهؤلاء الاخرين من الادوات ومن الامكانيات ومن العناصر المتعصبة المؤمنة ، اكثر مما للشيوعيين الان، وخصوصا بعد ان انهارت ايدلوجيتهم ، وتشلع حزبهم

انني احاول ان اجد عذرا لبعض الشيوعيين في البورد، في تصديقهم الاعمي لهذه الاتهامات المجانية ، وهذه البيانات الركيكة ، وهذه الادانات القاتلة ، تصدر من حزبهم، تجاه رفاق قادة في تنظيمهم ، ثم يتلقفوها هم بالتصديق المطلق، ويرددوها بحقد قاتل ، وينفثوها نفث العقارب للسم ، ويلغوا بها كالذئاب، في لحم رفاق الامس القريب.

والعذر الذي احاول ايجاده، هو ان هؤلاء البشر، يعرفوا جيدا ممارساتهم، ويعرفوا جيدا ان لهم غواصات، ويعرفوا جيدا الية وميكانيك التغويص، وهم بذلك غارقون في الشكوك، محكومون بانعدامالثقة في اقرب الرفاق، ومتحسبين ان في كل منعطف غواصة تتربص بهم، كما انهن يتربصوا في الاخرين، وفي كل موقع جاسوس راصد لهم، كما هم راصدين للاخرين

الا ان هذا ليس بعذر، وخصوصا اذا ما كان الانسان سويا، طيب الطوية ، سليم النية ، ثوريا وديمقراطيا، يناضل من اجل حقوق البشر، ويحترم كرامة الانسان ، ويمارس نضاله في وضوح، يقول ما يفكر به ، ويفعل ما يقول ، ثم لا يكون من تفكيره وفعله وقوله الا الخير

الا ان الشيوعيين ليسوا هكذا، فهم في منافيهم الاختيارية المريحة ، يختفوا خلف اسماء حركية بالية ، ولا يقولوا ما يفكروا به ، ولا يفعلوا ما يقولوا، وهم لذلك ، لا يروا في اي من ينتقدهم ، انسانا يختلف معهم فكريا وسياسيا، بل يتصوروه في مثل صورتهم ،

يقول شيئا ويفعلشيئا، فهو خائن، وعميل ، ويسعي الي ارضاء الكيزان ، وهو فاشي، وساقط ، وغواصة ، الخ الخ من هذا القاموس الممجوج

الشيوعي الطوطمي وعبادة الاصنام :

ان الشيوعي يعيش في رعب حقيقي، خوفا من ان يتراجع ويسقط ، فهو في ايمانه الاعمي ، وعقليته القطيعية ، لا يتصور ان صنمه المعبود، الحزب الشيوعي، يمكن ان يكون علي خطأ، بل هوعلي خطا اذا ما ساورته الشكوك، واختلفت ارائه ، عن اراء الصنم.. ولذلك فهو في حالة من الدفاع الذاتي الدائم، يعمد الي التطرف ، واتهام الاخرين ، والتشنيع عليهم الي اقصي حد، وذلك كي يردع نفسه، وكي يرهبها، وكي يغلق عليها اي امكانية ، لسماع صوت العقل، او الانصراف عن الصنم

وفي الحقيقة فان ما يعيشه الشيوعيون ، ليس جديدا، وانما هو حالة كل عبدة الاصنام، بدئا من عبدة الطوطم البدائيين، مرورا بعبدة الاصنام القدماء، وصولا الي عبدة نقد الحديثين .. وقد كتب فرويد وليفي اشتراوس عن هذا الامر الكثير ، فعابد الطوطم يفضل ان ياكله او يجرحه او يلدغه الحيوان الطوطمي ، الذي يعبده، اسدا كان ام ذئبا او ثعبانا،عن ان يواجهه ويواجه خوف نفسها، وضعفها امام الطوطم والصنم. إن كل هذا كذلك، يفسر لنا كيف يصمد العديد من الشيوعيون امام الانظمة الدكتاتورية ، بكل قضها وقضيضها، ولا يهابوا امنها ولا تعذيبها، ثم ينكسروا في مهانة، امام عجوز متهالك من قيادتهم ، لا يملك من امر نفسه شيئا، وهو ما هو عليه ، من الجمود، وانعدام الموهبة ، والفظاظة، والفشل، والضعف الفكري والسياسي والانساني.

ان عابد الطوطم البدائي ، اذا ما كان طوطمه ذئبا مثلا ، فهو ليس بقاتله ولو اكل اطفاله، وهو يحبه ويهابه في نفس الوقت، ولكنه قادر علي مواجهة اسد او نمر او دب، طالما انه ليس بطوطمه، مع ان الاسد اكثر قوة وشراسة من الذئب، ولكن كل شي ياتي من الايمان ، ومن الخوف ، ومن الرهبة والحب والكره.

انني استغرب لعدد من الشيوعيين ، ممن اثق بشرفهم ، وعدد من الديمقراطيين ، ممن اثق باخلاصهم ، واعرف ان الاولين والاخريين هم من المنافحين الصادقين عن حقوق

الانسان، ومن الثوريين الذين لا يشق لهم غبار ، ولا ينكسروا امام الاعداء، كيف ينكسروا امام ممارسات صارخة في الظلم ، وساطعة في الاجرام ، وجارحة في اتضاح خطلها وبطلانها؟

ما بال الاستاذ صدقي كبلو ، الانسان الذي يعمل من اجل حقوق الانسان ، يتجاهلها حينما يمتهنها ويخرقها قادة حزبه ؟؟ ما بال الرجل الذي دخل سجون مايو ، ثم سجون الانقاذ، ولم يلن امام ايا منهما، يصبح لينا تبريريا، امام ممارسات رفاقه، وما بال الانسان الحساس تجاه الظلم في كل نكان، يصبح اصما اعمي، عن جرائم حزبه ، وعن فظاظتها ، وعن ركاكتها ، وعن مخالفتها ليس فقط لابسط مبادي العدالة ، بل للائحة حزبهم نفسها؟

ما بال الصديق علي العوض، يكذب نفسه ، ويصدق الميدان ، ما باله بعد كل نبله ، وحساسيته، واخساسه بالعرفان، تجاه زميل سابق، عرفه في السجون والمعتقلات ، يصدق وريقة صفراء، ولا يصدق الانسان؟؟ ما بال للاوهام هذه السطوة ، وما بال للاسماء هذه الهيبة ، وما بال الرث والحقير والضعيف والكاذب، يكتسي عندي البعض صفة المقدس والجميل والقوي وقمة الصدق؟

لقد قال لي صديق، ممن يعرف اعضاء سكرتارية مديرية الخرطوم للحزب الشيوعي السوداني، حق المعرفة ، وممن يعرف نفسياتهم، وضعفهم الانساني، ومواطن قوتهم وقصورهم ، عندما سالته لماذا يسرع هؤلاء الرجال، الي القاء مثل هذه الاتهامات غير المحققة، ويرموها خبط عشواء، ان هؤلاء لو غلبتهم في الكوتشينة، لاتهموك بانك في الامن !! ولكن من لا يعرفهم ، ويظنهم قديسين ، انما يخدع نفسه، وانما يعبد وهما، وانما يخضع نفسه لصنم من خشب.

وللحديث بقية ..

عادل عبد العاطي

2003/1/10

تهافت الشمولية

مرة أُخرى عن دور الحزب الشيوعى فى تخريب التجربة الديمقراطية (1 من 2)

بمبادرة كريمة، قام محررو الملف السياسي باعادة نشر مقالي الموسوم: <<دور الحزب الشيوعي السوداني في تخريب التجربة الديمقراطية والنظام الدستوري في السودان>>، ورد السيد المهندس معتز أحمد محمد أحمد، عضو الحزب الشيوعي السوداني عليه، وذلك في عمود "ديوان الملف"، (الراي العام، أعداد 10، 17، 23فبراير و3مارس 2005) في خطوة اعتبرها المحرر "محاولة لفتح نافذة تطل عبرها رؤى شبابية نيرة.. لوضع الاصلاح الحزبي وتحديد موجهات نقدية للتجربة.."، وهي محاولة تجد مني كل التشجيع، رغما عن اني لا اعد نفسي من جيل الشباب، وانما من الكهول، لان من يقترب من الاربعين لا يعد شابا الا في السودان، وكذلك رغما عن الطابع المختصر – والمتقادم– لمقالي الذي تمت اعادة نشره، والذي لو تمت كتابته اليوم، لإغتني لا بد بملامح وتفاصيل جديدة، من إضافات الواقع السياسي السوداني الغريب.

وقد استبشرت خيرا كثيرا، عندما كتب المحرر ان الرد سيكون من طرف المهندس معتز احمد محمد احمد، المقيم بالخرطوم، وقد كان الاستبشار لانني فهمت انه من العناصر الشابة في عضوية الحزب الشيوعي، وانه مقيم بالسودان، قريب من موقع الحدث، الامر الذي يعطي للحوار معه قيمة اضافية، وخصوصا ان المقال قد لقى اهتماما فاق حجمه وظروفه التي كتب فيها، وكان ان رد في وقته عليه الاستاذ ود مجذوب من قطر، ردا اعتبره موضوعيا الي حد كبير، وكان ان ساهم حوله بالتعليق الاستاذ صدقي كبلو، في مساهمة موضوعية، اضافة الي مساهمات اخري عديدة من بعض الشيوعيين، كانت اقرب الي ادبيات الشتم والردحي، منها للنقاش الموضوعي والباحث عن الحقيقة.

اقول اني استبشرت الخير، ولكن يبدو ان ليس كل ما يتمني المرء يدركه، وان ليس كل شاب يعبر بالضرورة عن فكر جديد، او عن مقاربة جديدة للقديم، وانما في كثير من المرات نجد الشباب "الواعد" يعيد انتاج القديم التالد ويبدد امكانيات الجديد الصاعد، كما قد تبدي لي في مقال المهندس معتز، الامر الذي اناقشه باختصار في الفقرات التالية:

تهافت عبدالعاطي وتهافت الشمولية:

عندما كتب الغزالي كتابه<<تهافت الفلاسفة>> ، قدحا في الفلسفة ونقدا لها، رد عليه ابن رشد بكتاب <<تهافت التهافت>>، وعندما كتب برودون سفره << فلسفة البؤس>> ، رد عليه ماركس بكتاب <<بؤس الفلسفة>>، وفي كل تلك الحالات، لم يلجأ ايا من اولئك الرجال العظام – كل بطريقته وفي مجال ما - ، الي التشنيع بالخصم في العنوان، وانما ركزوا علي الموضوع الاساسي، وان استخدموا كلمات التهافت والبؤس، عنوانا لسجالاتهم الكبيرة.

اليوم اذ يعنون المهندس معتز مقاله بالعنوان الرئيسي: <<تهافت عادل عبدالعاطي>> ، دون ان يشرح للقارئ ماذا يعني بالضبط بكلمة التهافت، واين يتجلي بالتحديد تهافت عادل عبدالعاطي، وحينما يصفنا بالسقوط (من مسيرة الحزب) وقلة الشغلة الخ، فهو انما يخرج عن التقاليد السجالية الادبية والفكرية، الي باب شخصنة القضايا والاساءة الي الخصم الفكري، في امر لا نستغربه من الشيوعيين، مما يندرج عندنا ليس في تهافت المهندس معتز شخصيا، وانما في تهافت الشمولية عموما، وهي التي تنطق بلسان المهندس معتز، وتتجلي في كامل منهجه السجالي المنثور في مقاله البهى.

نقول ان الشمولية متهافتة، وذلك ان كل معاني الكلمة تنطبق عليها، فالتهافت وفقا للسان العرب يعني ضمن ما يعني السقوط والبلي، وخصوصا السقوط في الشر، والشمولية ساقطة دائمة في الشر، وبالية من قبل ان تقوم، وساقطة تاريخيا في المحصلة ، كما يعني التهافت التطاير من الخفة، ولا اخفّ في الميزان الفكري من دفوعات الشمولية، والتي تتطاير خفة ولا بد من سندها بالهجوم الشخصي، والمتهافت كل من وما انخفض واتضع، ولا شي في زماننا هذا قد انخفض واتضع شانه مثل الشمولية، وخصوصا الشمولية الشيوعية البائسة، والتهافت هو السقوط قطعة قطعة، ولا بنيان يتفكك اجزاءا مثل الشمولية، والمتهافتون هم من سقطوا موتا، وقد ماتت الشمولية ورجالها ابشع موت، وتساقطوا ايما تساقط، والمتهافت هو العيي الاحمق، ولا حمق ولا عيي اكبر من الدفاع عن الاحزاب الشمولية وممارساتها، ولا تهافت اكبر من الدفاع عن التهافت الحقيقي، اوما اسماه ابن رشد ب"تهافت التهافت".

نقول اذن ان عنوان المهندس معتز ليس صدفة، وانما هو من لب المنهج الشمولي، والذي يترك القضية ليهجم علي الفرد، وله في تعبيرات لينين عن المرتد كاوتسكي،

والمحرف بيلخانوف، واليساري الطفولي بانيكوك، وتشنيعات الشيوعيين السودانيين عن الانتهازي عوض عبدالرازق، والعميل محمد السيد سلام، والتحريفي عمر مصطفي المكي ، والانقسامي الخاتم عدلان، الخ ، قدوة غير حسنة له، رغم ان عبدالخالق محجوب قد حذرهم من كل ذلك، حين كتب في وثيقة <<إصلاح الخطأ في العمل بين الجماهير>> التالي: "واخيرا ونحن بصدد المواضيع في صحافتنا الجماهيرية، لا بد ان نشير الي موضوع الاشخاص. علينا ان لا نتناول موضوع الاشخاص الا بمقدار ما تؤدي اعمالهم الي عرقلة تطور بلادنا، والا نلجأ الي المهاترة او الالفاظ النابية او الي معالجة قضاياهم في ابتذال واسفاف. اننا نناضل في سبيل دعوة سامية ونعرف دور الافراد في التاريخ، ولهذا فيجب الا نعطيهم جانبا اكبر مما يستحقون في صحافتنا، وان نتعفف عن الخوض في المسائل الفاضحة، مستمدين هذا من سمو مثلنا الشيوعية ومن اخلاق شعبنا" (إصلاح الخطأ في العمل بين الجماهير، الطبعة الثانية، يناير1984 ، صفحة 65)

هذا ما كتبه عبد الخالق وهو يحاول ان يحرر حزبه من بعض أُطر الشمولية قبل اربعين عاما ونيف، ولكن من اين للشمولية وهي تتساقط ان تسمع لمثل ذلك القول، بل هي تمضي في طريقها الحتمي للانهيار، ترمي الاخرين بالسقوط والتهافت وقلة الشغلة وغيرها من خفيف القول ومتهافته، وتقع علي الشر وقوع الفراش علي النار، ولا غرو، فالمتهافت منتحر ميت وان ظن انه يتعلق باسباب الحياة.

نقول كل هذا لاننا سئمنا من تجريح الشيوعيين لخصومهم، ولاننا بدلا من منهج الاساءات الشخصية نحاول ان نناقش لب القضايا، ونحاول توثيق قولنا ما امكننا، ولا نذكر الافراد الا لماما، لان القضية عندنا ليست شخصنا او شخص محاورينا ، وانما ما يعبروا عنه من افكار ومواقف، وما يدافعوا عنه من ممارسات ومؤسسات، ولذلك فاننا لا نعنون هذا الرد باسم المهندس معتز ولا غيره، ولا نبحث في تهافته او تهافت رفاقه او قادته، وانما في تهافت منهجه وحزبه الشيوعي، وهو موضوع نقاشنا الرئيسي، في هذه العجالة.

بين الحزب الحديدي والحزب الالكتروني:

في اطار تهافت المنهج الشمولي، ننظر الي التعريض المستمر الذي يمارسه بعض الشيوعيون تجاه الحزب الليبرالي السوداني، وهو الحزب الذي انتمي اليه، ووصفه

بالحزب الالكتروني، كما فعل المهندس معتز، في محاولة لتقليل شانه، دون ان يوضح علاقة هذا الحزب الالكتروني بالنقاش الدائر، ودون ان يفرد مقالا او اكثر ، او فقرة او اكثر، لايراد اعتراضاته علي الحزب الليبرالي، كما اوردنا نحن اعتراضاتنا على الحزب الشيوعي، وكذلك ننظر الي الهجوم علي تقنيات الاتصال والنشر الحديثة، مثل الانترنت، والتعريض بجموع السودانيين المهاجرين بالخارج.

يقول مهندس معتز : "نلمح في مقال الأستاذ عادل , ما يصلح لأن يكون ديدنه المتواصل في إبتسار وإبتذال تجربة الحزب طوال حوالي الستين عاماً (منذ تأسيس أول نواة لحزب شيوعي في السودان في 1946) , في بعض المواقف التي يعزلها بجرأة واضحة عن سياقها التاريخي وظروفها الموضوعية ليصل لمبتغاه في تجريم الحزب الشيوعي , وهو نوع من الكتابة يصلح لأن يتناوله الأستاذ في مقالاته الإنترنتية التي يواصلها منذ سنوات بهمة يحسد عليها - في منفاه الإختياري - مفترضاً فيها أقصر الطرق لتأسيس حزبه الليبرالي (الإلكتروني) , حيث يقع في خطأ سبقه إليه كثيرون من الإنقساميين والخارجين على عباءة الحزب بمختلف الأسباب وهو إفتراض أن السبيل لنمو كياناتهم المبتدعة هو في مهاجمة الحزب الشيوعي ورصيده الفكري والسياسي والجماهيري , وهي محاولة قد نغض الطرف عنها عندما تكون معزولة في فضائها السايبيري حيث يصلح الجدل الدائري والبيزنطي كوسيلة لربط المغتربين والمتغربين بالسودان ." (الراي العام، عدد 23 فبراير 2005)

انني لن اناقش هنا مفاهيم الابتسار والابتذال، ولا تصوير النقد المشروع كمحاولة للتجريم، كما اصرف نظرا عن المعلومة المغلوطة حول تاريخ نشوء اول نواة لحزب شيوعي في السودان، والتي لا ترجع الي العام 1946 كما يقول المهندس معتز، فالمقام لا يسع كل هذا، وانما اركز علي الحديث القادح في الحزب الليبرالي بوصفه حزبا "الكترونيا" ، وفي التهكم علي احد ادوات النشر الاكثر تقدما (الانترنت)، وفي السخرية من المغتربين و"المتغربين" عن السودان، في منفاهم الاجباري او الاختياري، مما فلت رغما عن المهندس معتز في كلماته غير الموزونة.

نقول في سياق حشر الحزب الليبرالي قي نقاش لا علاقة له به، اننا لا نستغرب هذا الموقف من بعض عضوية الحزب الشيوعي، هذا الحزب "من طراز جديد" والذي يقال عنه انه منضبط انضباطا حديديا، وحقيقة رغم اننا لم نر مثل هذا الانضباط الحديدي

ولا الخشبي، فاننا يمكننا القول ببساطة ان الحزب الشيوعي هو حزب حديدي بحق، ببنيته غير المرنة، وعصيانه علي التغيير، وبمآله الذي وصل اليه، وخصوصا ان الحديد يلحقه الصدا والبلى، مما يجعله يتساقط في النهاية، كجزء من عملية التهافت المحتومة. نقول اننا لا نستغرب هجوم اهل الحزب الحديدي علي اي حزب ديمقراطي جديد، لانهم لا يروا فيه الا انه منافس لهم، او يحلم بوراثتهم، وكانما هناك شي ليورث، فاستحق بذلك عندهم، كل العداء والشتم والتحقير.

اما وصف الحزب الليبرالي بالالكتروني، وتسمية مقالاتي بالانترنتية، فلم اعرف حقيقة مدلولاته، فهل لان الحزب له موقع بالشبكة العالمية؟ الحزب الشيوعي ايضا له موقع بالشبكة العالمية، بل وغالبية الاحزاب السودانية.. هل لان بعض مقالاتي تنشر بالصحف الالكترونية، كل ناشط وصحفي وناشر جاد يفعل ذلك الآن، ولماذا يتم غض الطرف عن شي عندما ينشر بالانترنت، ولا يغض الطرف عنه عندما ينشر بصحيفة يومية، وهل الانترنت هو فضاء معزول كما يزعم مهندس معتز، ام هو اكثر الفضاءات انفتاحا وديمقراطية وانتشارا؟ وهل الجدل البيزنطي خارج الانترنت افضل منه داخله، وما المشكلة في ان يرتبط المغتربين و"المتغربين" بالسودان، ام يريد لهم المهندس معتز (كما الانقاذ) ان ينفصلوا عن قضاياه، وان ينفكوا عنها؟؟

في ظني ان "المهندس" معتز ومن يسير سيره، في كامل اسقاطاته السابقة، ينطلق من موقف محتقر ومعاد للانترنت وما يسميه بالفضاء السايبيري، وهو موقف متخلف لا نستغربه من الشيوعيين الذين حاربوا كل النظريات والانجازات الحديثة في وقتها، فرفضوا السيبرنيتيكا وقاموموا علم الجينات وتجاهلوا الفيزياءالكوانتية، وسخروا في كل مكان من الانجازات الجديدة في الفلسفة والتقنية وعلم الجمال والادب الخ ، متحجرين في نظرياتهم الجدانوفية العقيمة، ولم يضروا في ذلك الا انفسهم، عندما كانوا خارج السلطة، ومجتمعاتهم التي اوصلوها للتخلف التقني، عندما سيطروا علي بلاد ما بقوة الشمولية القاهرة. ان السخرية اليوم من اداة اعلام واتصالات جبارة كشبكة الانترنت، والتعريض بالنشر عبرها، يشبه عندي ان يسخر احد الوراقين (نساخي الكتب) من الكتاب المطبوع عندما ظهر للوجود، او ان يعرِّض "الصائغ" في قري الشمالية بالراديو، الذي يمكنه نقل نفس الخبر الذي يصيح به، في لحظة واحدة الي اطراف العالم الاربعة، دون الحاجة الي صياح، او اعتلاء ظهر دابة.

بين المغتربين والمتغربين والنفي الاجباري والاختياري:

أما السخرية من جموع المهاجرين السودانيين، بالصاق كلمة "المتغربين" بهم، او الاشارة الي منافي البعض الاختيارية، فهو منهج شمولي منقول مباشرة من خطاب الانقاذ مباشرة، فماذا تعني كلمة متغرب هنا، وهل يظن مهندس معتز ان انسانا يغترب او "يتغرب" عن وطنه بمزاجه، او ان احدا يسكن المنفي "باختياره" ؟ حقيقة ان كلمتي المنفي والاختيار تتناقضان، فالهجرة يمكن ان تكون اختيارية، والمنفي لا يكون اختياريا ابدا، ولا نعرف من المنفيين من اختار منفاه او واقع النفي، ولا نعرف عن جموع المغتربين والمهاجرين واللاجئين والنازحين السودانيين، إلا انهم ضحايا الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي البائس في السودان، والذي فرض عليهم الخيارات المرة للخروج من الوطن، وانهم ضحايا حكم الانقاذ تحديدا، ممن اجبر جلهم علي الهجرة واللجوء والاغتراب وهم مرغمون!

فان ياتي اليوم مهندس معتز، عضو الحزب الشيوعي السوداني، ليصف بعض هؤلاء انهم "متغربين"، وليسخر ممن يبحثوا منهم عما يربطهم بالسودان، واصفا حواراتهم بالجدل البيزنطي، مما يحوز له غض الطرف عنه، فهذا مما يضير مهندس معتز ولا يضيرهم ، وهو الذي يجعل من وجوده بالسودان "مِنّة" ، يظن انها تؤهله للهجوم علي غيره من المواطنين السودانيين، ممن رمت بهم الظروف خارج الوطن، ولكنهم مع ذلك مرتبطون به، او يحاولوا الارتباط به.

لقد تعاملت المعارضة التقليدية للانقاذ، وفي القلب منها التجمع والحزب الشيوعي، تعاملا انتهازيا وغير مسؤولا تجاه جموع المغتربين والمهاجرين واللاجئين السودانيين بالخارج، فهي قد شجعت الكثيرين منهم علي الخروج من السودان، وهي قد تاجرت بقضيتهم في المحافل الدولية، وهي قد بحثت عن دعمهم المالي والسياسي عندما احتاجت لهم، لكنها لم تسع ابدا لحل قضاياهم او تبنيها، ولم تعمل علي استيعابهم في اطرها، او الاستفادة من امكانياتهم لدعم القضية الوطنية، وكانت تعاملهم دائما كمواطنين من الدرجة الثانية، لمجرد واقعة انهم خارج السودان، في نفس الوقت الذي كانت فيه القيادات الاساسية لهذه المعارضة ، ولا تزال، خارج السودان.

إننا بالمقابل ننظر لهؤلاء المواطنين كمواطنين كاملي الاهلية، لهم حق المشاركة في القضايا الوطنية، وعلي الاحزاب واجب اشراكهم بقدر جهدهم في مواقع صنع القرار السياسي، والاهتمام بقضاياهم ومصالحهم المشروعة، وعدم الهزء منهم وتحقيرهم، نتيجة لخروجهم من البلاد لاسباب في القلب منها ممارسات النظام الجائر، والوضع السياسي والاقتصادي المأساوي الذي اوصلت اليه النخب المختلفة البلاد، ولكن للشمولية راى آخر.

في الجزء الثاني من هذا الرد سنكشف بعض راينا في مغالطات المهندس معتز وتزييفه لبعض مقولاتنا وتشويهه لبعض لحقائق واعترافه ببعضها الاخر في منهج تبريري اعتذاري لا يفيد في تطوير التجربة وعملية الاصلاح السياسي المرتقب.

عادل عبد العاطي

5 مارس2005

الفصل الثالث: حول الشيوعي السوداني والحزب الشيوعي و الشيوعية السودانية

اللعب الكلمات
أو فرويد على الطريقة الشيوعية

في شهر أكتوبر الحالي ، وعلى قاعدة عدد من الحوارات حول الحزب الشيوعي السوداني في منبر سودان نت للحوار، هذه الحوارات التي لم تخلو من حدة من اغلب المشاركين فيها ، والتي كان لي طرف المشاركة فيها ، استرعت اهتمامي مشاركة متميزة ، لأحد المشاركين ، ممن يوقع مساهماته باسم الصافي . والمشاركة قيمة وان كانت مبتورة ، حيث لم يواصلها الكاتب كما وعد ، وان كنت أتمنى إن يرجع إليها بالتفصيل والإضافة . في هذه العجالة أناقش بعض ما ورد في هذه المساهمة ، و لأهمية الثيمات المطروحة فيها ، فإنني أورد منها هذه المقاطع الطويلة ، حيث يكتب الأستاذ الصافي ، وتحت عنوان <<عادل عبد العاطي وثقافة الحوار>> ما يلي :

<<اعتمادا علي كل ما سبق نستطيع الآن أن نقرا في كتابات الزميل السابق عادل عبد العاطي ونجد دونما عناء التركيز الكثيف ((علي مستوي المواضيع التي تناولها وعلي مستوي اللغة التي استخدمها)) علي كونه مختلفا في كل كبيرة وصغيرة مع الحزب .((بداية بالوعي المبكر بالوجود الحقيقي للحزب بعد الانتخابات ورأيه الشخصي- في رؤية الحزب حول هذه الانتخابات وانتهاءا بموقفه في موضوع صديقه امجد)) وموثقا لهذا الاختلاف ((الإشارات التاريخية لأوراق تم رفعها من عطبرة بها آراء ويسال منها زملاء محددين. وسؤال الزملاء بجامعة القاهرة الفرع وحتى سؤال قوات التحالف عن أحد الموضوعات وسؤال الزملاء ببولندا والمساهمة في (قضايا))).

كلها شذرات يحاول جاهدا تحميلها لاكثر من مدلولاتها بطمس وتغيب التفاصيل الأخرى في المختلف فيه والمختلف معه باعتبار إن المسائل هي معطاة ..هذا الإغفال المتعمد هو تحديدا ما يوحي برغبة الكاتب المستترة خلف الخطاب بضمير حاضر وطاغي علي الكتابة نفسها بغرض السيطرة علي وعي المتلقي الذي هو بعيد عن هذه التجربة التي الّم الكاتب بكل نواحيها وبشكل مطلق لا رجعة فيه علي غرار ((وشهد شاهد من أهلها)).

ويذكر الكاتب لهذا المتلقي النتائج المتحصل عليها بغرض الاتفاق معه علي محاربة هذا الحزب فرسم الكاتب صورة عبارة عن شخص واحد تسبب في كل المشاكل فهو الذي فصل أول سكرتير للحزب وكال إليه الشتائم وكذلك فعل بالثاني عوض عبد الرازق

وقاسم هذا الشخص له صفة الانتشار في كل الهيئات تاريخيا وجغرافيا وعلي مستوي كل الفروع فهو نفسه الذي كال التهم لامجد ولعلي عمر وله هو شخصيا ..رسم الكاتب هذه الصورة ببراعة فائقة لا تفوقه فيها سوي براعته في تفريغ المصطلحات من معانيها فبالاستفادة من وجود معرفة سابقة لهذه المصطلحات لدي المتلقي يعتمد الكاتب علي تثبيتها وفق ما يراه ومثال لذلك ((اغتيال الشخصية الذي يتحدث عنه)) وربما ذهبنا لأبعد ونري الجذور الأساسية لرغبة الاختلاف عند الكاتب إذ يبدو إنها هي نفسها التي دفعت الكاتب بادئا ذي بدئ للدخول في ((ولا نقول للانتماء إلى))الحزب الشيوعي السوداني .فلكونه حزبا مختلفا عن سائر الأحزاب السياسية السودانية .ولكونه_الكاتب_مختلفا عن سائر السوداني كان لا بد وان يدخل في هذا الحزب المختلف فقط ليختلف معه .>>

في هذه الفقرات ، ورغم بعض عدم الدقة في استعمال بعض المصطلحات أو الضمائر ، والتي قد تكون حكمتها ظروف الاستعجال ، إلا أننا نجد حزمة من المصادرات ، يمكن إجمالها في التالي :

- تحميل عادل عبد العاطى لوقائع معينة دلالات ليست لها.
- إغفال تفاصيل أخرى تناقض نتائج الكاتب .
- سيطرة رغبات معينة على الكاتب تدفعه إلى محاربة الحزب الشيوعي .
- محاولة تعميم رغبات الكاتب على المتلقي من خلال جذبه في اتجاه هذه المحاربة .
- محاولة الكاتب السيطرة على وعى المتلقي البعيد عن التجربة وإيصاله إلى نتائج نهائية اعتمادا على تجربة الكاتب .
- تسطيح الشخصية في صورة عضو الحزب وافتراض شخصية واحدة تطغى على الحزب وتحميلها مسؤولية كل الأخطاء .
- تفريغ المصطلحات من معانيها واستغلال معرفة المتلقي السابقة لها .
- سيادة رغبة الاختلاف عند الكاتب بالانتماء لحزب مختلف ثم الاختلاف معه .

إن هذا الدرب في تحليل النص ، باعتماده على منهج التحليل النفسي- ، وبعض تقنيات التحليل اللغوي يجد مناكل التقدير . وقد دعونا من قبل إلى استخدام مناهج علم النفس وعلم النفس الاجتماعي في دراسة الظواهر الاجتماعية والسياسية . وقد حاولنا تطبيق هذا المنهج في دراساتنا عن الأستاذ محمود محمد طه ، وحركة الأخوان الجمهوريين ، وفرقة الخوارج ، وفي دراسات تاريخية وأدبية أخرى . ولا ريب انه يثير اهتمامنا أن نصبح نحن مادة لدراسة من هذا القبيل . إلا أن الأخ الصافي في استخدامه لهذا المنهج يذهب بعيدا في مصادراته ، ولا يحاول أن يثبتها بدلائل لها من داخل النص المناقش - النصوص- أو خارجه ، الأمر الذي نحاول إثباته في الفقرات التالية .

يبدأ الصافي بإثبات رغبة عبد العاطى في تثبيت الاختلاف فيقول :" اعتمادا علي كل ما سبق نستطيع الآن أن نقرا في كتابات الزميل السابق عادل عبد العاطي ونجد دونما عناء التركيز الكثيف ((علي مستوي المواضيع التي تناولها وعلي مستوي اللغة التي استخدمها)) علي كونه مختلفا في كل كبيرة وصغيرة مع الحزب " .

ثم يمضى الصافي لإيراد مقاطع أوردها عادل عبد العاطى لاثبات هذا الاختلاف ، وهى مقاطع من مصادر مختلفة ، من بينها استقالة الكاتب في العام 1996 ، ومساهمات أخرى للكاتب ، ونقاشات في منبر سودان نت . ولا يحاول الصافي أن يرجع إلى حدود الاختلاف اليوم ، وما هي الكبيرات والصغيرات المختلف عليها ، وهل هناك أي قواسم مشتركة للكاتب لا تزال مع الحزب الشيوعي ، كما لا ينظر إلى التطور في مواقف الكاتب من التأييد إلى الاختلاف ، بل يجعل ثيمة الاختلاف هي السائدة ، حسبما يوحي بان عادل عبد العاطى يريد لها الإثبات .

إلا إن الصافي يعتقد إن هذا الاختلافات المذكورة والموثقة ، إنما هي شذرات يحاول عادل عبد العاطى تحميلها اكثر من مدلولاتها . وهنا يقع الصافي في ثلاثة تناقضات أساسية :

1. **لا يوثق الصافي لمسيرة الاختلاف ، لاثبات حقيتها ومشروعيتها او عدمها ، على العكس من عادل عبد العاطى الذى وثقها في تطورها التاريخي .**
2. **اعتبار هذه الاختلافات ، والتي أدت إلى قطع الصلة بين عادل عبد العاطى والحزب الشيوعي ، بفعل درامي هو تقديم استقالة مكتوبة ومسببة وعلنية ، وردت فيها حيثيات الخلاف وصيرورته ، اعتبارها مجرد شذرات محملة لأكثر من مضامينها ، هو عدم إدراك لجدية الاختلاف أو رغبة شديدة في تجاهله .**

3. لا يحاول الصافي ، عندما لم يناقش تاريخية الوقائع ، وعندما اقر ضمنيا بصحتها ، أن يستخلص مداليلها الحقيقة المزعومة ، وان ينزع الحجب عن تحميلها لمدلولات من خارجها ، الأمر الذي اتهم به الكاتب .

إلا أن الصافي ، و لاثبات مقولته في تحميل الأحداث والوقائع اكثر من مدلولاتها في منهجية الكاتب ، يذهب إلى أن مشروعية زعمه تكمن في أن عادل عبد العاطى يمارس تحميل الوقائع لاكثر من مدلولاتها " بطمس وتغييب التفاصيل الأخرى في المختلف فيه والمختلف معه باعتبار إن المسائل هي معطاة ."

مرة أخرى لا يقدم الصافي قر ائته هو للوقائع ، ولا يتحدث عن المغيب من التفاصيل الأخرى في المختلف فيه .. إننا لن نناقش المختلف عنه – الحزب الشيوعي هذه المرة – باعتبار إن موقع القراءة مختلف ، إلا أن ما يهمنا هو تفاصيل المختلف فيه . إن المؤرخ لتاريخ الاختلاف في كل هذا السرد هو عادل عبد العاطى ، ويبدو إن تاريخه ليس آنيا ، أي محكوم بظروف آنية ، و إنما هو مستمر وموثق ، وقد وجد ذروته في خطاب الاستقالة ، واستمراره في المساهمات اللاحقة لها . لكن الصافي يحاول هنا أن يشير إلى أن هناك نقاط أخري للاختلاف مغيبة ، الأمر الذي أدى بعادل عبد العاطى ألي ذكر الوقائع الهامشية للاختلاف ، وتحميلها اكبر من مدلولاتها ، وكل ذلك تدفعه رغبة مستترة ولكن طاغية على الخطاب "بغرض السيطرة علي وعي المتلقي الذي هو بعيد عن هذه التجربة التي الّم الكاتب بكل نواحيها وبشكل مطلق لا رجعة فيه علي غرار ((وشهد شاهد من أهلها))."

في كل هذا النص ، يبدو منهج الهرب من التحديد ، والإغراق في التجريد ، واضحا . وتغدو الوقائع ذات أهمية ثانوية ، مقارنة بالقراءة النفسية والرغبات المضمرة – المستترة حسب قول الصافي- . فالوقائع التي لا يتم نقضها ، لكونها مرصودة وموثقة ، يتم تهميشها ، كونها مجرد شذرات ، كما أن النتائج الحاصلة منها تستبعد ، باعتبار أنها محملة اكثر مما ينبغي ، في نفس الوقت الذي لا تقدم فيه أي محاولة لقراءة دلالاتها "الحقيقة" . كما يتم افتراض وقائع أخرى مخفية ، لا يتم الإفصاح عنها أو كشفها ، كل ذلك من اجل الوصول إلى رغبات مستترة للكاتب ، لا سبيل إلى ضبطها أو توثيقها ، تعلن كأنها فصل الخطاب. إن هذا المنهج هو ما نسميه اللعب بالكلمات ، وهو منهج يبدأ بتثبيت مغالطة ، ويمضى- ليبنى كل دعاواه التالية عليها ، في محاولة للاعتماد على تقنيات اللغة ، وفي مجانبة تامة

للوقائع . وقد فضحنا جزءا من هذا المنهج في مقالنا عن الترابي بعنوان "حسن الترابي : الخطاب المعسول والممارسة العرجاء ".

بهذا الشكل ، يصل الصافي إلى أن الكاتب لا يكتفي فقط برغباته- المستترة ولكن الطاغية- للسيطرة على وعى المتلقي ، و إنما "يذكر الكاتب لهذا المتلقي النتائج المتحصل عليها بغرض الاتفاق معه علي محاربة هذا الحزب." أي أن ما هو مستتر قد بان ، وهو محاربة الحزب !! ويا لها من نتيجة خطيرة . أن الكاتب في نظر الصافي لا يكتفي بمحاربة الحزب فقط ، وذلك عن طريق آليات تحميل الوقائع اكثر من دلالاتها ، وتغييب بعض التفاصيل ، و إنما يسعى إلى عسكرة الآخرين للمحاربة معه . إن كل آليات خطاب الصافي هنا توصل إلى النتيجة البسيطة والتي أعلنها الآخرون دون حذلقة ، وهو أن عادل عبد العاطى يصفي مشاكل شخصية له – أو لأصدقائه – مع الحزب ، وان مساهماته تحكمها لوثة العداء للحزب الشيوعي . ألم يكن الصافي قادرا على الوصول إلى هذه النتائج المبسطة دون الغرق في كل هذه الحذلقة اللفظية عن المعلن والمغيب من التفاصيل والدلالات الكامنة والمفترضة للوقائع وغيرها من الترهات ؟

يحاول الصافي كذلك ، أن يصور الوقائع التي ذكرتها ، دون أن اقدم تحليلا موسعا لها ، في مقالي عن اغتيال الشخصية في ممارسات الحزب الشيوعي ، بصورة مسطحة . فيذكر في ذلك "فرسم الكاتب صورة عبارة عن شخص واحد تسبب في كل المشاكل ،...، هذا الشخص له صفة الانتشار في كل الهيئات تاريخيا وجغرافيا وعلي مستوي كل الفروع فهو نفسه الذي كال التهم لامجد ولعلي عمر وله هو شخصيا " .

ومما لا ريب فيه أننا في رصدنا لممارسات اغتيال الشخصية ، لم نسع إلى شخصنتها ، لا في صورة فرد بعينه ، ولا في صورة شخص افتراضي ثابت وممتد في الزمان والمكان ، كما يحاول أن يوحي بذلك الصافي . لم نفعل ذلك ، لمعرفتنا بأنه في داخل الحزب الشيوعي تتصارع ثلاثة شخصيات رئيسية ، تجد تمثلها وسط القيادة والعضوية ، وفي سياسة الحزب ، وهى شخصيات السياسي – الإصلاحي ، والشيوعي السلفي ، والماركسي- الثوري . وفي اعتقادنا أن الشخصية التي تسيطر الآن ، والتي كانت لها الغلبة في معظم تاريخ الحزب الشيوعي السوداني ، هي شخصية الشيوعي السلفي ، وهى المسؤولة عن ممارسات اغتيال الشخصية وعن سيادة منهج الجمود في الحزب . ولأهمية هذه الثيمة نوسعها في الفقرات التالية .

فعضو الحزب الإصلاحي – السياسي ، هو إنسان أتى إلى الحزب الشيوعي من مواقع سياسية ، وهو ذو أفكار ليبرالية في الغالب الأعم ، وما وصوله إلى الحزب الشيوعي إلا لانعدام البديل اليساري أو الوسطى عن الأحزاب الطائفية والأصولية . وهو في فكره وسلوكه يتميز بقدر كبير من المرونة ، وليس له تمسك عميق بأسس الماركسية ، وهو ذو اتجاهات وسطية و إصلاحية وعملية في المقام الأول ، في تعامله في الحزب أو وسط الجماهير .

أما الشيوعي السلفي ، فهو شخصية دوغمائية وتقليدية ومتحجرة . أتى إلى الحزب الشيوعي من مواقع رسالية ، ويرى في الحزب مصدر وجوده ، ولا يرى لنفسه موقعا للعمل او النشاط خارج صفوفه . وهو في الغالب ذو معرفة متوسطة بالماركسية ، لكنه يتمسك بحزم بمقولاتها وشعاراتها ، وان كان ذلك في صيغتها الستالينية . وهو شخص غير راغب في التغيير ، وغير متسامح مع الرأي الآخر في الحزب أو المجتمع . ورغم ثوريته اللفظية إلا انه قادر على تبرير اكثر الممارسات يمينية ، إذا ما أتت من قيادة الحزب المعصومة بنظره . وهو في الغالب الأعم ذو نظرات اجتماعية تقليدية ومحافظة ، وان كان يحاول تبريرها من خلال المصطلحات الحزبية .

أما الشخصية الثورية ، فهي شخصية مصادمة وناقدة ، وذات مواقف يسارية واضحة في فكرها وسلوكها الاجتماعي ، ومعادية هي باستقامة لليمين السوداني ولليمين داخل الحزب . وهى ورغم التزامها النظري والعملي بالماركسية ، إلا أنها على استعداد للتضحية بها إذا وقفت عقبة في طريق العمل الثوري .

إننا لا نعلن سرا إذا قلنا ، انه بطبيعة المجتمع السوداني ، وبطبيعة العلاقات القائمة في الحزب ، فان الشخصية المسيطرة وذات الأغلبية ، هي شخصية الشيوعي السلفي . ورغم انه من الصعب الحديث عن وجود هذه الشخصيات في انعزال تام عن بعضها ، او عدم وجود نماذج شخصية أخرى ، إلا أن هذه الشخصيات الثلاثة هي الطاغية ، وتتشكل القيادة الحالية للحزب وأغلبية كوادره وعضويته الحاليين حصرا من ممثلي الشخصية السلفية .

إننا بهذا التحليل ، والمعتمد على تحليلات عبقرية لأنماط الأعضاء وسلوكياتهم في الحزب لعبد الخالق محجوب " راجع إصلاح الخطأ في العمل بين الجماهير " ، وعلى معرفتنا واحتكاكنا بهذه الأنماط ، وبقراءات نفسية واجتماعية لنا ولغيرنا ، قد توصلنا إلى أن الحزب الشيوعي السوداني حاليا هو حزب تقليدي يميني ، شيوعي – ستالينى ، لا

ماركسي . وان الشخصية السلفية المتحكمة فيه والغالبة عليه ، تقف حجر عثرة أمام أي تطوير له أو إصلاح فيه ، إن كان ذلك كما يريد له البعض في اتجاه إصلاحي ، أو في اتجاه ثوري كما أردنا نحن . وعلى هذه الخلفية يأتي فهمنا لكل ممارسات الحزب السلبية من إرهاب فكرى واغتيال شخصية وانفصام ما بين الثورية اللفظية والممارسة اليمينية ، وغيرها من أمراضه وسياساته الحالية . ومن البديهي أن هذه الشخصية الافتراضية للشيوعي السلفي المذكور ، لا تعفي من المسؤولية الفردية لكل من يساهم في تثبيت هذه الممارسات و إعادة إنتاج هذه السياسات .

يكتب الصافي " رسم الكاتب هذه الصورة ببراعة فائقة لا تفوقه فيها سوي براعته في تفريغ المصطلحات من معانيها فبالاستفادة من وجود معرفة سابقة لهذه المصطلحات لدي المتلقي يعتمد الكاتب علي تثبيتها وفق ما يراه ومثال لذلك ((اغتيال الشخصية الذي يتحدث عنه))"

ان الصافي مرة أخرى لا يقدم أدلة على كلماته المتلاعب بها ، فهو يزعم ان الكاتب يفرغ المصطلحات من مضامينها ، ويضرب لذلك مثالا واحدا ، وهو اغتيال الشخصية الذي يتحدث عنه، وسنحاول هنا أن نثبت خطل ادعاء الصافي ، ومنهجه في تحليل النص .

لقد أشرنا نحن في بداية مقالنا" اغتيال الشخصية في ممارسات الحزب الشيوعي السودانى " بتحديد استعمالنا للمصطلح بدقة ، فقدمنا تعريفنا التالي :

<< واغتيال الشخصية هي مجموعة من الممارسات الهجومية ، التي ترمى إلى تصفية الخصم اجتماعيا ، لا إلى التحاور معه أو الجدل الفكري أو السياسي مع آراءه ومواقفه . وتستخدم فيها الإشاعة والتشنيع والاتهامات المجانية التي تتعلق بشخصه وأمانته و أخلاقه ودوافعه، كما يتم فيها استخدام نصف الحقائق والأكاذيب والروايات الملفقة وغير المثبتة ، كل ذلك بقصد اغتيال شخصية الخصم وتصفية مصداقيته وحرق صورته الاجتماعية في الحياة العامة .>>

إن الصافي لو كان حريصا على مصادراته ، لاثبت واحدة من التالي :

- إن مصطلح اغتيال الشخصية الذي نستعمله ، لا يستقيم والتعريف الذي قدمناه له .
- إن الممارسات التي أشرنا إليها في ثنايا المقال صحيحة ، لكنها لا تنطبق مع التعريف الذي قدمناه .

- إن الممارسات التي أشرنا إليها غير صحيحة أو مبتورة ، وهى بذلك تخرج إطلاقا عن دائرة المصطلح والتعريف .

إلا إن الصافي لم يذهب إلي ذلك كله ، وذلك في منهجه المعتاد في البعد عن التحديد والوقائع ، والبحث عن المكنون من الرغبات . إننا لا نعلم وليس في إمكاننا أن نعلم إن كان للمتلقي معرفة سابقة للمصطلح أم لا ، ولذلك قمنا بتحديد تعريفنا له ، والتزمنا بذلك التعريف ، وهذا حسب علمي دهى قواعد العلم والعمل المنهجي . إن المتلقي له الحق في أن يحاسبنا إذا ما رأى أن المصطلح لا يطابق التعريف لاسباب لغوية أو منطقية ، أو أن الوقائع لا تلائم التعريف ، أو إذا كان له شك في الوقائع . أما ادعاء الصافي بتفريغ المصطلحات من معانيها ، فلا يدعمه دليل ، لا من المثال المزعوم الذي قدمه ، ولا من أي شواهد أخرى .

في النهاية يذهب الصافي ، في اكتناه خطير لنفسيتنا ، ولمصدر أفعالنا ، فيقول : "ونري الجذور الأساسية لرغبة الاختلاف عند الكاتب إذ يبدو إنها هي نفسها التي دفعت الكاتب بادئا ذي بدئ للدخول في ((ولا نقول للانتماء إلى))الحزب الشيوعي السوداني ." إلى أن يقول " فلكونه حزبا مختلفا عن سائر الأحزاب السياسية السودانية .ولكونه_الكاتب_مختلفا عن سائر السودانيين كان لا بد وان يدخل في هذا الحزب المختلف فقط ليختلف معه ."

إن هذا المقطع ، والذي لا يسنده دليل ، يذهب إلى إننا نختلف لمجرد الرغبة في الاختلاف . بل يذهب اعمق من ذلك ، ويزعم أننا لم ننتم إلى الحزب الشيوعي منذ البدء ، و إنما دخلناه فقط ، وهو تماهى ومحاولة للتناص مع الآية الكريمة " قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا بل قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " . و لعمري أن هذا منهج في اللعب بالكلمات من طرف الصافي على مستوى مبالغ . أننا لا نتفق البتة على أن الحزب الشيوعي مختلف عن الأحزاب السودانية ، وان حسبناه كذلك ذات يوم ، فهو مثلها أو اكثر منها تقليدية ويمينية ورجعية . كما أن انتمائنا لم يكن يوما لحزب أو قيادة ، و إنما لمبادئ وقيم ، ولا نزال ننتمي إليها رغم التحولات التي اعترت البعض ، والتي ستعتري آخرين. وما دخولنا إلى حزب أو خروجنا منه إلا التزاما بهذه المبادئ والقيم ، وليس

للتعامل مع الحزب صنما يعبد ، كما يذهب إلى ذلك السلفيين من الشيوعيين وغير الشيوعيين . كما أننا لا نزعم الاختلاف عن باقي السودانيين ، بل نحن متفقون مع الكثيرين ومختلفين مع آخرين ، حسب موقعنا وموقعهم الفكري والسياسي والاجتماعي . إن الزعم إذن بأننا دخلنا الحزب "المختلف " ، لمجرد أن نختلف معه ، لهو فرية كبرى . إننا لم نختلف مع الحزب إلا لما تبين لنا اختلاف الممارسة فيه عن النظرية ، واختلاف المعلن عن الكائن ، واختلاف الفكرة الثورية والفعل الثوري عن التحنط الحجري والموات الفعلي ، و حينها كان الاختلاف ، و ما كان يمكن ألا يكون .

مع التحية لفرويد على الطريقة الشيوعية .

عادل عبد العاطى
27 أكتوبر 2002

الأحزاب السودانية فى الميزان – الحزب الشيوعى

الحديث عن الحزب الشيوعي السودانى حديث ذو شجون ، واتمنى ان يتاح لنا حوله الحوار الناضج ، تماما كما تم فى النقاش حول الحركة الجمهورية ، وقد وددت ان القى بعض كلمات سريعة فى خضم النقاش الذى اظنه لم يبتدي بعد

والحزب الشيوعي حزب بقدر ما حرك من الامال ، بقدر ما افرز من الالام ، وبقدر ما كانت له انجازاته ، فقد كانت له كبواته ، ونحن اليوم ، ونحن نبحث عن سودان جديد ، فما احوجنا الى قراءة ناقدة وموضوعية وصريحة لمسيرة هذا الحزب العتيد

فالحزب الذى نشا من مواقع البديل للقوى التقليدية والرجعيةفى المجتمع ، بتعبيره عن فئات ناهضة فى المجتمع السودانى ، وباستناده على فكر وتنظيم حديث ، ما لبث ان دخل فى ازمات عميقة ومستحكمة ، بل وتكاد تكون مستعصية ، فى اعلب محاور فكره وبنيته واساليب عمله وتكوين وعمل قيادته

فالفكر الماركسى ، والذى كان يفترض ان يكون منهجا للبحث ، تحول الى شرط انتساب للحزب ، والى منظومة افكار جامدة ، والى بضع شعارات لم تجر سودنتها ، او لم يتم معالجة علاقتها بالواقع ، وفى ظل سيادة الستالينية والجمود على الفكر الماركسى (اللينينى) ، عالميا ومحليا ، فان الاطار الفكرى الذى اتى به الحزب ، قد تحول من ايجابية الى سلبية ، ومن مصدر اشعاع وتجديد ، تحول الى كابح ، او قل عصابة سوداء ، تمنع رؤية الجديد

اما بنية الحزب التنظيمية المركزية ، والتى هدفت الى بناء حزب حديدى من طراز جديد ، على النمط اللينينى ، فقد افلحت فى ضمان بقاء الحزب رغم الضربات والانتكاسات ، الا انها قد عاقت نمو الحزب ، وعطلت انفتاحه نحو الجماهير ، فاتسعت الهوة ما بين نفوذ الجزب الادبى والسياسى ، وقدرته على التاثير فى الاحداث وصنعها من جهة ، وبين حجمه العددى البسيط وتاييده الجماهيرى الضيق من الجهةالاخرى ، فكان واحدا من الاحزاب الوطنية المؤثرة ، ولكن حصيلته من دعم الجماهير فى العملية الانتخابية قد كادت تكمون صفرا ، حيث ان اكبر انجاز له قبل اكتوبر قد كان ادخال نائب واحد الى

البرلمان ، وبعد اكتوبر انتصار صفوى وسط الحريجين ، ثم نائبان فقط فى انتخابات العام 1968 ، وبعد الانتفاضة فاز الحزب ب3 نواب ، كانوا يمثلوا اقل من واحد بالمائة من اعضاء البرلمان ، وتفوقت عليهم احزاب جهوية واقليمية صغيرة ، ليس لها من التاثير ما للحزب الشيوعي على المستوى الوطنى العام

كما ان الحزب ، والذى كان ابان نشاته ، من اكثر الاحزب السودانية شعبية وبعدا عن الصفوية فى تكوين قيادته ، حيث وصلت الى اعلى قممها عناصر من العمال (الشفيع - قاسم - سلام - الجزولى - الحاج عبد الرحمن : الخ) والمزارعين (الامين محمد الامين) ، والنساء (خالدة زاهر ، فاطمة احمد ابراهيم ، سعاد ابراهيم احمد ، محاسن عبد العال ، الخ) والجنوبيين (جوزيف قرنق) ، والمثقفين من اصول كادحة ، قد تحول عبر السنين ، ونتيجة للمركزية ، وسيادة اساليب العمل السرى ، وعقلية حزب الكادر ، الى ان يصبح حزب القيادات الابدية ، فالقائد اما ان يقتل ، او يفصل ، او يموت !! ووجدنا فى الحزب قيادات هى اعضاء فى لجنته المركزية منذ اكثر من نصف قرن (التجانى ونقد) ، او ثلث قرن (فاطمة وسعاد ويوسف حسين) ، هذا اذا تجاوزنا عن شرعية هذه القيادات فى ظل غياب المؤسسات الديمقراطية والمؤتمرات فى الحزب ، الامر الذى افقد هذه القيادات حيويتها ، وديمقراطيتها ، وشرعيتها

ادى هذا فيما ادى ، الى شح الكادر الجماهيرة الشعبى فى الحزب ، وانحساره تدريجيا ، لصالح الكادر السرى وكادر العمل الفنى والتنظيمى ، فبعد ان كان الحزب يملك قيادات تهز المنابر ويعرفها السودان ، من وزن عبد الخالق ، وقاسم امين ، وشيخ الامين ، والوسيلة ، وحسن الطاهر زروق ، واحمد سليمان ، والشفيع ، وسلام، والحاج عبد الرحمن ، فقد نمت فيه قيادات جديدة معزولة عن الجماهير ، وغير معروفة خارج اطار حزبها ، فعدا عن اسماء محمد ابراهيم نقد وفاطمة احمد ابراهيم ، فان معظم قيادات الحزب الحالية غير معروفة شعبيا ، ولا تشكل اسماء فاروق زكريا ، والشفيع خضر ، ويوسف حسين دالة على الحزب الشيوعي ، الا فى اذان الشيوعيين ، او محترفى السياسة السودانية

اما اشكال العمل المنقولة من التجربة الشيوعية العالمية والمصرية ، والتى ادخلها الحزب عند نشاته ، والتى كانت ثورة فى مجال التنظيم الحديث فى الاربعينات ، واتت بنتائج ايجابية فى الخمسينات والستينات ، فانها قد تحولت حجر عثرة فى طريق تطور الحزب فى السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الفائت ، فما بالك ونحن نخطو سنوات فى القرن الحادى والعشرين ، قرن العولمة وثورة الاتصالات والتكنلوجيا وفنون الادارة، ولا عجب اذن ان تسبقه وتتجاوزه تيارات الاسلام الاصولى فى كسبها التنظيمى ، وان يعبر التجانى الطيب عن اندهاشه من " التطور" التنظيمى الذى وصل اليه حزب الامة ، فما عاد حزب الامة حزبا لشبه الاميين ، فى نفس الوقت الذى تكلست فيه تجربة الحزب الشيوعى التنظيمية فى حدود الستينات

اما فى مجال العمل الفكرى ، فان الحزب الذى كان من انشط الاحزاب فكريا ، واكثرها غنى بالمبدعين والمثقفين ، والذى اطلق مبادرات وصحف ودور نشر ، مثل جمعية الفكر الحر ، ومجلة الطليعة ، والفجر الجديد ، ودار الفكر الاشتراكى ، وندوة الاربعاء ، وتجمع ابادماك ، قد مضى عليه حين من الدهر ، وهو يعيش على انتاجه الفكرى السابق ، ويعجز عن اصدار وثائق بقيمة : الماركسية وقضايا الثورة السودانية " ، او حول البرنامج " ، واو اصدار متعدد كاصدارات دار الفكر الاشتراكى ، ويحتفى اعضاؤه بالفتات الذى يخرج من افواه قادته فى المقابلات الصحفية او ما يخطه بنانهم فى المقالات المبتسرة مرة كل عدة سنوات

اننا نختصر ونقول ، ان ازمةالحركة السياسية السودانية ، كما تبدت فى حالة الحزب الشيوعي السودانى ، قد انعكست فى عجزه عن التحول الى حزب جماهيرى ، وجذب تاييد القطاعات العريضة من الشعب الى صفوفه ، والتى توصله الى السلطة عن طريق البرلمان ، وتحميه بالعمل الشعبى والتضامنى فى الديكتاتورية ، كما عجز عن تحقيق ولو اجزاء يسيرة من برنامجه السياسى والاجتماعى ، وسار من الانفتاح الى الانغلاق ، ومن مواقع الثورية الى مواقع المحافظة والجمود ، فى اغلب سنوات كدحه ، والتى فاقت نصف القرن ، من الوجود على الساحة السياسية السودانية.

2003/10/2

الحزب الشيوعي السوداني : حزب البرجزازية الصغيرة

اي انسان يطالب باصلاح الحزب الشيوعي السوداني لكيما يعود لاصله حزبا جماهيريا ديمقراطيا مرتبطا بقضايا الناس لا الصالونات وان ينفتح شعبيا وفكريا ، ينزل له كهنة الايدلوجيا بفورمالاتهم المحفوظة عن التحريفية والتصفوية وانه يريد تصفية حزب الطبقة العاملة.

الشاهد أن الشيوعيون يعيشون تناقضا بنيويا بين عقيدتهم الكهنوتية الرسالية التي تزعم انهم حزب الطبقة العاملة، وبين واقع الواضح الذي يوضح انهم اصبحوا حزب برجوزازية صغيرة مدينية معزولة عن هموم الناس ومهتمة بالكولارات ومهرجانات الزهور بينما البلد تغرق في الدم حتى ركبها.

هذا التناقض والحفاظ عليه واسطرة صورة الحزب واستغلال صور الشهداء لمنح شرعية زائفة لمن خان سيرة الشهداء هي ادوات مجربة من قبل كهنة الايدلوجيا لاستمرار استلابهم لبعض عضويتهم ولجزء من التيار الديمقراطي السوداني، اما بعض العضوية فقد فهم اللعبة واصبح اخطر من يلعب بالبيضة والحجر ويسترزق من كل شي واي شي وهم من يحكي عنهم عمار محمد ادم وهم تجار الشيوعية حين اصبحت الشيوعية مثل الدين والطائفية بابا للسيطرة والبيع والشراء.

ولكيما نكون دقيقين نأتي بقائمة لقادة حزب البرجوازية الصغيرة المدينية في السودان(المسمى نفسه حزب الطبقة العاملة)منذ تأسيسه وحتى الآن:

1- عبد الوهاب زين العابدين عبد التام (1946-1947) - طبيب
2- عوض عبد الرازق (1947-1994) - اعتقد معلم
3- عبد الخالق محجوب (1949-1971) - دارس اداب وموظف في بداية حياته العملية
4- محمد ابراهيم نقد (1971 والى ما شاء الله) - خريج اقتصاد

بالمقابل كان هناك قادة عمال لا يشق لهم غبار لم يسمح لهم الحزب بقيادته منهم :الشفيع أحمد الشيخ و قاسم امين و محمد السيد سلام ، بل ساهم الحزب في تشويه سمعة اثنين منهم (قاسم أمين وسلام) واغتيل الثالث بسبب مغامرات الحزب (الشفيع) واغتيال قاسم له علاقة مباشرة باستدراجه للسودان بعد ان رفض البرجوزاين الصغار ترشيحه لقيادة الحزب واختاروا البرجوازي الصغير نقد قائدا له (لم يكن من الصدفة ان الشهيد خضر نصر هو من كان رشح قاسم امين لقيادة الحزب وهو القائد العمالي ابن عطبرة)

سيطرة البرجوازية الصغيرة المتنعمة على ما يسمي بحزب الطبقة العاملة السودانية ليست جديدة، وانما هي استمرار لمنشأهم الأول .. فالحزب الذي كونه هنري كورييل وهو برجوازي كبير ساكن بالقصور (كان يجند الخدم في قصرهم .. عشان يحتجوا ضد منو ما عارف) لا يمكن ان يكون الا حزبا للبرجوازية الصغيرة المتناقضة. وكان هنري كورييل ورفاقه رافضين تماما لخط "التعميل " اي زيادة حجم العمال في الحزب ونقل القيادة للعمال، مثلما يرفض باصرار البرجوازيون الصغار السودانيون - اولاد هنري كورييل - نفس المبدأ في السودان.

عموما الحركة الشيوعية المصرية وبنتها السودانية كانت في اغلب الاحيان حركة اولاد ذوات ومثقفين متنعمين وفي مصر كانت حركة عناصر اجنبية - حيث قادها طوال الاربعينات والخمسينات اليهود المتمصرنيين وفي رواية اخرى الصهاينة المتشيعيين .. وهناك مقال لطيف للشيوعي المصري محمد سيد احمد يكتب فيه عن تلك البدايات وعن حركة شيوعية اراد بنائها اولاد البرجوازيين(عندما يترجل الفارس عن جواده: محمد سيد أحمد ابن الذوات يروي حكاية اليسار! بقلم: محمد سيد أحمد) .

اها الطبقة العاملة دا يا كافي البلا ما في من يمثلها غير السر بابو والتجاني الطيب وصدقي كبلو واليميني نقد ، وكلهم برجوازية صغيرة صفوية مدينية صالونية ؟؟

الشيوعية والرجعية

رجعية الشيوعية من ناحية نظرية لا يختلف عليها عاقلان .. ذلك ان الشيوعية هي واحدة من اخر انظمة التفكير المغلقة او ما اسميها بشموليات القرنين التاسع عشر والعشرين الكبرى . الشيوعية في حتميتها التاريخية وفي دوغاميتها وجمودها ورفضها للتغير لا يمكن ان تكون الا رجعية . لذلك رفض لينين مثلا تجريبية ماخ ورفض السوفيت الدراسات الجينية والسيبرنطيقا ومناهج التحليل النفسي والاجتماعي وكانوا لا يدرسونها في جامعاتهم باعتبارها علوما برجوزازية وفي الاقتصاد رفضوا كل التطورات والمدارس الجديدة فكان ان تاخرت بلادهم علميا وتقنيا ولكنهم لم يتورعوا عن السرقات العلمية والتقنية وفشلوا في تطويرها لأن السارق ليس كالمخترع.

الشيوعية بكل جمودها وانغلاقها العقائدي وكونها تطرح ان هناك قوانين جامدة اكتشفها ماركس تشرح حركة الكون والمجتمع من مبتداه الى منتهاه تخرج من ادعائها انها نظرية علمية لتتحول الى عقيدة جديدة ودين جديد .. ولما كانت العقائد غير معنية بتفسير او حل تناقضاتها الداخلية - المؤمن يقبل اي شيء طالما انه قادم من المرجعية الدينية ولو كان متناقضا تماما مع بعضه البعض - فان الشيوعية لا تبحث قط في تناقضاتها الداخلية وكيف ان الطبقة العاملة بدلا من ان تتوسع وتشمل كل المجتمع كما تنبأ ماركس قد تقلصت في الواقع وتوسعت بدلا منها الطبقة الوسطى ، ولا كيف ان حزب الطبقة العاملة المزعوم لم يقده العمال طول حياتهم وانما البرجوازيين الصغار على حد قولهم، ولا كيف ان حزب شيوعي يعتمد على الماركسية اللينينية والمادية الجدلية وهي من اكثر المذاهب الالحادية تطرفا لا يوجد فيه ملحد واحد على قول نقد!!

الشيوعي - الجد جد - مثل التجاني الطيب او السر بابو بطبيعة الحال لا يمكن الا ان يكون رجعيا، لانه يقف في الجزء المنصرم من التاريخ. اما شيوعيين الكورال والقشرة فهؤلاء اصلا لا فكر ولا موقف لهم لنعرف ان كانوا تقدميين ام رجعيين .

بخصوص الحزب الشيوعي ، فانى ازعم بان موقفه من مسالة الدين غامض وضعيف ، فهو من جهة يتبنى منهجا ماركسيا ، وهو بالضرورة منهج يتنائى عن الاديان ، وهو من الجهة الاخرى يتحاشى اعلان العلمانية ، وقد يبدو ذلك خوفا من الدعاية المضادة، ويبدو لى ان جزءا كبيرا من سيكلوجية الحزب الشيوعي تلعب فيها حادثة معهد المعلمين العالى دورا رئيسيا ، اذ اجبروا من ذلك الوقت على الدفاع ، فلا هم بنوا تيارا علمانيا صلبا ، ولا هم اقنعوا الناس بانهم ليسوا ضد الدين

ولكى لا القى الكلام على عواهنه ، فانى اذكر لك مثالين : الاول هو طرح الحزب الشيوعي بانه ضد الدولة الدينية ، وقد كتبت فى هذا الصدد مقالا فى 1988 نشر بجريدة الميدان ، وكان ردا على مقال للاستاذ الحاج وراق ، وقد اوضحت انه ليست هناك ، بالمعايير العلمية دولة دينية ، وانه هناك دولة ديمقراطية او ديكتاتورية ، وان الاصوليين يخاتلون عندما يزعموا بانهم يبنوا دولة دينية ، وان الحزب الشيوعي عندما يثول انه ضد الدولة الدينية ، فهو ينجر الى مفاهيمهم ، ثم يخسر ، لان الجماهير تظنه يقف ضد الدين ، ما دام يرفض الدولة الدينية

من الجهة الاخرى ، نجد محمد ابراهيم نقد يصرح ، بانه ليس ضد قوانين الشريعة ، اذا ما اتت من البرلمان ، وفى الحقيقة فانه ليست هناك قوانين للشريعة او غيرها ، بل هناك قوانين منسجمة مع الدسنور ، واخرى ضده ، قوانين متقفة مع مبدا المواطنة ، واخرى ضدها ، ولو جائت اى قوانين معادية للدستور وخارقة لحقوق المواطنة ، لوجب الوقوف ضدها ، سواء تسترت بالشريعة او الشرعية الثورية ، ولو اتت من البرلمان ، غليس البرلمان فوق الدتور ، وانما العكس هو الصحيح

اضافة الى ذلك ، فان الحزب الشيوعي السودانى ، فى فترة الديمقراطية الثالثة ، قد بنى جزءا كبيرا من دعايته وطرحه ، ضد تراجعات الصادق المهدى ، على اطروحات ..الصادق المهدى نفسه ، من مرحلة سابقة . وقد كان الاستاذ الجاح وراق ، المتخصص فى هذه القضايا وقتها فى الميدان ، لا يكل عن تذكير الصادق بما كتب ، وبما قال ، وبما

لاريب فيه انه كان يمثل وجهة نظر الحزب ، بما اتيح له من امكانيات الكتابة ، ولقد رددنا عليه فى وقتها بان هذا اسلوب ضعيف ، حيث يمكن للصادق ان يقول انه راجع اقواله ، وطورها ، ولا يجب ان تكون اقوال الصادق السابقة او اللاحقة هى المرجعية ، بقدر ما تكون فى تطوير خطاب مستقل ، يواجه خطاب الترابى والصادق ويهزمهما ، الا ان المشكلة لم تكن مشكلة الحاج وراق ، بقدر ما كانت مشكلة عدم وجود هذا الخطاب المستقل فى تكتيك الحزب ، لا فى هذا المجال او غيره

وقد تكون قد لاحظت ، ان الحزب الشيوعي ، لم يعلن قط انه حزب علمانى ، فى نفس الوقت الذى كان يتخبط فيه فكريا ، بتبنى ايدولوجية شيوعية ستالينية ، ليس لها انعكاس او معرفة بها حتى فى حدود عضويته ذاتها ، وقد قالت فاطمة احمد ابراهيم ان نقد قال لها ، ان الحزب اخذ 20% من الماركسية ، فمن اين يا ترى اخذ هذه ال80% الباقية ، اننا نزعم ان هذه ال80% فارغة ، ولم يستطع الحزب ان يقدم فيها اى حصاد فكرى

ان قضية الدين ، هى من الاهمية بمكان ، بحيث لا تترك للفقهاء ، او للاحزاب الاسلامية ، وهنا تتراءى عدة استراتيجيات للتعامل مع قضية علاقة الدين بالسياسة ، منها التالية :

1- تثوير الدين ، فيما اطلق عليه اسم اليسار الاسلامى ولاهوت التحرير
2- تثوير المجتمع ، عن طريق تعميم القيم المدنية ، وربطها بالتغيير الاقتصادى والقانونى والاجتماعى
3- الحجر على الدين ، واقصائه من الحياة العامة ، مع عدم التعرض لمقدساته
4- التعايش مع الدين ، وعدم اتخاذ اى موقف سلبى او ايجابى ضده

ويبدو لى ، ان الحزب الشيوعي قد اختار الاخيرة ، ولكن نسبةللاسقاطات التاريخية ، وعدم وجود خط ثابت موحد للحزب واعضائه ، فان خياره هو الاسوأ ، ومن ذلك انك تجد بين الشيوعيين من يصلى ويصوم ، ومن يجهر بالحاده ، ويغيب صوت الحزب بينهما ، وقد ذكرت فى اسئلتى للاستاذة سعاد ، ان الحزب لم يطرح العلمانية كقيمة اصيلة ، بل

تذرع دائما بالوحدة الوطنية ، كما يبدو ان الحزب مقتنع بنظرية الفسيفساء الثقافية ،وان كان لا يعلن ذلك او لا يدريه ، وهى نظرية سلبية وقد تم التخلى عنها فى العالم اجمع ، لانها لاتؤدى الى بناء امة ، وانما هى محاولة لاقصاء الحراك الثقافى ، وهى محاولة فاشلة ، وقد ثبت فشلها فى لبنان مثلا ، البلد الذى ارتفعت فيه دعواها باعلى الاصوات

انى لا يمكننى ان ادافع عن انعدام وجود موقف للحزب الشيوعي من قضية الدين ، ولا عن التخبط الفكرى الذى يركبه فى هذه الناحية ، والذى يؤدى الى اساءه فهم موقفه الغامض ، والذى لا اعتقد ان قيادات الحزب نفسها تفهمه ، واشير اليك الى انه رغم مرور خمس وخمسين عاما على قيام الحزب ، فليس له وثيقة او كتيب منفصل تناقش مسالة الدين والسياسة

هذا هو النص الأهم لماركس عن الدين، في مقدمة كتابة ((نقد فلسفة الحق عند هيغل)) :

Quote: في ما يتعلق بألمانيا ، لقد انتهى ، من حيث الأساس , نقد الدين ، ونقد الدين هو الشرط الممهد لكل نقد .
ان الوجود الدنيوي للخطأ غدا مشكوكا فيه ، منذ ان أصبح دفاعه السماوي عن ذاته مفندا . فالإنسان الذي لم يجد في واقع السماء الوهمي ، حيث كان يبحث عن الإنسان الأعلى (السوبر مان) ، الا انعكاسا او صورة لذاته , لن يكتفي بعد ذلك بأن لا يجد سوى مظهر ذاته وحسب ، سوى اللانسان ، وإنما يبحث هنا ، وعليه ان يبحث بالضرورة ،عن حقيقته الواقعة .
ان أساس النقد غير الديني هو : ان الإنسان يصنع الدين ، وليس الدين هو الذي يصنع الإنسان . يقينا ان الدين هو وعي الذات والشعور بالذات لدى الإنسان الذي لم يجد بعد ذاته , او الذي فقدها . لكن الإنسان ليس كائنا مجردا جاثما في مكان ما خارج العالم . الإنسان هو عالم الإنسان , الدولة , المجتمع . وهذه الدولة وهذا المجتمع ينتجان الدين ، الوعي المقلوب للعالم ، لأنهما بالذات عالم مقلوب . الدين هو النظرية العامة لهذا العالم ، خلاصته الموسوعية , منطقه في صيغته الشعبية ، موضع اعتزازه الروحي ، حماسته ، تكريسه الأخلاقي ، تكملته الاحتفالية ، عزاؤه وتبريره الشاملان . انه التحقيق الوهمي للكائن

الإنساني , لان الكائن الإنساني لا يملك واقعا حقيقيا . إذن فالصراع ضد الدين هو بصورة غير مباشرة صراع ضد العالم الذي يؤلف الدين نكهته الروحية .
ان التعاسة الدينية هي ، في شطر منها ، تعبير عن التعاسة الواقعية , وهي من جهة أخرى احتجاج على التعاسة الواقعية . الدين زفرة الإنسان المسحوق ، روح عالم لا قلب له ، كما انه روح الظروف الاجتماعية التي طرد منها الروح . انه أفيون الشعب .
ان إلغاء الدين ، من حيث هو سعادة وهمية للشعب , هو ما يتطلبه صنع سعادته الفعلية . ان تطلب تخلي الشعب عن الوهم حول وضعه هو تطلب التخلي عن وضع بحاجة الى وهم . فنقد الدين هو بداية نقد وادي الدموع الذي يؤلف الدين هالته العليا .
لقد نزع النقدُ عن السلاسل الزهور الوهمية التي كانت تغطيها ، لا لكي يحمّل الإنسان قيودا غير مزخرفة , موئسة ، بل ليقذف بالسلاسل بعيدا ويقطف الزهور الحية . ان نقد الدين يدمر أوهام الإنسان ،لكي يفكر ، يفعل , يكيف واقعه بصفته إنسانا تخلص من الأوهام وبلغ سن الرشد ، لكي يدور حول نفسه ، أي حول شمسه الواقعية . فالدين شمس وهمية تدور حول الإنسان مادام الإنسان لا يدور حول نفسه .
ان مهمة التاريخ إذن ، بعد زوال عالم ما وراء الحقيقة ، هي ان يقيم حقيقة هذا العالم . تلك هي بالدرجة الأولى مهمة الفلسفة ، التي تخدم التاريخ وذلك بعد ان يجري نضح الشكل المقدس للاستلاب الذاتي للإنسان وينزع القناع عن الاستلاب الذاتي في إشكاله غير المقدسة . وبذلك يتحول نقد السماء الى نقد الأرض ، نقد الدين الى نقد الحقوق ونقد اللاهوت الى نقد السياسة .

عشان الشيوعيين المتناقضين ديل ما يهربوا ، هنا تجميع لكتابات ماركس وانجلز عن الدين :

http://www.marxists.org/archive/marx/works/subject/religion/index.htm

وهنا أهم عملين للينين عن الدين:

الاول : الاشتراكية والدين

www.marxists.org/archive/lenin/works/1905/dec/03.htm

والثاني : موقف الحزب العمالي من الدين :
www.marxists.org/archive/lenin/works/1909/may/13.htm

ساقوم بعمل قراءة نقدية لمقالي لينين لتوضيح ان الاخير اقرب لمواقفه الحقيقية ثم ربطها بممارسة لينين اثناء ردي على تزويرات امجد فريد في البوست الاخر

يقول السر بابو
Quote: العلمانية هى الدولة المدنية بمعنى هى الدولة اللادينية، مصطلح الدولة المدنية نابع من واقع السودان نفسه، وسواءً كانت علمانية او مدنية فهذا لا يعني استبعاد الدين لأن الدين يشكل جزءا من التكوين الثقافي والنفسي وجوهر الماركسية ليس نقل الشعارات القادمة من الخارج مثل العلمانية ولكن ان نستنبط من ظروفنا وواقعنا وأي نظام اشتراكي نستهدفه في المستقبل لابد ان نأخذ في الاعتبار واقع السودان وخصائصه العالمية والمحلية وتراثه)

عجبت لمن يقول ان العلمانية شعار مستورد من الخارج، وهو يستورد كل الماركسية بي ضبانتا - تحديدا السر بابو دا ستاليني متعصب -
بنفس القدر يا السر بابو ممكن يقول ليك واحد ان مصطلح الدولة المدنية شعار مستورد وان التراث المحلي لا يعرفه بل يعرف الدولة الدينية ، اها شفت التراجع ممكن يزنقك في جحر ضب قدر كيف ؟؟

الماركسية ليست علما تطبيقيا انما نظرية وفلسفة اجتماعية، ونحن لم نقل بالحادها بل هي التي قالت بذلك وتفاخرت به، وقالت ان القضية الاساسية في الفلسفة هي التفرقة ما بين الماديين (الملحدين) والمثاليين (الغيبيين)

المشكلة هي التالي :

1/ ان الحزب الشيوعي يتبني الماركسية كمنهج وهذا عمليا يفرضها على كل اعضاء الحزب وهي نظرية الحادية ويجب ان تترك قضايا الضمير في الحزب للاعضاء كقضايا خاصة (اي أن فرض الماركسية كنظرية فيه انتهاك مبدئي لحرية ضمير الاعضاء)
2/ ان الحزب الشيوعي يمارس النفاق وينكر الحاد الماركسية ونظن ان هذا خداعا سوف يتم التخلي عنه بمجرد وصول الحزب للسلطة - اذا تم - وعندها سترفع عصا الالحاد الدولتي والحزبي الغليظة في وجه الناس .
3/ ان الحزب الشيوعي لكيما يخرج من الجحر الضيق الذي ادخل نفسه فيه يقوم بتقديم تنازلات لقوى الهوس ويهاجم العلمانية بأنها شعار مستورد كما ورد اعلاه وبذلك يسيء للمشروع الديمقراطي العلماني ويعمل ضده مقابل مشروع شيوعي كيزاني يعمل على التجارة بالدين .

قوانين الديالكتيك ليست محصورة في الطبيعة فقط يا استاذي بالنسبة للماركسية، فعملها في الطبيعة قد اوضح انجلز في "ديالكتيك الطبيعة" و"دور العمل في تحول القرد الى انسان" وفي اجزاءواسعة من "ضد دوهرنج " و"لودفيغ فيورباخ" . اما عملها في المجتمع - والمسمي بالمادية التاريخية فقد تم ايضاحها في اغلب اعمال ماركس وانجلز وخصوصا رأس المال . وما يختلف ديالكتيك ماركس وانجلز عن ديالكتيك هيغل في كون جدل الاولين مادي بحت، بينما يتهمون الجدل الهيغلي بالمثالية . وقد اعتبر انجلز ان المسألة الاساسية في الفلسفة (لاحظ الاساسية) هي الانقسام بين المعسكر المادي من جهة والمثالي من الجهة الاخرى . وقد كان ماركس وانجلز معاديين تماما لاي رؤي دينية ومثالية ومن هنا كان صراعهم ضد اشتراكية شيلنغ وضد السيد فوخت وضد دوهرنج وغيرهم، بل ان ماركس هاجم البعض - مثل هيوم والوضعيين و الدوس هيسكلي - لانه رأي انهم يتراجعون - بعض التراجع عن المادية ويفتحون ثغرات للدين والمثالية . ونحن يا عزيزي نناقش نظرية معروفة لها مكانها في الفكر السياسي والفلسفي فماذا تعني ب"في السودان" ، وهل مقولات المادية الفلسفية للماركسية تسود في العالم كله ولا تسود في السودان ؟؟ يعني الماركسية في العالم ملحدة وفي السودان مؤمنة ؟؟ ما هذا الكلام يا استاذي ؟؟؟

هناك من يرى ذلك، باعتبار ان الدين ينتمى لعالم الغيب ويعتمد على الايمان، بينما العلم يعتمد على عالم الواقع ويستند على الشك المنهجي والتغير الدائم . يعني مثلا مقولة " المادة

لا تفنى ولا تستحدث ولا تخلق من العدم " رغم التسليم بها من الجميع الا انها تناقض تصورات كل اديان عن خلق الاله العالم من العدم . لكن في الحقيقة نحن لا نناقش قوانين المادة سواءكانت فيزائية او كيمائية وعلاقتها بالدين، فهذا موضوع آخر .. وانما نناقش نظرية اجتماعية هي الماركسية هي ليست علما تطبيقيا وانما نظرية اجتماعية افتراضية ذات توجه فلسفي معين - وهي بالمناسبة ملآنة بالثقوبل العديدة القاتلة وللاخ شهاب مساهمات في نقدها علمياً-

اختلاف ماركس عن الفلسفة المادية السابقة له ان تلك الفلسفة حاولت القضاء على الدين دون تغيير الظروف الاجتماعية التي تفرز الدين - حسب ماركس - . ولهذا سخر منها ماركس وانتقدها شر النقد، ليس بسبب انه كان يريد التعايش مع الدين او الحفاظ عليه ، وانما لأنه كان يعتقد ان شرط الغاء الدين - كاستلاب فكري وانساني - يتم بالضبط بتغيير حياة البشر بحيث لا يحتاجوا للدين ويهجره عندما ينتقلوا للشيوعية - مملمة العقل كما قال - . ماركس كان ماديا متسقا وملحدا راديكاليا اذ سعى لنسف جذور الدين - في الواقع الاجتماعي - وليس قص فروعه ومحاربة مظاهره فقط . كل المحاولات لتزوير وجهة نظر ماركس المعروضة في مقدمة فلسفة الحق عند هيجل وفيالبيان الشيوعي وغيرها هي محاولات غير كريمة وغير امينة اربأ بك من التورط فيها يا استاذنا ، فارجو ان تترك هذا للمزورين والمهزومين نفسيا.

الفصل الرابع : حوارات ومناظرات

الفصل الثالث
متن و هوامش

(رسالة مفتوحة الي عضوات وأعضاء الحزب الشيوعي السوداني
وبضعة هوامش على متن الرسالة)

أكتوبر –ديسمبر 2005

الزميلات والزملاء عضوات واعضاء الحزب الشيوعي السوداني:

تحية طيبة..

قد يستغرب البعض منكن/م أن أُكتب لكن/م هذه الرسالة المفتوحة، بعد ان دخلت في الأعوام الأخيرة في معارك متعددة ضد القيادة اليمينية لحزبكن/ م، ومع عدد من عضويتكم أثر ان يدافع عن منهجها وسلوكياتها ولو بابشع الطرق. لا ابرئ نفسي اليوم من المسؤولية عن بعض تلك المعارك، ولا عن التطرف والقسوة في الرد في بعض الأحيان، ولكني اعتقد ان الانسان لا ينبغي ان يكون أسير مشاعره المريرة وصراعاته الصغيرة، اذا كان الأمر يتعلق بالهم العام.
وقد يرفض البعض الأخر مخاطبتي لكن/م، ما دمتُ قد تركت الحزب الشيوعي منذ قرابة العشر سنوات، وما دمتُ انشط في حزب آخر، قد يعده البعض منافسا لحزبكن/م، وأردُ ان قضايا السياسة السودانية واصلاح الاحزاب السياسية هي قضايا عامة، يحق ويجب علينا كلنا المشاركة فيها، وانني لا اعتبر الديمقراطيين والثوريين والاصلاحيين من الشيوعيين منافسين لنا، وانما حلفاء متوقعين، لذا اخاطبكن/م اليوم بمنطق زمالة النضال، ومن منطلق الهم المشترك.
وددت ان اناقشكن/م اذن، حول القضايا المحورية التي تواجهها بلادنا ومواطنينا، وهي قضايا الأزمة السودانية التي تراكمت حلقاتها، وافضت الى الوضع المأساوي الراهن، انهيارا اقتصاديا واجتماعيا، وحربا اهلية مستعرة في مناطق البلاد المختلفة، وتسلطا سياسيا وهوسا دينيا، وصل اقصاه خلال ال16 عاما اليباب الاخيرة، ويريد اعادة انتاج نفسه في نظام نيفاشا الجديد، اى الانقاذ2.
إن هذه الأزمة الوطنية الشاملة، كما نعلم جميعا، هي نتيجة لازمة لواقع التخلف والاستغلال والتسلط الموجود في مجتمعنا، والذي تعيشت عليه وعمقته مختلف النخب السياسية والعسكرية التي حكمت، باختياراتها الاجتماعية والسياسية الضحلة، في تغليب اقتصاد الاستهلاك على الانتاج، والكهنوتية على الدولة العلمانية المدنية، ودولة

السادة والقادة والعساكر، على دولة المواطن. لعبت في كل هذا قيادة الاحزاب الطائفية والفاشية الاسلاموية ومتسلطي العسكر ولوردات الحرب الدور المقدم، وكان نظام الانقاذ هو التجلي الاسوأ لهذه القوى وتلك الاختيارات.

لقد لعب الحزب الشيوعي السوداني، ومنذ تاسيسه في منتصف اربعينات القرن المنصرم، وحتى العام 1971 ، دورا كبيرا في محاربة هذا الواقع والقائمين عليه والمنتفعين منه، وسلك طريقا شاقا في نشر قيم الاستنارة والعلمانية والعدالة الاجتماعية، وبنى مؤسسات جماهيرية ناضلت من اجل حقوق المواطنين، من نقابات عمال واتحادات مزارعين وتجمعات موظفين وتنظيمات طلبة ونساء الخ الخ، ورغم الأصل العقائدي والمحيط العالمي الستاليني في الحركة الشيوعية الذي نشأ وترعرع فيه الحزب، والاخفاقات والاخطاء والتجاوزات في الكثير من المواقف والقضايا، فان قادته الشهداء المؤسسين قد حاولوا وانجزوا الكثير، في طريق الثورة السودانية وتحرر الانسان السوداني.

الا ان المجموعة التي صعدت في ظل ظروف استثنائية لقيادة الحزب العليا، بعد العام 1971، وعلى رأسها السكرتير العام محمد ابراهيم نقد، قد سلكت طريقا يمينيا مغايرا، يقوم على التصالح مع قوي اليمين السوداني، وخصوصا قيادة الاحزاب الطائفية، والتعايش مع واقع التخلف والاستغلال والتسلط، والتبرير له، وسلكت هذا الطريق بانسجام منذ العام 1977، وحتي يومنا هذا، بعد ان ابعدت وصفت المخالفين، وليس اقلهم الشهداء خضر نصر وعبد المجيد شكاك وحسن الطاهر زروق والخاتم عدلان.

إن هذه القيادة بذلك قد عطلت ليس فقط امكانيات عضوية الحزب الشيوعي الخلاقة، ولم تهدر فقط تضحيات ونضالات مئات والاف الشيوعيين، بل هي في المقام الأول شوهت وعطلت انطلاق الحركة الديمقراطية الجماهيرية للتغيير، ولعبت وسطها دور حصان طروادة، جابرة لها لمصالح اليمين السوداني، وذلك في سفور ولسان يميني مفصح مرات، وتحت شعارات يسارية خادعة مرات أُخرى.

إن اغلبنا يذكر الدور الضعيف الذي قامت به هذه القيادة في التصدي لنظام مايو، ودعوتها لجبهة مع قوى اليمين تجمع الطالح والصالح، وتصفيتها لبؤر العمل الديمقراطي والثوري في الجيش والنقابات وحركة الطلبة، وتحالفها بعد انتفاضة الشعب في مارس /ابريل 1985 مع قوي اليمين الطائفي، ودعمها لحكوماتهم بل واشتراكها فيها، وتعطيلها ووقوفها ضد استمرار الهبة الجماهيرية ضد حكومة الصادق/ الترابي في نهاية عام 1988 والمسماة بانتفاضة السُكّر.

ويعلم اغلبنا كذلك معرفة هذه القيادة بتفاصيل انقلاب يونيو 1998 الفاشي، وعجزها عن التصدي له، واكتفائها بتبليغ المعلومات للصادق المهدي ورجال مخابراته، وعجزها من بعد عن التصدى الناجع لهذا النظام، ورهنها ارادة الحزب الشيوعيب وعضويته وجماهيره لتجمع الطائفيين تحت قيادة "مولاهم" الميرغني، ومحاربتها بضراوة للعديد من القوى والعناصر الوطنية التي حاولت شق طريق ثوري وجماهيري للتغير، ومن بينهم الراحل المقيم الاستاذ الخاتم عدلان.

إن هذه القيادة التني استخدمت كافة اشكال التآمر واغتيال الشخصية وعبادة الفرد واستلاب العضوية وتسطيح الفكر، لفرض توجهاتها وادارة هذا الحزب العريق، كما وثّق للأمر الزميل حسن تاج السر، عضو سكرتارية الحزب المركزية منذ عام 1971 في مساهمته النقدية عن وضع الحزب، قد إستمرأت هذا الطريق اليميني، والذي تصدت بعنف وشراسة لكل محاولات التمرد عليه، وتنكرت بذلك لكل التراث الثوري الايجابي لشهداء الشيوعيين ومؤسسي الحزب ولنضالات وتضحيات عضوات واعضاء الحزب العظيمة والكبيرة.

ان هذا الخط اليميني لا يتبدى فقط في قضايا السياسة والتحالفات والتكتيكات، بل هو يتعداها الي قضايا البرامج الهامة، فإن هم هذه القيادة اليمينية لم يعد هو التغيير الايجابي للواقع السوداني، وهزيمة المسؤولين عن طريق الازمة والآلام، وانما التعايش مع هذا الواقع والتعيش منه، وتقديم التنازلات الفكرية والسياسية لقوى اليمين والهوس، حتى وصلت الى تقبل نظام الإنقاذ وعرابيه، والانخراط في مؤسساته وفي صفقة نيفاشا التي انتجت بدولة الانقاذ الثانية.

لقد مزق قلب الكثير من الوطنيين زيارات قيادات الحزب الشيوعي للسفاح حسن الترابي، ومحاوراتهم المتعددة مع حزبه الفاشي، ومحاولتهم ادخاله حلبة الحياة السياسية من الباب، بعد ان اخرجه اخوته الاعداء من النافذة، ويد الترابي وحزبه لا تزال ملطخة بدماء الشرفاء، وطرحه الفاشي لم يزل قائما. كانت هذه الممارسات بالنسبة للكثيرين، العنوان الاكثر سطوعا، وان لم يكن الاكثر اهمية، للدرك الاسفل الذي يمكن ان تصل اليه هذه القيادة اليمينية، في طريق الهزيمة والتسوية والتصالح مع قوى التسلط والاستغلال من اليمين السوداني، ولو كانوا من القاتلين لعضويتها.

ويأتى موقف هذه القيادة الانبطاحي الآن من النظام، وتقبلها لصفقة نيفاشا، ودخولها في هذه القسمة الضيزي بين من لا يملك ولا يستحق، وتجاهلها للجرح الدامي في دارفور،

واعراضها عن قضايا الحريات التي تنتهك كل يوم، وانشغالها بتنظيم نشاطات جماهيرية هشة، تريد ان تثير بها حماس وتعاطف العضوية، بدلا من الانخراط في النضال الجاد ضد النظام، ومواجهة قضايا اصلاح وتغيير الحزب، دلائلا لكل متابع، ان الطريق اليميني قد اصبح خيارا ابديا ثابتا لهذه القيادة، تسير عليه غير عابئة بل وعابثة، بقضايا المواطنين وتضحيات الوطنيين و واعتراضات اغلب الشيوعيين.

إنني اعتقد جازما، إن الحزب الشيوعي السوداني لن يعود الى ساحة النضال الفعلي، من اجل قيم الديقراطية والتحرر الانساني والعدالة الاجتماعية وعلمانية الحياة السياسية والاجتماعية، ما ظلت هذه القيادة اليمينية ومن تعدهم للحلول محلها، على رأسه. كما اعتقد جازما، ان الطريق الحالي للحزب الشيوعي السوداني، في العمل السياسي وفي المواقف الفكرية والبرامجية، انما يشكل خصما من رصيد القوى الديمقراطية والثورية في بلادنا، ودعما لمواقف قوي التسلط والاستغلال والتخلف في السودان.

ان قواعد احترام الأخر، تفترض الا نقول للأخرين ما ينبغي ان يفعلوا. انني شخصيا كنت عضوا بالحزب الشيوعي لمدة 13 عاما، رفضت في بعضها اى اتهام لهذه القيادة باليمينية، وتمسكت عاطفيا بالحزب حتى بعد ان اتضح لي الطريق الخطير الذي تقوده فيه هذه القيادة، ولكني في النهاية لوحدي وبتطوري الخاص، وبعد معاناة والم كبيرين، قد قررت الخروج منه، عندما علمت بانعدام مواعين الاصلاح في الحزب، ولذلك لا يمكنني ان اقول للأخرين ما يفعلوا، طالما انا إحترمهم واحترم انسانيتهم وتفردهم.

لكن بالمقابل فان الواجب الوطني يفرض على ان ان اقول ان هناك واجبا للشيوعيين في تغيير هذه الحال، والتجربة تفرض على ان اقول انهم لن يستطيعوا ذلك، ما داموا يعملوا تحت تلك الاطر التي تسيطر عليها هذه القيادة اليمينية، وانها لن تألوا جهدا، لاسكات اى صوت معارض، وقتل صاحبه او صاحبته معنويا، وان الحل الوحيد هو في تكوين قوى التغيير والاصلاح والتجديد داحل الحزب الشيوعي لاطرها ومنابرها الخاصة، وان تعلن قطعا سياسيا وبرامجيا وسلوكيا مع توجهات هذه القيادة، وان تمد يدها لقوى التغيير والحداثة والثورة في السودان، في الاتجاه المعاكس ليد قيادتها الممدودة والخاضعة لقوى التخلف والاستغلال والتسلط في السودان.

إن قضية الاصلاح ليست حكرا على الحزب الشيوعي، بل هي قضية تواجهها كافة مكونات الحركة السياسية السودانية، وعلى كل ان يواجهها في بيته الخاص. انني شخصيا لم اتورع عن نقد الذات، وعن نقد مختلف تجاربي السياسية، وفي الحزب الذي انتمي اليه

اليوم ينتظرنا عمل شاق طويل للتطوير وتجاوز القصور. بل لقد ذهبت في العام السابق الي توجيه رسالة لشباب وشابات حزب الامة، توسيعا لمواعين الاصلاح، لكني كنت ولا ازال مهتما ومنفعلا بقضايا الاصلاح في وسط الحركات والتنظيمات الديمقراطية والثورية في السودان.

إنني اؤمن مثل عبد الخالق محجوب، ان قوى التغيير في السودان صغيرة ومبعثرة، ولكنها يمكن ان تحقق الكثير اذا ما ترابطت وتوحدت، واعلم انه لا طريق لقوى التغيير في السودان غير الوحدة، ولا امكانية لهزيمة النظام الحالي، الانقاذ 2، الا وفق برنامج وطني شامل، يتم الاتفاق عليه بالحوار الندِّي، وعبر قيادات جديدة، تتبلور بالنضال، وتكتيكات جماهيرية واضحة وشفافة، وعودة الي طريق النضال الجماهيري المجرب.

من هذا المنطلق أمد يدي لكل اعضاء وعضوات الحزب الشيوعي، ممن لا تزال قيم الحرية الانسانية والعدالة الاجتماعية والعلمانية وكرامة المواطن والتغيير عزيزة على قلوبهن/م، وومن لم تستبطنهن/م الهزيمة التي ركبت قيادة الحزب الشيوعي اليمينية، للحوار والتنسيق والعمل المشترك، بما يخدم تلك القيم، وبما يهزم القوى والعناصر والعلاقات المناقضة لها، سواء كانت في وسط اعدائنا المعلنين، او كامنة بين المتسترين في صفوفنا.

مع الشكر والتقدير.

عادل عبد العاطي

15 أكتوبر 5005

هوامش على متن الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني
(1 من 7)

سلاح النقد أم نقد السلاح؟
أو في تعامل الشيوعيين السودانيين مع النقد الموجه لحزبهم

ازعم ان أغلب التنظيمات الاجتماعية والسياسية السودانية، تعاني من حساسية مرضية تجاه النقد الذي يمكن ان يقدم لمكوناتها، وتعاني من انيميا حادة لا تطاق، فيما يتعلق بالنقد الذاتي، اى النقد القادم من داخل التكوين المعين، تجاه بعض مواقفه السابقة او الحالية، وفي هذا الاطار فان الحزب الشيوعي السوداني ليس استثناءا، ولكن ضيق صدر قادته والكثير من عضويته بالنقد قد اصبح مضرب الأمثال.

والطريف في الأمر، ان الشيوعيون السودانيون هم من ادخل تعبير ومفهوم النقد والنقد الذاتي، في الحركة الفكرية – السياسية السودانية، وذلك حين جعلوه – نظريا وقبل زمن بعيد- احد دعائم حياتهم الحزبية الداخلية، ووضعوه في دستورهم، ويبدو انهم قد فعلوا هذا في الأدبيات، ليهربوا منه هربا عظيما في الواقع، وليمارسوا الضد منه تماما، وخصوصا منذ الانكفاء الكبير للحزب عقب هزيمة انقلاب 19 يوليو 1971.

ان عقلية الانكفاء وسيكلوجية إمتلاك الحقيقة المطلقة، انما هي ظواهر معهودة في المجتمعات التقليدية والتسلطية، والمجتمع السوداني مجتمع تقليدي، وبه مؤسسات تسلطية بامتياز، تبتدئ من سلطة الأب والجد والاخ على كافة الاسرة، وتمر عبر المدرسة التلقينية القهرية، والطائفة الدينية المغلقة، ولا تنتهي عند السلطة الحاكمة الديكتاتورية، ولذا فليس من الغريب ان تلقى هذه الظواهر بظلالها على الشيوعيين السودانيين، بحيث يعتبر بعضهم الاعتراف بالخطأ شرا وهزيمة ومصيبة عظيمة.

كما ان الطابع العقيدي والرسالي الذي نظر / ينظر به اغلب الشيوعيون السودانيون الى النظرية الماركسية والى دور حزبهم في الحياة العامة، يحول اغلبهم الى دوغمائيين من الدرجة الاولي، بل وأكاد اقول اصوليين، حيث يتصوروا ان منبع الحكمة والحقيقة والوطنية والشرف كامن في حزبهم وقيادتهم لا يتعداه، وكل من ينقد حزبهم او

قيادتهم انما هو مارق وشرير، ومعاد بالضرورة للحقيقة والوطن والشرف، حتى يثبت العكس.

في هذا التعامل السلبي من ظاهرة النقد، والذي هو – أى النقد- من اساسيات المنهج الجدلي، ومن ابجديات كل تطور وتغيير، يمكن ان نلمس ايضا عقلية ما اسميه بالقلعة المحاصرة، حيث ان التنظيمات والمجموعات والتيارات التي تكون في فترة ما اقلية في المجتمع، او تتخوف من الهزيمة او عانت منها، أو تسير في اتجاه الانحسار، تميل في العادة الى ضم صفوفها والتوحد حول تنظيمها – فكرتها - عقيدتها، وتبجيل قادتها بل وتقديسهم، والدفاع عن القلعة المحاصرة – حقيقة ام تخيلا- حتى الرمق الاخير والرجل الاخير والقطرة الاخيرة من الدم او الحبر.

في المقابل فان الافكار الجديدة والتنظيمات الناهضة، لا تتخوف من النقد بل وترحب به، لانها ترى فيه مصدر قوة، وامكانية لتطوير خطاها. في هذا الاطار يمكن ان ننظر للنص الاكثر نقدية في تاريخ الحزب الشيوعي السوداني، وهو وثيقة "اصلاح الخطأ في العمل وسط الجماهير" ، والتي كتبها عبد الخالق محجوب في عام 1961 ، وقدم فيها نقدا شاملا لعمل الحزب ومناهجه بعد 15 عاما من تاسيسه، على مستوى التعامل مع الافكار والجماهير واشكال التنظيم والعادات والتقاليد الخ.

لقد اندهشت في الثمانينات، وانا انظر لمقدمة الطبعة الجديدة لتلك الوثيقة، والتي توقعت ان تقوم بنقد تجربة الحزب منذ 1961 والي تاريخ اعادة الطباعة، بنفس المنهج، لاجد انها هربت من ذلك الواجب، وكررت او اختصرت ما قالته الوثيقة التي كتبت قبل ربع قرن.. ان عقلية تعتقد ان ربع قرن من العمل وسط الجماهير، كانت خالية من الاخطاء ، أو لا تجد الرغبة او القدرة لنقدها، لا يمكن ان تنتج الا حالة الانكفاء وعقلية القلعة المحاصرة التي نلمسها في ردود فعل بعض الشيوعيين اليوم.

لقد قال البعض ان الكيزان لا يعترفوا ابدا باخطائهم، ولا يعتذروا عنها، بل يبرروها في أحسن الاحوال، وذلك لما دخل في روعهم من امتلاك الحقيقة المطلقة ومن حيازة اسرار الأرض والسماء ومن طهر وقدسية قادتهم غير المقدسين. وفي هذا المجال فان الحزب الشيوعي السوداني لا يختلف عنهم البتة.

ولو كان بعض هؤلاء الشيوعيون يكتفوا برفض النقد السلبي، لكان هذا هينا، ولكنهم ينتقلوا سراعا الي الهجوم والاتهامات التي ليس لها دليل ولا اساس تجاه الناقدين، وشخصنة الحوار معهم، ووصفهم بالانتهازية والامنجية والسقوط الخ،

ومحاربتهم اجتماعيا .. ويمكن ان نجد مثالا ساطعا في تعامل الشيوعيين اليوم مع الصحفية صباح أحمد، والتي لمجرد ان كتبت مقالا نقديا عن حزبهم، وكتبت عن الفشل والمناورات في عقد مؤتمرهم الخامس، تحولت عندهم الى عميلة لجهاز الأمن، كما تقول الميدان، وتحولت عند بعضهم الى العدو الاول والأخير، والذي يمكن ممارسة اسوأ وابشع ممارسات اغتيال الشخصية والقتل المعنوي والتبشيع تجاهه.

يقول عبد الخالق محجوب عن مسلك مثل هؤلاء:

" نتج عن المسلك الخاطئ المتميز بالعجلة ان اصبح بعض الرفاق يطلقون الصفات علي الناس دون مبرر: فهذا انتهازي وذلك جاسوس !! بالطبع هناك الانتهازي وهناك الجاسوس، ولكن الانتهازية مسلك مستمر وموقف طبقي، والجاسوسية امر لا بد من التحرز والدقة والاقتصاد في الحكم عليها. (.....) وهذه الاحكام العاجلة المبتسرة تصبح اخطر اثرا، عندما تصدر من قادة في حزبنا، وهناك بعض الرفاق في فصائل القيادة يسلكون هذا المسلك غير المسؤول ازاء الجماهير، بل في بعض الاحيان ازاء الاعضاء، فيستثقلون دم شخص دون ذنب جناه، ويذمون آخر ويجرحونه دون مراعاة لمراكزهم ومسؤولياتهم.(.....) مثل هؤلاء الرفاق يخربون علاقات حزبنا بالجماهير، ويهدمون ما بني غيرهم في وجه صعوبات جمة، ويستجيبون لفردية البرجوازي الصغير، الذي يعيش اسيرا لتعصبه، ويبني احكامه علي النزوات الطائشة والعواطف الفجة." [1]

ان مثال الصحفية صباح أحمد، يقف مثالا ساطعا على هذا التعصب، وبناء الاحكام على النزوات الطائشة والعواطف الفجة، وعلى انعدام التحرز والدقة والاقتصاد في الاحكام، حيث يجهل بعض هؤلاء الشيوعيون او يتجاهلوا، ان ما نعاني منه في بلادنا ليس كثرة النقد بل قلة النقد، وليس انفلات الصحافة بل عدم حرية الصحافة، والتي هي في الانظمة الديمقراطية تشكل السلطة الرابعة، فهل يكون مصير كل صحفي انتقد حزبا ان يؤكل حيا هكذا، وان يمارس عليه ما حذر منه عبد الخالق محجوب قبل حوالى نصف قرن؟

ان معظم الشيوعيين ممن اتهموا الصحفية صباح بالعمالة للأمن، لا يمكنهم تقديم دليل على ذلك، وهم بهذا إنما يقدموا اسوأ الامثلة لموقفهم من قضايا الشفافية وحرية التعبير وحق الرأى العام في معرفة المعلومة. ولا يهمنا هنا ان تكون الصحفية صباح

[1] *عبد الخالق محجوب: إصلاح الخطأ في العمل وسط الجماهير: الطبعة الثانية - ص 48-49*

متحيزة ضد الحزب الشيوعي ام لا، أو أن تكون هناك هنات في حرفيتها الصحفية، بقدر ما ان الاهم هو حق المواطن في المعلومة، وحقه في انتقاد احزابنا السياسية المتكلسة، وقياداتها الديناصورية، هزا للقديم واستشرافا للجديد، وحق الصحفي في حرية التعبير.

ان الصحفيين في البلدان المتقدمة والديمقراطية، تكاد تكون لهم حصانة من السياسيين مطلقة، وهم باسم الرأى العام من حقهم تعقب هؤلاء السياسسين بالذات، وفضحهم ونقدهم، ولو كان النقد لاذعا ومؤلما وغير صائبا في بعض الاحيان.. ولم اسمع عن اى صحفي تمت محاولة اغتياله معنويا، واتهامه بالعمالة للامن دون دليل الا العواطف الفجة، في تلك البلدان التي يحترم سياسيوها ومؤسساتها السياسية حق المواطن في المعلومة.

ان ممارسة اغتيال الشخصية عند قيادة الحزب الشيوعي قد تم رصدها من أكثر من مراقب: كتب عنها الدكتور حيدر ابراهيم على، وكتب عنها الاستاذ عرمان محمد احمد، واكتوي كثيرا منها وكتب عنها الراحل الكبير الخاتم عدلان. ورغم ان دكتور حيدر والراحل الخاتم عدلان قد شككا في فعالية هذا السلاح اليوم في يد الشيوعيين، الااننا نؤكد انه لا يمكن ان يتم اصلاح وتطوير الحزب الشيوعي السوداني، أو أي تنظيم يخرج منه، ولا اندراجه من جديد وسط القوى الديمقراطية، واستعادة مواقعه في النضال من اجل الحريات وحقوق الانسان وكرامة الفرد، لو لم يتخلص من حساسيته المرضية تجاه النقد، ومن ممارسات اغتيال الشخصية الشنيعة والبشعة.

ويتظهر الضيق بالنقد عند بعض الشوعيين، بمطالبة الناقد ان يترك الحزب الشيوعي وينصرف لاموره، وخصوصا اذا كان هذا الناقد قد فارق صفوف الحزب من قبل، او كان ينشط في حزب آخر. بل ان هذه السلوك قد تبدى حتى في التعامل مع المختلفين في الراى من الشيوعيين، وكلنا يذكر دعوة التجاني الطيب للمنتقدين لايدلوجية وبنية الحزب الشيوعي المتكلسة، ان يتركوا " حزبهم" ويذهبوا لبناء "حزبهم" الديمقراطي بعيدا!!

لقد واجهني هذا المنهج كثيرا، وطلب مني بعض الشيوعيين ان اترك حزبهم لحاله، كما طلب مني البعض الآخر ان اتفرغ لبناء حزبي الجديد !! وفي الحقيقة اقول ان هذا المنطق المعوج مدهش في انكفائيته، فلماذا اذن ننتقد حزب الامة، والمؤتمر الشعبي،

والحركة الشعبية ، والمؤتمر الوطني ، والنظام، اذا كان عدم الانتماء لحزب معين يمنع من نقد اخطائه او جرائمه؟ ان المشاركة في بناء حزب جديد او احزاب جديدة، او الوجود في مواقع الاستقلال، لا يمنع المواطن السوداني من حقه في انتقاد الاخطاء في الحركة السياسية القائمة، تماما مثلما ان انخراط الشيوعيين في عمل حزبهم، لا يمنعهم من نقد غيرهم من الاحزاب او القيادات او المؤسسات السياسية.

إنني شخصيا رحبت وارحب بكل نقد موجه تجاه شخصي الضعيف، وتجاه الحزب الذي انتمي اليه، ولقد تعلمت من كل نقد وجه الي، او الى أي حركة سياسية انتمي لها، واحسب ان من يعمل لا بد ان يخطئ، وان خير تصويب للاخطاء يأتى عبر معرفتها اولا، ومرات لا يتاح رؤية الاخطاء الا من الخارج، وخصوصا في الاحزاب العقائدية الرسالية، ولذا اظن انه من الافضل ان يرحب الشيوعيون بالاحرى بكل نقد موجه اليهم، اذا كانوا يريدوا حقا الاصلاح وتطوير الحياة السياسية، لا مقابلته بالعداء والاتهامات المجانية و الاحكام العاجلة المبتسرة، المبنية على التعصب والعواطف الفجة والنزوات الطائشة.

لقد آن الاوان ليس في الحزب الشيوعي فحسب، بل وفي كل مكونات الحركة السياسية السودانية، ان نشهر سلاح النقد عاليا، لما نحن فيه من حال، وان ننتقد البني المتكلسة والقوى والعناصر المسؤولة عن هذا الحال، وان ندع الاقلام تنتقد والاصوات تعلو بالخلاف والسجال والحوار، بدلا من ان ننقض بعضنا بالسلاح، اى ان نقتل بعضنا بعضا، من اجل المطامح الذاتية لهؤلاء القادة بالذات.

عادل عبد العاطي
2005/10/ 19

هوامش على متن الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني
(2 من 7)

الميثولوجيا والمارتيرولوجيا في تربية الشيوعيين
أو في التعامل العاطفي وهل يبني الحزب صنما يعبد ؟

الميثولوجيا في اللغة هي الاسطورة، والمارتيرولوجيا هي الاحتفاء بالشهداء، أو قل هي روح القربنة، اى الاحتفاء بالشهداء – القرابين وتعليقهم ايقونات على الصدور، او بالتعبير القديم قل هى البكاء على الاطلال والقبور.

الشيوعيون في تطويرهم لملامح غيبية قوية في اطار ايدلوجيتهم التي يقال انها علمية، ادخلوا كثيرا من الميثولوجيا والمارتيرولوجيا ق نظامهم لتربية الاعضاء، وهذه ظاهرة يمكن رصدها في تجربتهم على المستوى العالمي، او في صيغتها المحلية في السودان.

هذه الاسطرة للتاريخ الخاص، والبكاء الدائم على قبور الشهداء – القرابين، تحول الحزب السياسي من كونه أداة للفعل السياسي، لتحقيق برنامج سياسي بعينه، الى هدف في حد ذاته، ويتحول الحزب نفسه – بفعل الاستخدام الطوطمي لتاريخه وقادته وشهدائه - الى اسطورة والي ايقونة يصلي تجاهها، او الى صنم جديد يعبد من قبل من رفضوا الاصنام القديمة.

يقول عثمان محمد صالح، في استخدام الشهداء في صنع ايدلوجيات الاستلاب السياسي والوجودي في شمال السودان، وهي الظاهرة التي مارسها الحزب الشيوعي عن جدارة:

"الإستشهاد مفهوم مركزيّ بالنسبة للعقل السياسي لشمال السودان . إنه " الفصل " السرّي اللامكتوب من برامج الأحزاب السياسية و مكوّن أساسيّ من مكونات صورة كل حزب عن نفسه و آليات عمله في مجال الدعاية و التبشير و الإستقطاب. من العسير العثور على حزب سياسي ـ راسخ ـ لا يمتلك فعلياً أو يدّعي إمتلاكه لرصيد من الشهداء في" بنك السياسة "، وكأن ممارسة السياسة مرادفة للموت، لكن الأمر ليس كما يتبدّى للوهلة الأولى، فالرسالة " الخفيّة" تقول ما يلي : أنا حزب الشهداء ، إذن أنا موجود

! وبقدر ما تطول قائمة الشهداء بقدر ما يُمنّي الحزب المعيّن نفسه بإكتساب عمر مديد.[2]

هذه الاسطرة للتاريخ والبكاء الدائم على الشهداء واستخدامها عاملا لربط العضوية بالحزب وتراثه الرمزي، نجدها تدخل في تربية الشيوعيين منذ أول ملامسة لهم للحزب، أى في مراحل الدعاية والتبشير والاستقطاب، وفي ظل واقع تنتشر فيه الافكار الغيبية والميتافيزيقية، ويأتى فيه الانسان الى مواقع العمل السياسي المتأدلج الى درجة كبيرة، مليئا بالحماس والنهج الرسالي، يكون لهذا المنهج بعض الفعالية مرات، ولكنه لا يؤدي بأي حال الى بناء الوعي النقدي والعلمي المرتقب في ومن حزب ثوري.

هذا المدخل لا يستخدم فقط للاستقطاب، وانما لزيادة لحمة الاعضاء بالحزب، حيث يصبح الارتباط بالحزب ليس ارتباطا ببرنامجا سياسيا محددا، وانما بتراث روحي طويل، ممتلئ بالشهداء – القرابين، الذين يملاؤا على العضو كل مسامات حياته، وتصبح قمة المني ليست الحياة والانجاز فيها، وانما الموت مستشهدا، وتصبح بذلك حقا ممارسة السياسة مرادفة للموت، ويكون حينها الخروج عن الحزب، اذا ما عاد يوافق آراء الانسان، او تم الاختلاف مع قيادته، بمثابة موت معنوي، وتخلي عن كل هذا التراث الروحي العظيم.

نفس الشي يتم انتاجه وتطويره عن القادة الأحياء، والذين تروي عنهم ايضا قصص تقرب للأساطير، ويتم تضخيم انجازاتهم و"تضحياتهم" الى حدودها القصوى، ويفرض نوع من الغموض والسرية والهالا ت النورانية عليهم، ويتم التعامل معهم كشهداء – أحياء، ويكون مجرد استمرارهم في قيادة الحزب لعقود، غض النظر عن نتيجة هذا الاستمرار او سببه او مثالبه، مصدرا للفخر، كعلامة للصمود، وتكون اى محاولة لنقدهم، فكريا او سياسيا، بمثابة هرطقة وكفر عظيم بالمقدسات والمقامات.

هذا طبعا لا ينفصل عن الطبيعة التقليدية للمجتمع السوداني، بكل ما فيه من ارث طائفي وعشائري وابوي، ووجود المؤسسات التسلطية والقمعية والقهرية التي اشرنا اليها سابقا، حيث سلطة الاب مستمرة على ابنائه وبناته حتى الموت، ولو بلغوا – وبلغ – من العمر عتيا، اما المريد فهو في يد شيخه، كالميت في يد الغاسل، والاستاذ في تعامله مع التلميذ لا يقبل حوار ولا نقدا، وزعيم الطائفة يكاد يُعبد من قبل اتباعه، الخ الخ، لذلك لا غرابة

[2] عثمان محمد صالح: الاستشهاد و الشهداء في شمال السودان: زاوية نظر سوسيولوجية، فرايبرج – هولندا، 2004/4/28

ان تنخرط القيادة اليمينية للحزب الشيوعي وان تنسجم مع هذا الجو العام، وان تستمرأه وتعيد انتاجه في حزبها الذي قيل انه "من طراز جديد"، وخصوصا انه كلما كبر عمر الانسان، زاد ميله للحلول التقليدية وابتعد عن دعوات وممارسات التغيير والتجديد.

هذا كله يؤدي الي بناء عقليات غير نقدية، وسط عضوية الحزب الشيوعي، تتعامل مع حزبها بصورة صنمية، ومع قادتها بصورة عاطفية، وتؤدي الي الرد الرافض العنيف والتعامل بتشنج مع اية اطروحات نقدية، تأتى تجاه هذه القيادة او الحزب، وتجعل اعدادا كبيرة من هذه العضوية متحجرة تجاه النقد ودعوات التغييير التي تأتي من خارج القيادة، وفي نفس الوقت تتعايش بخضوع مع كل ما تأتي به القيادة من سياسات وممارسات، مهما احتوت من تناقضات، ومهما صادمت مقتضيالت الواقع، او خالفت اهداف ومبادئ وبرامج وتاريخ وتراث الحزب، او شذت عن المنطق السليم، او تصادمت مع مصالح الشعب الملحة.

من كان يصدق قبل 5 سنوات مثلا، ان بعض الشيوعيون سيدافعوا عن تعامل قيادتهم مع حزب الترابي، وزياراتهم للرجل ومحاولتهم ادخالة حلبة السياسة السودانية من الباب، بعد ان اخرجه منها تلاميذه – الاعداء من النافذة، وانهم سيهاجموا كل من يرفض هذا السلوك الانتهازي، وانهم لن يألوا جهدا في ذلك، وسيطوعوا كل المناهج البراجماتية وسيجعلوا من الفسيخ شربات، لتبرير ما لا يبرر بالعقل والمنطق"، وينفوا ما هو معلوم بالضرورة.

من كان يصدق مثلا، ان يوافق بعض الشيوعيون على انخراط قيادتهم في صفقة نيفاشا، وتقديمها التنازلات الواحدة تلو الأخري تجاه نظام الانقاذ الدموي الفاشي، وان تدوس على دماء الشهداء، وان تجعل سقف مطالبها منخضا حتى عن مطالب الاحزاب الطائفية، وان تتراجع عن دعم ما طالب به المجتمع العالمي من محاكمة مجرمي النظام، والذين استشهد عشرات الشيوعيين تحت ايديهم، كما جاء في موقفها المضطرب من قرار مجلس ألامن رقم 1593، والذي عجزت قيادة الحزب الشيوعي اليمينية عن صياغة موقف واضح منه، بعد شهور عديدة من صدوره؟

التعامل الصنمي مع الحزب، يظهر كذلك في أدبيات الشيوعيين، في تقديم الحزب على الشعب، حيث نجد قولهم "شهيد الحزب والشعب " ، " قضية الحزب والشعب " ، " مصالح الحزب والشعب" ، الخ الخ ، ونحن هنا نتسائل، هل هذا الحزب هو كيان خارج الشعب، حتى يُميز عنه، وهل هو اهم من الشعب، حتى يقدم عليه ؟

من الواضح ان الشيوعيين ينظروا للشعب ومصالحه وقضاياه، من منظور حزبهم ومصالحه وقضاياه، ويعتقدوا ان حزبهم هو خلاصة الشعب السوداني، وان الانتماء اليه هو قمة الانتماء لذلك الشعب، وان كل الانتماءات السياسية والفكرية الاخري، هي مشبوهة باحسن الاحوال، وخائنة في اسؤاها، ومن هنا يتبدى ويُفهم لنا حجم الهستيرية والتشنج والعداء والكراهية التي يتعامل بها بعض الشيوعيين مع الخارجين عن حزبهم، حيث يعدونهم مباشرة خارجين عن الشعب، الذي تماهى لهم مع حزبهم.

هذا يفسر ايضا، كيف ان العديد من الشيوعيين، ممن توصلوا الى قناعات مخالفة تماما لاطروحات حزبهم، يتخوفوا من الخروج من ذلك الحزب، او الانضمام الى حزب آخر، وذلك بسبب من صورة ذلك الحزب الاسطورية في لاوعيهم، وحفاظا على العلاقات الاجتماعية والنفسية التي طوروها اثناء وجودهم فيه، وخوفا من السقوط في عيون "الزملاء"، والذين هم اشداء كل الشدة مع رفاقهم السابقين، والذين يقف معظمهم في الصف الديمقراطي والثوري، ورحماء كل الرحمة اليسوم مع قادة النظام والفاشيين مثل الترابي ومع الزعماء الطائفيين، رغم مواقفهم المعادية للشعب و"الحزب الشيوعي".

ان هذا ما يفسر وجود شيوعيين مغتربين داخل حزبهم، يلهجوا بلسان، وحزبهم بلسان آخر، وفي ذلك فانني اذكر ان احد الاعضاء في فرع الحزب الشيوعي ببولندا، قد كان يتبني اطروحات اقتصادية متطرفة في دعوتها ودفاعها عن الراسمالية، في اكثر اشكالها يمينية، ومع ذلك كان عضوا في الحزب الشيوعي. اذكر انه قد دارت لي محاورات مطولة مع هذا العضو، والذي كنت اقف على يساره من ناحية الآراء الاقتصادية، وذلك بعد خروجي من الحزب الشيوعي، ولم يستطع ان يقدم شرحا لانتمائه للحزب الشيوعي السوداني، مع تبنيه لتلك الاطروحات الاقتصادية الراسمالية المتطرفة، غير الانتماء التاريخي والعلائق العاطفية وعجزه عن قطع الحبل السري مع صورة ذلك الحزب الميثولوجية والمارتيريولوجية التى تربى عليها عبر السنين.

هذه الممارسات والعقلية والنهج، لا يمكن بأى حال من الاحوال ان تطور بناء علاقات سليمة فيما يتعلق بعلاقة العضو بالحزب، فالعلاقة هنا ليست مع تنظيم زمني، تقوم على الاتفاق على برنامج، والالتزام بلائحة، وانما هي علاقة روحية ميتافيزيقية، يكون فيها العضو دائما تحت الضغط الهائل لميثويلوجيا الحزب، ولهيمنة قيادته، وهي هلاقة في حدها الادني تشكل علاقة استلاب، وفي اشكالها الاكثر تطرفا، تشكل علاقة عبودية.

ان صورة الحزب الشيوعي في عيون بعض اعضائه، او قل الصورة التي يربي عليها العضو، لا علاقة لها بعلم السياسة الحديث، حي الحزب السياسي ما هو الا اداة واحدة، من ادوات العمل السياسي. وليس العمل السياسي نفسه، الا شكلا واحدا من اشكال النشاط العام، لا تتوقف الحياة دونهما، ولا ينبغي ان يعطيا اكثر من حجمهما، كادوات لتحقيق اهداف اهم منهما، وهذه الاهداف هي ما تستحق النقاش والحوار والتمسك بها، طالما اقتنعنا بها، وليس الادوات المتغيرة، والتي يمكن ان تبلي وان تتغير، بمرور الايام وتبدل الاحوال.

هذا العلاقة الطوعية والصحية لعلاقة العضو بالحزب، والتي تفترض حق الاختلاف والنقد والخروج عن الحزب وتغييره، تنبع اساسا من مفهوم المواطنة، ومن حرية وكرامة الفرد وحقوقه ككينونة مستقلة، وان يكون المواطن هو الهدف والغاية، وليس الحزب او الايدلوجية او القائد، وهذا هو لب النهج الليبرالي او الديمقراطي.

بالمقابل فان علاقات الخضوع والاستلاب والعبودية، المطورة عبر آليات الأسطرة وعبادة الشهداء والقادة، إنما تنتمي الى مجال فكري واجتماعي آخر، اقطاعي - طائفي عشائري على المستوي الاجتماعي، وعقيدي رسالي ميتافيزيقي على المستوى الفكري، يُغيّب فيه الانسان لصالح المؤسسة (التي تصبح طائفة)، وينسحق فيه التابع امام القائد، وتضيع فيه الحقيقة امام الاسطورة، ويتراجع فيه الواقع امام الايقونة، وينهزم فيه العقل امام الصنم.

عادل عبد العاطي
22 أكتوبر 2005

هوامش على متن الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني
(3 من 7)

الرجل الشريف يحارب الفكرة بالفكرة
او كيف يحارب الشيوعيون خصومهم باغتيال الشخصية والإشاعات الكاذبة والدعاية السوداء

في النصف الاول من خمسينات القرن الماضي، وزعت بعض الأطراف المجهولة في السودان منشورا موقعا باسم الشيوعيين، يدعو المواطنين إلى نبذ الدين الاسلامى وإسقاطه، والى اعتناق الشيوعية .وبعد توزيع هذه المنشورات نظمت حملة فى المساجد ضد الشيوعيين، الذين قيل أنهم يهاجمون معتقدات أغلبية سكان السودان، وطالب بعض خطباء المساجد في تلك الأيام بوجوب إهدار دم الشيوعيين.

وقد كتب عبد الخالق محجوب حينها، مقالا قويا، يعتبر من أفضل مقالاته السجالية، بعنوان: الرجل الشريف يحارب الفكرة بالفكرة، وهو المقال الذي يعرف ايضا بعنوان: "كيف أصبحت شيوعيا"، وفي ذلك المقال يشرح عبد الخالق طريقه الي الشيوعية، وكيف انه لم يلتزمها بحثا عن الاديان، وانما كطريق للنضال السياسي والاجتماعي، وأوضح ان لا صراع للشيوعيين السودانيين مع الأديان، وختم مقاله بمخاطبة من دسوا تلك المنشورات قائلا:

"بقى أن أقول للدوائر التى أصدرت هذا المنشور أن الرجل الشريف يصرع الفكرة السياسية بالفكرة السياسية ويعارض فكرة معينة بالحجة والمنطق. ان محاولة تزييف أفكار أعدائكم أو من تعتقدون أنهم أعداؤكم، بهذه الطريقة الصغيرة لا تليق، فوق أنها عيب فاضح. أما أساليب الدس فهي من شيم الصغار ..." [3]

تذكرت كل هذا، وانا أقرا بعض ردود بعض اعضاء الحزب الشيوعي السوداني، على رسالتي المفتوحة لعضوات واعضاء ذلك الحزب، والتي نشرتها بتاريخ 16 اكتوبر 2005، حيث تراوحت الردود ما بين التهجمات الشخصية والانفعالات المريرة من جهة، والدفاع غير النقدي التبريري، المنطلق من مواقع سلفية نصوصية، من الجهة الاخرى، وان كانت هناك جواهر في وسط هذا الركام العظيم، تمثلت في بعض التفاعل الايجابي مع الرسالة، من قبل بعض الشرفاء والديمقراطيين والإصلاحيين في صفوف الشيوعيين.

---

[3] *عبد الخالق محجوب: الرجل الشريف يحارب الفكرة بالفكرة : من كتاب محمد احمد سليمان: اليسار السوداني في عشرة سنوات*

ومن بين تلك الردود، استرعى اهتمامي بشكل خاص، رد من قبل عضو في الحزب الشيوعي السوداني، يدعي خالد العبيد، مقيم باستراليا، ويبدو انه ذو حظوة ومحسوبية في الحزب الشيوعي وعند قيادته اليمينية، بدليل ان توصيلته – اى إيصاله بفرع الحزب الشيوعي عند انتقاله من مكان الي اخر – تصل اليه بسرعة جهنمية، كما اعترف بنفسه، فهو حين يذهب للرياض تاتيه في ثلاثة ايام، وعندما يقطع البحار في اتجاه استراليا تاتيه في اسبوع، وعندما يسافر إلي القاهرة يحملها في جيبه، بينما في العادة تصل للعضوية العادية بعد اشهر طويلة وسنوات، أو لا تصل إطلاقا.

وقد زعم السيد خالد العبيد، في رده على رسالتي المفتوحة، انه يملك وثيقة مكتوبة بخط اليد، يعترف فيها عضو قيادي في الحزب الليبرالي السوداني، الذي انتمي اليه، بعمله في جهاز أمن الجبهة القومية الاسلامية، وهددني بنشرها، واعتبر ان هذا خبر غير سار بالنسبة لي، الخ الخ من غث الكلام.

وقد خاطبت السيد خالد العبيد، مطالبا اياه بنشر الوثيقة في الحال، وقلت له اننا لا نتستر على اى جاسوس في صفوفنا، واعتبرت ان نشره لمثل هذه الوثيقة، اذا كان يملكها حقا، هو انتصار للحقيقة والتاريخ، وفي نفس الوقت حذرته من محاولة التلفيق واغتيال شخصية البشر بالباطل، فقال ببساطة انه يملك الوثيقة ولكنه سينشرها في الوقت الذي يروق له، وانني لست من احدد له وقت النشر، وسدر في غيه يعمه.

هذه الواقعة توضح حجم الانحطاط الذي وصل اليه بعض قادة وكوادر الحزب الشيوعي، في ممارسة اغتيال الشخصية والدعاية السوداء واختلاق الاكاذيب والتشنيع، و التي اشرنا اليها وأشار اليها غيرنا اكثر من مرة، وهي لا شك ليست من اساليب الرجال (والنساء) الشرفاء (والشريفات)، الذين يحاربون الفكرة بالفكرة، كما دعا عبد الخالق محجوب، وانما هي الاساليب التي سميت بسببها السياسة باللعبة القذرة، والتي تخصصت فيها القيادة اليمينية للحزب الشيوعي السوداني، ومن يسير على نهجها بغير هدي ودون إحسان.

ان اتهاما معمما لقائد في حزب سياسي سوداني، مهما كان حجم هذا الحزب، بالانتماء لأمن الجبهة القومية الاسلامية، هو إتهام خطير بكل المقاييس، وما دام قد أُطلق، فلا بد ان يتم اثباته، او الاعتذار عنه، ولكن المتخصصين في الدعاية السوداء، من كوادر الحزب الشيوعي السوداني التابعين لقيادته اليمينية، يريدوا ان يسيروا على طريق الوان والراية، والتي اتهمت من قبل المهندس صالح الخير بالتخابر لصالح الجيش الشعبي لتحرير

السودان، وعندما برأته المحكمة، قالوا ببجاحة ان هذا لا يهمهم، فقد انتشرت الإشاعة في كل السودان، وهذا هو المهم.

هذا الاسلوب الخسيس في العمل السياسي، تنبه له عضو سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني، حسن تاج السر، حين كتب عن ممارسة اغتيال الشخصية والاشاعات المغرضة، التي تستخدم ضد الاعضاء القادة في الحزب، ناهيك عن الخصوم السياسيين، ووصف الوضع السائد في حزبهم ملخصا له في التالي:

" عقيدة ايمانية .. عبادة فرد .. شخصنة الحزب في سكرتيره العام .. تفشي الكسل الذهني بين مثقفيه .. معاداة المبادرة .. سيادة أساليب الهيمنة والتشرذم والفتك بالخصوم وتدميرهم عن طريق تشويه السمعة وفبركة التهم .. وتسريب الاختلاقات والأقاويل عن القادة الغير مرغوب فيهم للحط من شأنهم وقتل شخصياتهم ... والإنتشاء باخبار السقوط والإرتداد والإبعاد من القيادة .. افتقاد الحق والعدل داخل الحزب .. وأصبحت القيادة نهباً للكذب والتآمر، وتحول الحزب الي قطيع مسلوب الارادة وانطمست معالم الحزب كمؤسسة ديمقراطية."
[4]

أما احد اعظم الرجال والابطال، ممن حاولت ماكينة الدعاية السوداء للحزب الشيوعي السوداني وقيادته اليمينية اغتياله معنويا وسياسيا واجتماعيا، فهو الاستاذ الراحل الخاتم عدلان، والذي حكى عن تجربته معهم، وكيف انه كان يتعامل معهم اجتماعيا، ويزورهم ويبتدر بالتقاط خيوط الصداقة والود، في حين تعاملوا معه بلؤم:

"ولكن العكس ليس صحيحا فعندما خرجت حاول كثير من الشيوعيين، بتشجيع من القيادة .. اغتيال شخصيتي .. وهذه واحدة من الممارسات التي كان يمارسها الحزب الشيوعي للاسف واصبح عاجزا عنها يعني هو حتي لو تخلي عنها فسيكون تخلي العاجز اسلوب اصبح لايفيد كثيرا ولكنهم علي كل حال حاولوا اغتيالي معنويا . ولاكون دقيقا فان فئات منهم حاولت ذلك وهذا ايضا بدوافع البرنويا ودوافع المقولة اللينينية ان الشيوعي اذا سقط يسقط عموديا وهذا هراء محض (...)" [5]

---

[4] *راجع قضايا سودانية، مجلة يصدرها الحزب الشيوعي السوداني، العدد الثاني والعشرون، ديسمبر 1999، صفحة 1*

[5] *الخاتم عدلان، لقاء صحفي مع جريدة أخبار اليوم، 2004*

وفي ممارسة اغتيال الشخصية، فان القيادة اليمينية للحزب الشيوعي السوداني وتابعيها تنهجم على خصومها وتتهمهم في اخلاقهم، كما فعلوا مع الشهيد والقائد العمالي الفذ قاسم امين، او تتهمهم بالسرقة والاختلاس، كما فعلوا مع الراحل الخاتم عدلان، او تتهمهم بالجاسوسية والعمل للامن، كما يفعلوا الان في اسلوب عاجز مخز، تجاه عضو قيادي يزعموه في الحزب الليبرالي، وبوثيقة مزعومة يتهربوا من ان ينشروها، وفي الحقيقة فانهم في هذه الاتهامات المجانية لهم تاريخ مخز طويل.

فغير اتهاماتهم العضيرة والحقيرة في الميدان لاعضاء منهم كل ثلاثة اشهر، نذكر ما فعل سكرتيرهم العام اليميني محمد ابراهيم نقد، حين اتهم الاستاذ خالد المبارك بالعمل لجهاز امن النميري، فلما رفع الرجل القضية للقضاء، تراجع نقد واعتذر له، او كما فعلوا مع الدكتور منصور خالد، والذي اتهموه في كتابهم عن قضية الجنوب في 1977 بالعمالة للمخابرات الامريكية، ثم عادوا خلسة لسحب تلك الفقرة، ودون اعلان او تبرير، في الطبعة الثانية للكتاب، عندما اصبح الرجل رقما في الحركة الشعبية لتحرير السودان، مما رصده الباحث الدكتور عبد الله على ابراهيم، ونعته ب" خفة اليد الثورية".

وفي الحقيقة فان اتهام القيادة اليمينية لخصومها بالتجسس والامنجية، هو استمرار لنفس منهج ارباب الارهاب الستاليني الكالح، وهو من جانب اخر قد يغطي على الجواسيس الحقيقيين: الم يعدم ستالين مئات والاف البلاشفة ومن بينهم كامينيف وبوخارين وتوخاشيفسكي ويرسل في قتل تروتسكي، بدعوي عملهم كجواسيس للامبريالية، الم يقف وراء تنفيذ كل ذلك بيريا عميل الاوخرانا الروسية ؟ ان القيادة اليمينية لو كانت تريد حقا ان تبحث عن الجواسيس، فلتبحث عن الجاسوس الذي تحدث عنه ابو رنات، رئيس البوليس السياسي بزمن دكتاتورية عبود، والذي يجلس في قمة هرم الحزب الشيوعي منذ الخمسينات، والذي حاول الشيوعيين مقايضة ابورنات لكشفه، بعد ثورة اكتوبر، فرفض وما زال يحتفظ بالسر!

من هو هذا الجاسوس في قمة هرم الحزب الشيوعي: هل هو من أعدم وصية عبد الخالق محجوب الاخيرة، ام من طلب من الامريكان قرضا دون فائدة؟ ان معرفة هذا الجاسوس ستساهم كثيرا في حل كمية من اعقد اسرار الحياة السياسية السودانية في خلال الخمسين عاما الاخيرة، والتي كان للحزب الشيوعي السوداني طرفا فيها، وسيفسر سر التوجه اليميني في قيادة الحزب الشيوعي، والخيانات التي دفع ثمنها مجموعة من انبل البشر، من قيادات الحزب الشيوعي وكوادره.

في النهاية اقول مع عبد الخالق محجوب، ان الرجل الشريف (والمراة الشريفة) يحاربان (او يحاوران) الفكرة بالفكرة، ولا يلجأن الى اساليب الدس التي هى من شيم الصغار، ولكن انى هذا ممن شخصنوا الحزب في شخص سكرتيره العام، وعادوا المبادرة، وسادت وسطهم أساليب الهيمنة والتشرذم والفتك بالخصوم وتدميرهم عن طريق تشويه السمعة وفبركة التهم وتسريب الاختلاقات والأقاويل عن القادة الغير مرغوب فيهم للحط من شأنهم وقتل شخصياتهم . كيف يكون هذا لمن اصبح همهم الإنتشاء باخبار السقوط والإرتداد والإبعاد من القيادة.. اين يكون هذا في حزب افتقد فيه الحق والعدل، وأصبحت القيادة فيه نهباً للكذب والتآمر، وتحول الي قطيع مسلوب الارادة وانطمست معالمه كمؤسسة ديمقراطية، كما يقول الزميل حسن تاج السر، عضو السكرتارية المركزية للحزب (اليميني) السوداني.

عادل عبد العاطي
2005/10/24

هوامش على متن الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني
(4 من 7)

أشر يسارا وقف يمينا
او في النهج اليميني للقيادة الحالية للحزب الشيوعي

أذكرُ انه، وأبان الصراع الحامي في عدن، في منتصف ثمانينات القرن الماضي، بين "رفاق" الحزب الأشتراكي اليمني، وقبل اندلاع حرب القابائل الماركسية هناك، أنه كانت تدور طرفة بين اليساريين في السودان، تريد ان تسجل موقف مختلف القوى والقادة في الصراع في الساحة اليمنية، فقيل ان عبد الفتاح اسماعيل وعلي صالح محمد وعلي عبد الله صالح كانوا يترحلون بعربة أجرة، فلما اراد على عبدالله صالح النزول قال للسائق: أشِر يمينا وقف يمينا، اى اعط اشارة ضوئية انك ستقف في الجانب الايمن من الشارع وقف به، ثم تحركت العربة وقال عبد الفتاح اسماعيل للسائق لما ارد النزول: أشِر يسارا وقف يسارا، فلما أتى الدور على علي صالح محمد قال للسائق: أشِر يسارا وقف يمينا.

هذا الموقف الذي نسبته الطرفة لعلي صالح محمد، يمكننا بكل ارتياح ان ننسبه للقيادة الحالية للحزب الشيوعي السوداني، والتي تمارس اقصى الممارسات اليمينية في فعلها السياسي والاجتماعي، وتغطيها بشعارات يسارية زائفة، عن الماركسية – وهي تقصد الستالينية – وعن حزب الطبقة العاملة وغيرها من الاشارات الضوئية الخادعة، التي تريد ان تخفي بها مواقفها اليمينية المتطرفة.

وفي الحقيقة فان رصد التحول اليميني في توجهات القيادة الحالية – اللاشرعية – للحزب الشيوعي السوداني، بقيادة محمد ابراهيم نقد، ليس أمرا جديدا، فقد اشار له عدد كبير من البحاثة والسياسيون، بما فيهم اعضاء وقادة داخل الحزب الشيوعي، منذ سبعينات القرن الماضي، وخصوصا في فترة الثمانينات والتسعينات، وان استطاعت قيادة ذلك الحزب في معظم الاحيان ان تقتل هذا الرصد والنقد في مهده، وباساليب بعيدة هى عن شرف الحوار.

ويمكن ان نوثق أول هذا النقد والرصد ، في مواقف الراحل الكبير حسن الطاهر زروق، وكتابه عن الجبهة الوطنية الديمقراطية الذي كتبه في بغداد، في سبعينات القرن الماضي، والرجل من مؤسسي التنظيم الشيوعي في السودان، ومن قياداته الاولي، وسكرتير عام حزب الجبهة المعادية للاستعمار، وهو اكثر المحاولات اليسارية نجاحا في

السودان، واول نائب برلماني عن الحزب الشيوعي، حيث دخل البرلمان في اول دورة له بعام 1954. وقد بلغت عدم ثقة الرجل في القيادة اليمينية للحزب الشيوعي، انه رفض طلبها للانتحار – بالعودة للسودان في النصف الثاني من السبعينات- كما فعلوا بالشهيد قاسم أمين، فكان ان سلقه هؤلاء اليمينيون بالسنة حداد.

كما انتقد الخط اليميني وهو على فراش الاحتضار، الشهيد والقائد العمالي الفذ خضر نصر، ابن عطبرة البار، والذي تركته القيادة اليمينية يموت في ظل طروف بائسة، في النصف الثاني من السبعينات، وهو الامر الذي مارسته من قبل مع الشهيد مصطفي محمد صالح، مع توفير كل وسائل العلاج والراحة والاهتمام لمثلي نهجها اليميني البائس، والتي تشمل العلاج في الخارج في المانيا وبريطانيا.

ومن خارج صفوف الحزب، تم انتقاد الخط اليميني من قبل الراحل الكبير عمر مصطفي المكي، وهو احد القادة التاريخيين لحركة اليسار في السودان، ومن مؤسسي صحيفة الميدان -الناطقة باسم الشيوعيين- ورئيس تحريرها لعدة سنوات، والذي لم تنعه الميدان حين وفاته، في نكران عظيم للجميل. وكذلك انتقد الخط اليميني حزب اتحاد القوى الوطنية الديمقراطية في نشراتهم وادبياتهم، طوال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، وايضا انتقده القادة الشباب الذين خرجو من الحزب الشيوعي قبل انتفاضة ابريل 1985، وكونوا وقتها ما يسمى بحركة الشباب الوطني الديمقراطي (حشود).

وقد كنتُ اشرت الي النهج اليميني للقيادة الحالية للحزب الشيوعي السوداني، في أكثر من مساهمة عامة، وحللت بعضا من تجلياته في استقالتي من عضوية ذلك الحزب في مايو 1996، ولا أزال اعتقد ان واجب فضح هذا التحول اليميني قائما، وأفخر انه قد ظهرت اجيال جديدة من شباب الحزب الشيوعي تشير لهذا النهج اليميني وتنتقده، مثل الاساتذة محمد حسبو ومرتضي جعفر والمهندس معتز محمد احمد وغيرهم.

والنهج اليميني لقيادة الحزب الشيوعي الحالية، مربوط بشكل لا فكاك منه باستالينيتها، فمن المعروف ان الاحزاب الستالينية والمنهج الستاليني هو منهج محافظ ويميني من الدرجة الاولى، وليس ذلك فقط لانه يرهن قضايا التغيير والثورة والصراع الفكري والاجتماعي لمقتضيات السلطة، وانما لانه يقوم اساسا على منهج غير ثوري، ويستند على الفكر التقليدي من قومي وقبلي وعشائري، وكذلك على القوى التقليدية في المجتمع، كما يبني اطره التنظيمية على المركزية وعبادة الفرد، ويدخل الايمان والصيغ العقائدية كمكون اساسي في منظومته الفكرية والسياسية، وبهذا فلا يمكن ان يكون ثوريا او هادفا

للتغيير، وذلك لافتقاده لنهج وآليات ذلك التغيير، ويكون كل همه اذن الحفاظ على الاوضاع القائمة والتعايش معها.

ان التجلى السياسي للنهج اليميني، قد تبدى في سلوك قيادة الحزب الشيوعي، في: "تعميم خط المساومة والاصلاح والتحالف مع القوى التقليدية (...) وسحب شعارات التغيير الاجتماعى الجذرى فى البنية الاجتماعية السودانية (..) وتغييب واجب بناء الجبهة الديمقراطية لمصلحة تحالف عريض تلعب فيه الاحزاب الطائفية الدور المقدم"، وكذلك في "رفض دعوات تحالف القوى الحديثة، والموقف العدائى تجاه محاولات توحيد القوى الديمقراطية، والرفض العدمى لفكرة بناء حزب ديمقراطى واسع وكبير، جماهيرى وتقدمى، يغير من الخرطة السياسية ويشكل رقما جديدا فى الحياة الاجتماعية والسياسية السوداني" كما كتبتا قبل تسعة اعوام ونصف، وهو نهج ابتدأ من العام 1977، باصدار وثيقة "جبهة عريضة للديمقراطية وانقاذ الوطن"، ولا يزال مستمرا الى يومنا هذا، ووصل في انحطاطه الي التقارب الأن مع حزب الترابي، والانبطاح أمام نظام الانقاذ الفاشي.

أما على المستوى الفكري، فان هذا النهج يتبدى في تقديم التنازلات الفكرية امام اليمين الطائفي والفاشي، وليس أدل من ذلك من تراجع القيادة اليمينية للحزب الشيوعي عن مطلب العلمانية السياسية والاجتماعية، وفصل الدين عن السياسة، وتحولها الى حديث ممجوج عن الدولة المدنية والمواطنة، دون ان تقف في الصف العلماني الواضح، وتراجعها في مسائل الهوية الي تبني خط استعرابي نيلي امدرمأني، والى دفاعها عن القيم التقليدية في المجتمع، بل والدفاع والتبرير عن ان المجتمع السوداني مجتمع قبلي، ورفض دعوات التحديث والعلمنة والتغيير، استنادا على هذا الزعم.

يقول اليميني محمد ابراهيم نقد:

> " نحن مع الديمقراطية التعددية، وهذا هو الاسم الاقرب لنا، ولا نقول الليبرالية.. فنحن ليس لدينا اقتصاد ليبرالي، ومجتمعنا ليس ليبراليا، مجتمعنا في حقيقته مجتمع قبلي، والتعددية هي الاقرب لنا، وهذا ليس خيارا نظريا، وانما هذا يمثل لنا ملخصا للتجربة السودانية " [6]

إن هذا الطرح فوق ما فيه من الخلط النظري، والاستهبال السياسي، لا بد ان يؤدي بصورة موضوعية، الى التحالف مع اصحاب الايدلوجيات التقليدية والتنظيمات الطائفية، وعموم اليمين، بل ومدحه، انظر الى قوله في نفس الحوار:

---

[6] *محمد إبراهيم نقد، حوار مع صحيفة الأيام: الخميس، 2 يونيو 2005*

" الحديث عن وحدة القوىالتقدمية او تحالف اليسار نفهمه ونتفهم دواعيه ولكن ما هو السبب الذي يدفعنا للعزلة عن اليمين والاكتفاء بتحالف ضيق، و حتى على مستوى اليمين هناك حزب الامة مثلا هو حزب محترم وبه قيادات متميزة وله جماهير واسعة لماذا لا اتحالف معه وانعزل عن هذه الجماهير الواسعة، نحن ندعو لتحالف واسع، نعرف حجمنا ونقبل به، ونحترم حجم الاخرين، وهم نفوذهم أكبر سواء حققوه عبر الطائفية او غيرها هو نفوذ في نهاية المطاف، ونحن نعمل كحزب بشكل دؤوب ونصل عبر الحوار مع الناس لتوافق، وعلى المستوى السياسي نريد ان نصل لاتفاق حد ادنى لتشكيل هذه الجبهة، او التحالف الواسع".[7]

إننا نرى في النص اعلاه، تجليا للذرائعية والنفعية باسوأ اشكالها، فما يهم هو ان لحزب الامة نفوذ، ولا يهم ان يكون قد حققوه عن طريق الطائفية، كما ان عدم الانعزال عن جماهير تلك الاحزاب، لا يتم بالعمل وسطها والنضال معها للتحرر من العلاقات القديمة، وانما عبر التحالف مع قياداتها، والمطلوب هو التوافق على المستوى الفكري والاتفاق السياسي مع قوى اليمين، وليس هزيمتها، والمطلوب ليس هو تحديث المجتمع السوداني، وانما تقبل طبيعته القبلية المزعومة، والتعايش مع قوى وعلاقات التخلف.

يمكننا ان نرى تجليا واضحا ليمينية الحزب الشيوعي، في موقفه من المرأة السودانية، فالطرح الرسمي للحزب يكاد يكون منعدما، بينما يتواصل هجوم النهج السلفي التقليدي المتخلف، الذي تطرحه عضو لجنته المركزية ورئيسة الاتحاد النسائي الاستاذة فاطمة احمد ابراهيم،وفي نفس الوقت قبل هذا الحزب المادة 5 في ميثاق التجمع، والتي تربط حقوق المراة السودانية بعدم التعارض المزعوم مع الاديان، ووقف في المؤتمر الثاني للتجمع ضد سحب هذه المادة، وضد تبني اتفاقية سيداو، الخ، ليوضح موقفه الحقيقي من المرأة، والذي قال انجلز انه – اى الموقف من المرأة - يحدد تقدم او رجعية كل فرد وكل قوة اجتماعية .

المؤسف ان هذا النهج اليميني، على المستويات الفكرية والسياسية والاجتماعية، يتم تمريره تحت شعارات يسارية مضلله، وهذا هو الاستهبال السياسي عينه، وقد كان اليميني محمد ابراهيم نقد قد وصف من قبل بعض قوى اليسار، باليسار المستهبل، فحق لنا ان ندعوه بممثل اليمين المسنهبل بجدارة ولا منازع.

---

[7] *المرجع السابق*

ان التحول في نهج الحزب الشيوعي، لم يتم في اطار عقلاني وعلماني وتجديدي، اى الالتزام بالقيم الايجابية في تراث وتاريخ وتجربة الحزب الشيوعي، ونقض الجوانب الستالينية والخاطئة، اى في اتجاه التزام أكبر بالديمقراطية الليبرالية ومؤسساتها، وبعلمانية الحياة السياسية والاجتماعية، وبنشر التنوير والاستنارة ومحاربة الفكر السلفي والطائفي، وفي اتجاه تغيير العلاقات القديمة والمتخلفة في السودان، وهزيمة القوى المسؤولة عن الازمة السودانية، بل في اهمال كل ذلك، والتعايش مع الواقع الاجتماعي والسياسي والتبرير له والتعيش منه، بمنهج "الرزق تلاقيط".

لقد قال احد قادة الحزب الشيوعي، عندما سؤئل عن تقاربهم مع الترابي، وعن محاوتهم إرجاعه لحلبة السياسة بالباب، بعد ان قذفه تلاميذه من النافذة، ان "ذلكم هو السودان !! الحاجات فى السودان ماشة كده !!.[8]

وفي الحقيقة إن هذا القول المتساقط، فكريا وسياسيا، هو التعبير الفج عن يمينية القيادة الحالية للحزب الشيوعي، لكن هذا القائد قد جهل او تجاهل، انه لا يعبر عن السودان، ولا عن سير الأمور في السودان، وانما عن نفسه ورفاقه في قيادة الحزب الشيوعي، في نهجهم اليميني المدمر، والذي يؤشر يسارا، بينما يقف في اقصى اليمين.

عادل عبد العاطي
2005/10/29

[8] *عدلان عبد العزيز : رسالة مفتوحة الي سسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني: ما جدوى الحزب؟ – 18-7-2004*

هوامش على متن الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني
(5 من 7)

في إنتظار جودو
او المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي السوداني بين الآمال الكامنة والألام الممكنة

في واحدة من مسرحياته الاكثر انتشارا، رسم الكاتب الايرلندي صمويل بيكيت صورة بائسة لقرية تنتظر مخلِّصا يدعى جودو، سيغير لها كل حالها ويحل لها كل مشاكلها، وتنتظره يوما بعد يوم، ولكنه لا يأت حتى النهاية، وحتى إسدال الستار، رغم الآلام والامال العظيمة لمنتظريه، ورغم انهم اوقفوا كل حياتهم، انتظارا لمجيئه.

حال اهل هذه القرية، الذين ينتظروا جودو الغامض الذي لا يأت ابدا، هو كحال معظم الشيوعيين السودانيين، وهم ينتظروا انعقاد المؤتمر العام الخامس لحزبهم، والذي كان مقررا له ان يقوم بنهاية السشتينات واول السبعينات من القرن الماضي، ولم ينعقد ابدا، وماا زالوا ينتظرونه يوما بعد يوما وعاما أثر عام وعقدا تلو عقد، محملين بالآمال العظام ومثقلين بالآلام الاعظم.

واذا كان أهل تلك القرية قد استسلموا للوهم، واذا لم تكن لهم أكيدة ابدا ان جودو الغامض هذا سيأتي، فان الحال مختلف عند الشيوعيين، حيث حسب لا تحة حزبهم، ينبغي ان ينعقد المؤتمر العام كل عامين، وآخر مؤتمر لهم انعقد كان في اكتوبر 1967، اى قبل حوالي اربعين عاما من الان، وهو زمن مات فيه الملايين وووولدت فيه ملايين جديدة، وحق لهم على اية حال، ان ينتظروا مؤتمرهم هذا، بما قدموه من تضحيات وبما بذلوه من نضالات.

والحقيقة ان قانون إنعقاد المؤتمرات العامة في الحزب الشيوعي السوداني، يكشف حقيقة الازمة التي يعاني منها هذا الحزب تحت القيادة اليمينية المهيمنة عليه. فالحزب الشيوعي بدأ حزبا يحاول ان يقارب الديمقراطية – وان بصورتها المركزية- ويتحرر من الستالينية، فكان يعقد مؤتمراته بصورة معقولة في تواترها، حيث كان المؤتمر الاول له عام 1949، والثاني في عام 1952، والثالث في عام 1965، والرابع في 1967. ورغم طول الفترة بين المؤتمرين الثالث والرابع، الا ان عقد الستينات واول السبعينات قد شهد اجتماعات موسعة وتحضيرات للمؤتمران الرابع والخامس ومؤتمرا تداوليا في اغسطس 1970، حاولت بها

القيادة التاريخية توسيع مواعين الديمقراطية الداخلية، والتعويض عن هذه الفترة الطويلة بين المؤتمرين الثالث والرابع، ثم ابتدرت الدعوة للمؤتمر الخامس.

وقرار الدعوة للمؤتمر الخامس طرحته قيادة الحزب السابقة في تخوم عامي 1970-1971، وانجز عبد الخالق محجوب الجزء المناط به في الاعداد لذلك المؤتمر، حيث كتب من داخل معسكر الشجرة في 1971 حين كان معتقلا، وثيقة : حول البرنامج، وهي وثيقة نادرة حاول فيها عبد الخالق محجوب تطوير برنامج الحزب الشيوعي، وتخليص اطروحاته من التشويه الذي قامت به سلطة مايو، وهو التشويه الذي كانت من اسبابه بعض القصورات الفكرية لتصورات وبرامج وشعارات الشيوعيين انفسهم.

إلا ان القيادة اليمينية التي استولت على الحزب الشيوعي بعد 27 يوليو 1971، وعلى رأسها اليميني محمد ابراهيم نقد، قد ابعدت واجب قيام هذا المؤتمر التليد الى ذيل اهتماماتها، وغيبت هذه المؤسسة الحزبية الاساسية، اى المؤتمرات العامة، طوال حوالي اربعين عاما، من قيادتها غير الميمونة لهذا الحزب السوداني المهم.

إن هذه الواقعة بالضبط، اى تغييب المؤتمر العام، وهو بنص لائحة الحزب الشيوعي أعلى سلطة في الحزب، لمدة تقارب الاربعة عقود، يوضح المنهج المدمر لهذه القيادة اليمينية، والتي تضرب بالمؤسسية عرض الحائط، وذلك فقط لستأثر بالقرار في ذلك الحزب، ولتسير في خطها اليميني دون رقابة، ولكيما تتبني الخط وضده، دون سند من برنامج او قيد من لائحة او خوف من محاسبة، وحق عنها ما قاله الراحل الخاتم عدلان ورفاقه، في خطاب استقالتهم من الحزب الشيوعي، حيث كتبوا، وهم يتحدثوا عن الوضع في الحزب الشيوعي:

"... فقد إنفردت القيادة الضيقة و الأوتوقراطية، بكل قرار وطني هام، و لم تطرح على عضوية الحزب اية خيارات سياسية يختار واحدا من بينها منذ أغسطس 1970. فالذي ينشر على الأعضاء هو "وثائق" على درجة من العمومية بحيث يمكن بالإستناد إليها تبني هذا الموقف السياسي و نقيضه."[9]

إننا إذ ننتقد هذا الانتهاك الفظ، للقواعد التي تحكم عمل الحزب الشيوعي، من قبل من يفصلوا الاعضاء ويشهروا بهم لاتفه الأسباب، في حين قد انتهكوا هم لائحة ذلك الحزب عشرين مرة، بعدم عقدهم لهذا المؤتمر طيلة حوالى اربعين عاما، في حين تلزمهم لائحة الحزب بعقده كل عامين، لا تساورنا اية شكوك، حول الطابع القاصر لمؤتمرات الاحزاب

[9] الخاتم عدلان / خالد الكد/ عمر النجيب/ أحمد المجري: خطاب استقالة من الحزب الشيوعي السوداني

الشيوعية، وافتقادها للديمقراطية الحقيقية، والمؤسسية الفعلية، حيث انها في غالبها مؤتمرات معدة سيناريوهاتها سلفا، وهي تبصم في العادة على ما تأتى به القيادة، وخصوصا السكرتير العام، وهكذا كانت الممارسة في اغلب تاريخ الحركة الشيوعية العالمية، وفي تجربة الحزب الشيوعي السوداني.

رغم هذا وذاك، فان المؤتمرات العامة، على علاتها، هي ما تعطي الشرعية للقيادة المعينة، والبرنامج السياسي المعين، ودونها، سواء ان كانت هذه المؤتمرات تنعقد تحت ظل ديمقراطية كاملة، او كانت قراراتها مُسلفقة، فان القيادة تتحول الى سرقة وهمبتة، والمواقف السياسية تبني على قاعدة المزاج والسبهللية والاستهبال السياسي، ويتحول الحزب الي ضيعة واقطاعية، والعضوية الى عبيد وتُبع، وليس الى مناضلين لهم حقوق وواجبات.

بسبب من ذلك، يمكن ان نفهم انتظار اعدادا غفيرة من الشيوعيين السودانيين ومناصريهم، لحلم انعقاد ذلك المؤتمر الاسطوري، وكيف انهم يمضغون المر، انتظارا لجودو ذاك الذي لا يجي، وكيف تستغل القيادة اليمينية، هذا النزوع الديمقراطي والمؤسسي النبيل عند العضوية، لتغل يدهم، وتطلق يدها، باتخاذ المواقف المخزية، متحججة عن تغييب المؤتمر وتغييبهم، بواقع الديكتاتورية الحاكمة مرة، والسرية مرات، وصعوبة الظروف الخ، والمتحجج والمتهرب يمكن ان يعطله الصيف والشتاء، والحر والبرد، كما قال الامام علي ابن ابي طالب ذات يوم.

مع ذلك، فان قيام هذا المؤتمر الخامس، اذا قيض له ان يقوم، تحت اشراف هذه القيادة اليمينية ومشايعيها، لا يمكن ان يفرز الا اعادة انتاج منهجها وممارساتها ورموزها، في صورة اشد لؤما وألما، وأكثر استهبالا وخداعا، وابعد ما تكون عن الديمقراطية، والمؤسسية، من كل ممارسات مشابهة ماضية، لان المؤتمر العام لن يكون الا حاصل مجموع الاوضاع في الحزب، وعلاقات الهيمنة والسيطرة فيه، واساليب القيادة والعمل.

إن اقرب اشارة الى هذا، تتضح في تصريح اليميني محمد ابراهيم نقد، وذلك بعد مداهمة رجال الامن لمخبأه بايام، في ابريل من العام الجاري، حيث زعم انه قد تقرر تأجيل عقد المؤتمر العام الخامس للحزب الشيوعي، والذي كان ينبغي ان يقوم في يونيو 2005، دون ان يوضح متى قُرر عقد ذلك المؤتمر العتيد في يونيو، ومن قرر ذلك، ومتى تقرر تأجيل ذلك المؤتمر، ومن قرر ذلك! وفي الحقيقة فان دهشتي بتلك الاخبار المفاجئة، وأنا مراقب من الخارج، كانت أقل من دهشة بعض اصدقائي من الشيوعيين، ممن لم يسمعوا

بقرار عقد ذلك المؤتمر وقرار تأجيله، الا من الشفاه الذهبية لمحمد ابراهيم نقد، ولسبب ما وصف بعض عضوية الحزب قوله ذاك، انه سكت دهرا، ونطق كفرا.

الشاهد هنا، ان ذلك المؤتمر كان يُعد له لينعقد بليل، وان قرار اقامته قد اتخذ في حلقة ضيقة جدا من ممثلي القيادة اليمينية، وان قرار تأجيله قد اتخذ في اطار حلقة اضيق، هذا اذا لم يكن قرارا فرديا لليميني محمد ابراهيم نقد، اتخذه في لحظة تجلي، مع عجزه في نفس الوقت، عن اتخاذ موقف او اعلان رأى تجاه القرار 1593، والمتعلق بمحاكمة مجرمي الحرب في دارفور، متعللا بضرورة اتخاذ القرار في اطار المؤسسات، وحتمية اجتماع القيادة، فكاد الناس ان يسقطوا من طولهم، من جلافة ذلك الاستهبال السياسي، والذي يؤجل مؤتمرا، ويعجز عن التعليق على حدث سياسي.

هذا المنهج الذي رأيناه، في التحضير لذلك المؤتمر، وعقده بليل، وتأجيله بقرار فردي، وما نعرفه ويعرفه كل المراقبون، عن أساليب ادارة الصراع في الحزب الشيوعي، وقدرة قيادته اليمينية الفائقة، باساليب الترهيب والترغيب، وتحت دعاوي الواقعية والماركسية والثورية والظروف، الخ الخ من الأسباب المتناقضة، ان تفرض خطها البائس، في ظل سيطرتها المطلقة على كامل ادوات القيادة والهيمنة، من مال وتنظيم واعلام واساطير، لعلمنا ان ذلك المؤتمر لن يأتي الا بالآلام العظيمة لأعضاء الحزب الشيوعي، وللحركة الديمقراطية السودانية، وللتطور السياسي في البلاد، وسيعيد انتاج الازمة التي ادخلت فيها تلك القيادة حزبها، وسيعمل على ان يبصم الشيوعيون بايديهم او اعناقهم، على نهج تلك القيادة اليمينية في الماضي والحاضر وفي المستقبل.

ان المؤتمرات، كاحدى اشكال المؤسسات الحزبية، انما تعبر بالضبط، عن واقع الحال في الاحزاب التي تقوم فيها. فالمؤتمرات المزعومة للاحزاب الطائفية، مثل مؤتمرات حزب الامة مثلا، لا تفعل غير ان تعيد انتاج منهج الاشارة في اسلوب جديد، ومؤتمرات الحركات الاصولية الديماجوجية، مثل الجبهة القومية الاسلامية سابقا، والمؤتمرين الوطني والشعبي حاليا، انما هي مظاهرات فاشية، لا علاقة لها بالديمقراطية او المؤسسية من قريب او بعيد، وقريبا قال اهلنا ان فاقد الشي لا يعطيه، ومن الفسيخ لا يمكن ان نصنع شرباتا، فمحال اذن ان يكون للحزب الطائفي او الفاشي مؤتمرا ديمقراطيا، لان هذا ضد طبيعة الاشياء.

هذا كله، يجعلنا نقول ان مهمة عقد المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي السوداني، اذا ما اريد لها ان تنجح، وان تخرج من دائرة انتظار جودو الذي لا يأتى، واذا اريد لها الا

تكون مسخرة، او مسرحية، او مهزلة، في حالة قيامها، واذا اريد لها ان تنهض بواجب تجديد وتغيير الحزب الشيوعي حقا، واعادته الي دائرة الفعل الديمقراطي، والعمل الجماهيري، ومواقع الحداثة والعلمانية والتغيير الاجتماعي، والقطع مع النهج اليميني الانتهازي الجاري، ومحاسبة القيادة الحالية على حصاد 40 عاما من الفشل والتدمير، فلا بد ان تنهض بامر الدعوة له واعداد اوراقه وتنظيمه وادارته عناصر وقوى التجديد والاصلاح والديمقراطية واليسار في الحزب الشيوعي، دون ان تنتظر مؤامرات القيادة اليمينية، ومؤتمرها الذي سيكون اسوأ كثيرا، من كل آلام إنتظار جودو، اذا ما ترك لها مستقبل هذا الحزب السوداني المُهم، تعبث به، لسنين أخري، وتقبره بسبب من انانيتها وعجزها ويمينيتها.

عادل عبد العاطي
2005/11/9

هوامش على متن الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني
(6 من 7)

رجوع النهر الى المجرى
أو القواسم المشتركة بين تيار التجديد في الحزب الشيوعي والقوى الديمقراطية

نحاول في هذا الهامش، شرح الفكرة الرئيسية الكامنة في الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني، والغرض الاساسي من مخاطبة عضويته، وهو مد خطوط التواصل والحوار، بين كل القوى الديمقراطية في السودان، من اجل التنسيق والعمل المشترك و التوحد، لحل وتجاوز الازمة السودانية الشاملة، بجوانبها المتعددة.

إننا عندما نتحدث عن القوى الديمقراطية السودانية، فاننا نعني كل تلك القوى المتبنية لمبادئ كرامة وتحرر الانسان، والمتمسكة بقواعد الديمقراطية والدستورية، والعاملة من أجل تحديث وتطوير المجتمع السوداني، والحريصة على قيم علمانية الحياة السياسية والاجتماعية، والمنطلقة في كل ذلك، من مركزية دور الانسان في الكون، واولوية حقوق المواطن على ما عداها.

وسط هذه القوى بلا شك، يمكن ان نجد العديد من عناصر واعضاء الحزب الشيوعي السوداني، ممن سطروا بمواقفهم ونضالاتهم وتضحياتهم، بل وبدمهم وجروحهم مرات، اروع واجمل المواقف من اجل هذه القيم، وممن تمسكوا في ظل ظروف صعبة، بمبادئ الحرية والتغيير، وممن عملوا ولا يزالوا يعملون، من اجل حقوق المواطن وحرياته، ومن أجل التحديث والاستنارة، في مجتمعنا وبلادنا.

هذا الأمر لا يعد غريبا، حيث ان تجربة الحزب الشيوعي السوداني، وحتى السبعينات على الأقل، انما كانت، كما اشار محقا الكاتب والناقد اسامة الخواض، تشكل أحدى تجارب الحداثة في السودان، ومحاولة لتطوير وتوطين قيم الممارسة السياسية الجديدة والعلاقات الحديثة والفكر المعاصر في السودان، وقد انطلقت هذه التجربة من بين عناصر طامحة للتغيير، وتوجهت الى القوى الجديدة في المجتمع.

نتج هذا لسببين: الأول ان الماركسية، اذا تم تخليصها من القيود الستالينية الكثيفة التي كبلتها، انما تشكل فكرا ثوريا تجديديا، لعب دورا تحديثيا في تاريخ البشرية، وكذلك في السودان، والثاني ان تجربة الحزب الشيوعي في مطلعها، قد ارتبطت بقضايا التغيير

الاجتماعي في السودان، هذا التغيير الذي تحتل فيه قضيتي الديمقراطية والتحديث موضعا جوهريا.

ليس غريبا اذن، ان انضم للحزب الشيوعي، الكثير ممن تحرروا من العلاقات والافكار القديمة في المجتمع السوداني، من طائفية وقبلية واقطاعية، من طلائع العمال والمزارعين والمثقفين ومن ابناء القوميات المهمشة، ومن جماهير النساء والشباب، وهذه هي طليعة قوي التغيير في السودان، وان تاثر به الادباء والفنانين، وان انتجت تجربته كثيرا من التاثير – المباشر وغير المباشر – على تطور الفكر والواقع السوداني في اتجاه الحداثة.

الا ان تغيرات الوضع في السودان، وتطورات الحال داخل الحزب الشيوعي، والتراجع الجماهيري الذي شهده بعد يوليو 1971، وفي نفس الوقت اذدياد دور المكون الستاليني في صفوفه، وسيطرة العناصر اليمينية والتقليدية على قيادته، قد أدى الى حالة عكسية، وهو ان تنخرط قيادة الحزب الشيوعي تدريجيا، وتدفع حزبها، في صفوف قوى وعلاقات القديم، وضد قيم وبرامج الحداثة والديمقراطية والتغيير.

ان هذا الاتجاه المنحدر، قد تزامن في نفس الوقت، مع بروز اتجاهات جديدة وتيارات واحزاب وقيادات ومثقفين، تعمل من اجل قيم التغيير والحداثة والدمقراطية في المجتمع السوداني، من خارج اطار الحزب الشيوعي، وهي قوى تتوزع بين التيارات اليسارية والليبرالية والتجديدية والمستقلة، و حركات التغيير السياسي والثقافي والاجتماعي، سواء برزت في وسط السودان، أوفي المناطق المهمشة و الاقاليم.

وقد كان يمكن للحزب الشيوعي، لو سار في طريق الانفتاح والدمقرطة والتجديد، ان يبني حلفا متينا مع اغلب هذه القوى، لانجاز التحولات الديمقراطية في السودان، واستشراف آفاق التغيير والحداثة، ولكن الطابع اللينيني لذلك الحزب، والاتجاه الحلقي له، وسيادة سيكلوجية السيطرة والاثرة فيما يتعلق بالقوى الديمقراطية، وتقديم التنازلات والسعي للتحالفات فيما يتعلق بالقوى القديمة واليمينية، وسط قيادته الحالية، قد باعدت بين الحزب الشيوعي وبين اغلب هذه القوى، والتي نما بعضها بتاثير مباشر من الحزب الشيوعي، سواء كانقسامات عنه، او من عناصر تاثرت به، ونما بعضها الاخر في تنافس معه، من منطلقات فكرية اخري، ولكنها تندرج في اطار دعوات التغيير والحداثة، وبذلك كانت هي نظريا ، اقرب اليه، منها للقوى القديمة.

الا ان قيادة الحزب الشيوعي اليمينية الحالية قد اهدرت هذه الفرص، المرة تلو الاخرى، بسبب تمترسها في تجاربها الخاصة، وعدم قدرتها على الخروج منها بنتائج ايجابية، فاهدرت

تجارب الجبهة المعادية للاستعمار، وجبهة الهيئات، وجبهة القوى الاشتراكية في نهاية الستينات، وهي كلها تجارب لتوحيد القوى الديمقراطية، بسبب من الحلقية الضيقة والقراءة الخاطئة، وبدافع من النزوعات اليمينية، فكان ان حاربت قيادة الحزب الشيوعي أغلب تلك العناصر والتيارات، بينما مالت نحو قوى اليمين والقديم، تبحث عن تحالفات معها، وفي هذا الصدد كتب الخاتم عدلان ورفاقه:

" فشل الحزب (الشيوعي) في بناء حلف وطني من القوى الحديثة، و بالرغم من أن تلك القوى اتجهت إليه، إلا أنها انفضت من حوله تدريجيا لأنه إعتمد السيطرة بدلا من التحالف، و إحكام القبضة بدلا من التفاعل الحر. و اختار أن يحتفظ لهذه القوى بوجود يتسم بأقصى درجات التشرذم و الشتات خوفا من منافستها له في المجالات التي يعتبرها حكرا عليه."[10]

إننا نعتقد إن هذا الخط قد جاء بنتائج مدمرة للسودان، فبدلا من ان يتطور معسكر سياسي ديمقراطي كبير في السودان، يحمل قيم الحداثة والتغيير، ويخرج بالسودان من التخلف والعلاقات القديمة، ويستكمل اندماجه القومي ويطوره في اتجاه العصر، خرج علينا بديل فاشي يريد بنا العودة للعصور الحجرية، وتحالفت قوة كانت ذات يوم تقدمية، مع قوى اليمين وتخلت عن مشروع الحداثة والثورة والتغيير.

انني اعتقد ان طريق الاصلاح في السودان، لا يتم الا بالرجوع الي هذا المشروع الحداثي والتجديدي، وذلك بتبني كل الجوانب الايجابية في التراث السوداني الحديث، للقوى التي قاربت هذا المشروع، وتجاوز الجوانب السلبية، وان تتجاوز القوى المنخرطة في هذا المشروع، او المستعدة للانخراط فيه، كل خلافاتها الصغيرة، وتتحاور وتنسق الجهود، بل ان تتقارب وتتوحد، من اجل انجاز ذلك المعسكر التليد، وهذا المشروع القديم – الجديد.

ان تيار الاصلاح والتجديد في الحزب الشيوعي، يمكن ان ينخرط مع غيره من القوى الديمقراطية، في بعث هذا المشروع وبناء البديل الديمقراطي عن اليمين الطائفي والفاشي، والدعوات الشمولية، ونزعات التفكك والانفصال والعنصرية في المجتمع السوداني، ولكنه لن يستطيع ان ينجز هذا، اذا لم يحدث قطعا جوهريا مع اطروحات وممارسات وتحالفات

[10] الخاتم عدلان / خالد الكد/ عمر النجيب/ أحمد المبرز: خطاب استقالة من الحزب الشيوعي السوداني

وسياسات القيادة اليمينية التي تسيطر على الحزب الشيوعي الان، ومع الجوانب السلبية والشمولية والاقصائية والحلقية في تجربة هذا الحزب، نظريا وبرامجيا وتنظيميا.
إننا في مواقع اخرى، قد شرحنا، مع غيرنا، الاطر العامة التي يمكن ان توحد هذه القوى، والاسس النظرية والبرامجية التي يمكن ان تتوحد حولها (راجع في ذلك مقالاتنا : الطريق الثالث بين الحرابة والتسوية:خطوط عريضة في اتجاه بلورة معسكر القوي الديمقراطية ، مستقبل القوى الديمقراطية السودانية من التنسيق عبر التحالف الي الوحدة !) ولا نرى حوجة للعودة لها هنا، الا اننا نقول ان تبلور هذا المعسكر السياسي البديل، وبعث مشروع الحداثة والتغيير في السودان اصبح ضربة لازب، اذا ما اردنا اخراج البلاد من الانهيار، وانقاذ مواطنيها من الفناء.
يبقى على تيارات وعناصر التجديد والتغيير والاصلاح والديمقراطية في الحزب الشيوعي، ان تعلن قطعها مع كل التراث الشمولي، في النظرية الماركسية والتجربة الشيوعية العالمية وفي تجربة الحزب الشيوعي السوداني، وان تعيد قراءة موقفها من التجربة الليبرالية ومن اقتصاديات السوق، وان تقطع مرة واحدة والى الابد مع تدبير وتأييد الانقلابات العسكرية والمغامرات الحربية المسماة بالكفاح المسلح، وان تتوجه عميقا نحو قواعد الدستورية والديمقراطية، وتجدد التحامها بقيم العلمانية والتحديث والاستنارة.
في هذا الطريق، نقول ان هذه العناصر والتيارات، ليست منبتة هي عن التقاليد الديمقراطية، ولا عن تراث الحداثة والاستنارة، وانما ستطور تجاربا ايجابية في تجربة الحزب الشيوعي السوداني، وفي تراث الحركة اليسارية والتقدمية في السودان، وفي التراث اليساري العالمي، وستكون خير خلف، لخير سلف من قادة الحزب الشيوعي التاريخيين الذي طوروا بعضا من هذا التراث وتلك التجارب، في ظل ظروف صعبة، مثل عبد الخالق محجوب والشفيع احمد الشيخ وحوزيف قرنق وعبد الرحمن الوسيلة وحسن الطاهر زروق الخ.
دعوتنا ومطالبنا هذه، لا تنطلق من اى موقف ابوي او اوامري، تجاه هذه التيارات، وانما من شروط نراها ملزمة للجميع، وسط القوى الديمقراطية، اذا ما ارادت ان يكون بديلها واقعيا وجاذبا وممكنا ومتناسقا، ولاننا نبحث عن الالتقاء البرامجي والمؤسساتي، اكثر من الالتقاء السياسي العابر، ولاننا نطرح نفس هذه الشروط على انفسنا وتنظيماتنا التي نبنيها، وعلى تلك القوى التي نتعاون معها.

في نفس الوقت فاننا نسمع بحرص، لاطروحات واقتراحات هذه القوى التجديدية والديمقراطية والاصلاحية في الحزب الشيوعي، ولنا قناعة لا تنفد، انها يمكنها، متى ما حسمت خياراتها وكونت اطرها، ان ترفد الحركة الديمقراطية باطروحات وكوادر وبرامج متقدمة، تساعد في بلورة معسكر الجديد، وفي النضال الضاري والطويل، الذي ينتظرنا، لكيما نبني سودان الديمقراطية والوفرة والعدالة الاجتماعية والمواطنة.

عادل عبد العاطي
2005/11/11

هوامش على متن الرسالة المفتوحة لعضوية الحزب الشيوعي السوداني
(7 من 7)

الخيل تجقلب والشُكُر لى حماد
أو في ضرورة بناء تيار التجديد في الحزب الشيوعي لمنابره المستقلة

قلنا في الرسالة المفتوحة، أننا لا يمكن ولا ينبغي لنا، كقوى ديمقراطية سودانية، أن نحدد لتيار التجديد في الحزب الشيوعي، ما ينبغي أن يقوم به، من تكتيكات وسياسات، وذلك ثقة فيهم/ن، واحتراما لاستقلاليتهم/ن، ولأن قضية الإصلاح في أى حزب، هي في المقام الأول، هي قضية عضوية وكوادر هذا الحزب أساسا، ودون مبادرتهم وفعاليتهم، فأنها لا يمكن أن تتم.

من الناحية الأخرى، أكدنا انه من خلال تجربتنا، ورصدنا لتجربة الحزب الشيوعي السوداني، وتجارب مختلف الأحزاب السودانية، بل والعديد من الحالات المشابهة على مستوى العالم، انه دون أن تنشئ تلك القوى الطامحة للإصلاح والتغيير والتجديد، داخل الحزب الشيوعي السوداني، لمنابرها المستقلة، التنظيمية والإعلامية والسياسية، فان قضيتها في التجديد، محكوم عليها بالموت الزؤام.

اليوم نؤكد قولنا هذا، ونقول أن الدافع له هما سببان رئيسيان: الأول يتعلق بتقديم خبرة عامة، تتعلق بمهام ووسائل كل تيارات التغيير العاملة في حركتنا السودانية، نجد انه من واجبنا طرحها، والثاني يتعلق بعلاقة تيار التغيير في الحزب الشيوعي، بالرأي العام السوداني، وبمجموع الحركة الديمقراطية السودانية، وواجب وحق هذه الحركة، في أن تطلب من هذا التيار الإفصاح عن نفسه وعن طروحانه، وعما إذا ما كان يطمح للحوار والتنسيق والعمل المشترك معها.

وتعود لنفصل السبب الأول، فنقول أن تيارات الجمود والتسلط في أحزابنا السياسية عامة، والحزب الشيوعي السوداني على وجه الخصوص، قد سلكت طريق الهيمنة على كامل مفاصل العمل والنشاط الحزبي، من تنظيمية وسياسية ودعائية ومالية، واحتكرت حقوق تمثيل الحزب المعين، ومارست سياسات الإقصاء والتهميش، تجاه كل صوت أو تيار مخالف لها في التوجهات والممارسات.

هذه الآلية أثبتت نجاعتها المرة تلو الأخرى، تجاه من يريد التغيير، ولكنه يسلك الطريق إليه، عبر الدروب والشروط الضيقة، التي تفرضها عليه القيادات المهيمنة، والتي باسم المؤسسية الكاذبة، والشرعية المزعومة، والوحدة الحزبية المفترى عليها، تقتل في المهد، أى بذرة للتغيير تقوم في أحزابها.

إن القيادات الدينصورية، والتي قتلت المؤسسية عشرات المرات، عندما غيبت الديمقراطية الداخلية، ولم تقم المؤتمرات العامة، وحلت المؤسسات، وخرقت اللوائح مئات وآلاف المرات، تريد باسم هذه المؤسسية، إن تقطع الطريق على كل من يناهضها، فهي بهذا تكيل بمكيالين، وتحل لنفسها ما تمنع على الغير.

وفي الحزب الشيوعي بالذات، وحينما تمرر القيادة اليمينية خطها الانتهازي الذي ليس له شرعية البتة، من دستور ولوائح الحزب، على كافة الأصعدة السياسية والفكرية والتنظيمية، وتعلنه كأنه موقف موحد لكل الشيوعيين، فأنها تفرض على صاحب كل رأى مخالف، أن ينشره "عبر القنوات"، أى عبر قنواتها هي، والتي يمكنها أن تتحكم فيها بما تشاء، وإلا فانه متكتل وانقسامي وتصفوي وغواصة ومتآمر.

إن هذه القيادة نفسها، لا تتورع عن استخدام اطروحات تيارات التغيير، وذلك بعد تشويهها وإفراغها من محتواها، ونسبتها إليها، كما لا تتورع عن استخدام النفوذ الأدبي لبعض دعاة التغيير، وتجييره لصالح مواقفها اليمينية والتسلطية، وتستفيد من نشاط ونضال العضوية المكافحة من المطالبين بالتغيير، وتصبه في ساقيتها، أو وتستغل حرص العضوية على وحدة الحزب الشيوعي، لتمرير خطها الانتهازي، أى تمارس ما يقول عنه المثل السوداني من استخدام طاقات الغير: الخيل تجقلب، والشّكّر لى حماد.

وفي ظل علمنا بالحالة التي تسود في داخل الحزب الشيوعي، في إدارة الصراع من قبل هذه القيادة اليمينية، والتي تحدث عنها الزميل حسن تاج السر، عضو سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني منذ عام 1971، ووصفها أنها تتميز ب" سيادة أساليب الهيمنة والتشرذم والفتك بالخصوم وتدميرهم عن طريق تشويه السمعة وفبركة التهم .. وتسريب الإختلاقات والأقاويل عن القادة الغير مرغوب فيهم للحط من شأنهم وقتل شخصياتهم... والانتشاء بأخبار السقوط والإرتداد والإبعاد من القيادة.. افتقاد الحق والعدل داخل الحزب.. وأصبحت القيادة نهباً للكذب والتآمر، وتحول الحزب إلي قطيع

مسلوب الإرادة وانطمست معالم الحزب كمؤسسة ديمقراطية"[11] ، فإننا لا يمكن أن نتوقع البتة، أن تسمح هذه القيادة اليمينية لتيار التغيير أن يعبر عن نفسه، عبر قنواتها التي هذا حالها.

وقد سرد الراحل العظيم الخاتم عدلان، في مناسبات مختلفة، كيف تمارس المؤامرات في الحزب الشيوعي على أى دعوة للتغيير والتجديد، حينما وصف التعامل مع مساهماته للتغيير، والتي أطلقها بأول تسعينات القرن الماضي، والتي عطلت بجملة واحدة من السكرتير العام، بعد خروجه من المعتقل، وكيف تآمرت القيادة على عدم نشرها، حتى ضغط عليها بنسخ تلك المساهمات بخط اليد، وتوزيعها على عدد من الزملاء، فكان أن نشرتها مضطرة، ولكن دون أن توقف المؤامرات تجاه الرجل، حتى استقالته المشهودة(راجع حوارات الخاتم عدلان مع صحيفة الأضواء، والصحافة، والرأي العام في مطلع عام 2004)

إن هذه الحالة، تفرض على كل متبن لدعوات التجديد في داخل الحزب الشيوعي، أن يبحث عن الآليات المناسبة لنشرها، وإقناع الناس بها، دون أن يكون تحت الرحمة التنظيمية والسياسية للقيادة اليمينية الحالية، ومنهجها البشع في تصفية الخصوم، وهذا هو ما نقصده بالضبط، من دعوة إنشاء هذه التيارات لمنابرها المستقلة، التنظيمية والسياسية والدعائية، في أطار عملها لتجديد كامل الحزب.

إننا بأي حال لا نشجع هذه التيارات على الانقسام عن حزبها، كما يشيع بعض الموتورون، وإنما نشجعها على إبراز التمايز – الفعلي – بينها وبين تلك القيادة اليمينية، وتلك الممارسات الستالينية، وتلك السياسات الانتهازية، التي تريد هذه القيادة اللاشرعية، فرضها على كافة الشيوعيين، وتمريرها باسمهم، وقمع أى صوت مغاير لها في إطار ذلك الحزب التليد، وان تخرج من التململ قول الآراء الفردية في المقالات والونسات، إلى التبلور عبر إشهار وتعميم خطها بصورة ممنهجة ومنظمة.

إن تأسيس هذه التيارات لمنابرها، ليس فيه خروج على الشرعية الحزبية خصوصا، والشرعية الديمقراطية عموما. فمن حق الأعضاء في الحزب الشيوعي حسب لائحته أن يعبروا عن أنفسهم، وان يدعوا لأرائهم، وان يحاولوا كسب الأغلبية لها، وإذا ما قامت قيادة غير شرعية، بتعطيل كل ذلك، عبر تعطيل المؤتمرات العامة، وإجهاض الديمقراطية

---

[11] *راجع قضايا سودانية، مجلة يصدرها الحزب الشيوعي السوداني، العدد الثاني والعشرون، ديسمبر 1999، صفحة 1*

الداخلية، فان أى محاولة للتغيير، إنما تكون عملا يصب في إطار استعادة الشرعية نفسها، والتي انتهكت طويلا، من قبل القيادة الحالية والتي ليس لها أى تفويض، وتم اختيار الغالبية الساحقة منها بالتعيين.

إن هذه المنابر الخاصة، لتيارات التجديد، هي الطريق الأمثل، لتكوين رأى عام حزبي مغاير، ولكسر حالة الخوف والتهيب، والخروج من دوائر الابتزاز للعضوية، التي تمارسها القيادة اليمينية، بالتلويح بسيوف الاتهامات الجاهزة، عن الانقسام والتكتل والتصفية، وإعادة لدور الحزب كمؤسسة ديمقراطية، وكسر فاعل لمنهج إدارة الحزب، والذي يتحول فيه الأعضاء إلي قطيع مسلوب الإرادة، أو يوجد به متمردون ليس لهم إمكانية التأثير.

إن القيادة اليمينية ستنعى على كل محاولة كهذه، أنها بداية انقسام جديد، وتقويض للوحدة المزعومة، وفي الحقيقة لا وحدة هناك داخل الحزب الشيوعي، بين القيادة اليمينية، وكل تيارات الجديد، وهذا أمر يعرفه كل متابع، وقد أكده الأستاذ محمد حسبو، في إطار تعليقه القيّم على رسالتنا المفتوحة، حين كتب:

" ليست هناك وحدة إرادة داخل الحزب و توفي مبدأ جماعية القيادة. المؤسسات موجودة ولكنها عليلة، لذا ترتهن عملية تجديده إما بجدية القيادة صاحبة المقاليد، أو بأن يسري فكر التجديد في أوصال الحزب ومفاصله من أسفله إلي أعلاه، كما تشرب الأشجار يا عثمان الماء، وهو سبيل ممكن في عالم اليوم، ذو الوسائط المتعددة، مفرط التكنولوجيا التي من هولها تموّن فضلاتها الاحتباس الحراري فهل تحبسها قيادة حزب صغير؟" [12]

أن جدية القيادة، في وجهة نظرنا المتواضعة، لا يمكن التعويل عليها بتاتا، فمن تربي على الجمود، وانخرط في السياسات اليمينية واستبطن الهزيمة، لا يمكن أن يأتي منه التجديد ولا التغيير، فلكل مرحلة اطروحاتها وقياداتها البديلة، ولا يمكن أن يبني الديكتاتوريون الديمقراطية، أو يحارب الشموليون التسلط، أو يستشرف الستالينيون التجديد، والطبع يغلب التطبع، ولذلك لا بد لتيارات التغيير في الحزب الشيوعي، إذا ما أرادت لأفكارها الانتشار في كل أوصال الحزب ومفاصله، أن تجهر بأطروحاتها، في منابرها الخاصة، وان تطرح جديدها على مستوي القيادات والأطر والممارسات.

---

[12] **محمد حسبو:** *رسالة عادل عبد العاطى.. فوضى مُلهمة... تجديد الحزب الشيوعى بين الخاص والعام،* 2005/11/**9**

هذا ما يقودنا للسبب الثاني لدعوتنا، لتكوين هذه التيارات لمنابرها المستقلة، حيث ان هذا الفرز والإفصاح، لا يتم فقط لكسب اغلب عضوية ذلك الحزب لاطروحات التغيير فحسب، وإنما هو مهم لتوضيح الأمور أمام الرأي العام السوداني، فقد عودتنا القيادات السياسية السودانية التقليدية، أنها تمارس صراعاتها الصغيرة اللامبدئية من وراء حجاب، وأنها تدمن تغييب الشعب وتهميشه، ولا تحترم الرأي العام البتة، وتود لو حسمت كل أمورها في صالوناتها الضيقة. وهذه طبعا أمور تناقض مبادئ الشفافية والديمقراطية، وحقوق المواطنين المخاطبين بالسياسة، ولا يمكن لتيارات التجديد والديمقراطية أن تسلك نفس هذا الطريق العقيم، ولذلك فان الإفصاح والتمايز وفرز الصفوف، مهم هنا أيضا أمام الرأي العام.

كما أن القوى الديمقراطية السودانية، وهي تستشرف آفاق التنسيق والعمل المشترك بينها، لها حق وواجب أن تعرف ما هي الأطروحات السياسية والفكرية لتيارات التجديد والإصلاح في الحزب الشيوعي، ومدى مفارقتها للمنهج الشمولي الكامن في الستالينية، وللخط اليميني الانتهازي للقيادة الحالية، ومدى رغبتها في التعاون مع هذه القوى، من اجل بديل اجتماعي مدني علماني في السودان الديمقراطي الموحد.

عادل عبد العاطي

2005/12/4

الجزء الثالث

مقاربات فكرية

جبهة وطنية ديمقراطية
أم وحدة قوى السودان الجديد ؟
حوار مع اطروحات الأستاذ صدقي كبلو

قرأت بكثير من الاهتمام مقال الأستاذ صدقي كبلو المعنون : " الجبهة الوطنية الديمقراطية: المشروع يدعو للتنفيذ الفوري"، والمنشور بالعدد التاسع من مجلة قضايا سودانية ، ديسمبر 1995 ، والذي أعيد نشره مؤخرا على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).
ورغم صدور المقال في نشرة خاصة بالحزب الشيوعي السوداني ، وكونه جزء من النقاش الداخلي الدائر بين أعضاء ذلك الحزب حول تكتيكاتهم الواجب اتباعها في ظل الظروف المتغيرة ، إلا إن المقال يأخذ أهميته كونه يعالج قضايا عامة مثل قضايا التحالفات في الحركة السياسية السودانية ، تقييم الأزمة السياسية وسبل الخروج منها ، قضايا بناء حركة سياسية جديدة (حزب جديد) ، وغيرها من الاطروحات التي تعالج قضايا هي من أولويات الحركة السياسية والفكرية في السودان ، ومن صميم اهتمامات الرأي العام ، الأمر الذي يفرض نقاشها وتحديد نقاط الاختلاف والاتفاق معها .
والأستاذ صدقي كبلو هو واحد من ابرز مفكرى ومنظري الحزب الشيوعي السوداني اليوم ، وهو أحد المفكرين والاقتصاديين السودانيين الأكثر أصالة والأغزر إنتاجا فكريا ، الأمر الذي يكسب مقاله أهمية اكبر ، ويجعل للنقاش معه قيمة إضافية ، فشكرا للأستاذ صدقي كبلو على إتاحته هذه الفرصة للحوار والنقاش حول حزمة من أهم قضايا المعارضة السودانية اليوم .

إنني إذ أناقش مقال قديم مضت عليه سنوات ، ودون معرفة بما تغير من أراء الأستاذ كبلو ، فأنني مدفوع بإلحاح القضايا التي طرحها المقال ، والتي لا تزال حية ، رغم مرور هذا الوقت الطويل على طرحها . وأنى إذ أناقش بعض اطروحات المقال ، الا إنني أتجاهل بعضها ، وذلك لعدم ارتباطها بالموضوع الرئيسي للنقاش من جهة ، ومن جهة أخرى عدم توفر الوقت والإمكانيات لنقاش اعمق مع تفاصيل أفكار الأستاذ كبلو ، والتي أتمنى العودة لها بتفصيل اكبر في المستقبل .

أسباب فشل" المشروع الوطني الديمقراطي"
ولماذا تعثر بناء "الجبهة الوطنية الديمقراطية" :

يولى الأستاذ صدقي كبلو في مقاله حيزا كبيرا لنقاش أسباب مد و انحسار ، تقدم وتراجع "المشروع الوطني الديمقراطي " ، والمشروع الوطني الديمقراطي الذي يتحدث عنه الأستاذ كبلو، لمن لا يعرفه ، هو صيغة برامجية اقترحها وتبناها الحزب الشيوعي السوداني ، والتنظيمات المرتبطة به ، لإحداث تغييرات " ديمقراطية " عميقة في الاقتصاد والمجتمع السوداني ، في مرحلة اصطلح على تسميتها بمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، والتي يمهد إنجازها للدخول في الاشتراكية ، وتقاد عبر أداة سياسية وتنظيمية هي " الجبهة الوطنية الديمقراطية "، والتي يتحدث الأستاذ كبلو عن بعثها الآن .
ويربط الأستاذ كبلو انحسار هذا المشروع والتراجع فيه بانعدام الديمقراطية في السودان ، ثم يمضى قدما ليعالج قضية أداة هذا المشروع ، وهى "الجبهة الوطنية الديمقراطية " ، ويسرد محاولات تأسيسها ، والتاريخ لها من وثائق الحزب الشيوعي السوداني ، وينتقد عدم وجود بنية وقيادة لها على الأساس الوطني ، حيث يكتب :
"ولكن رغم ذلك فقد فشلت القوى الوطنية الديمقراطية في إنشاء مركز مستقل لها وظل الحزب الشيوعي يقوم بمهمة المركز الموحد والمنسق لنشاطها نيابة عنها وارى أن هذه أحد أهم سلبيات تلك الفترة الهامة في النضال من اجل المشروع الوطني الديمقراطي، وللأسف الشديد تكررت نفس المسالة خلال النضال ضد نظام نميري وبعد سقوطه."
أشيد هنا بهذا النقد وبالأسباب التي ذكرها الأستاذ كبلو ، لاعتقاده بان عدم وجود هذه الجبهة قد كان عاملا سلبيا ، إلا إن الأستاذ كبلو قد تجاهل في موضوعة قضايا رئيسية وانتقادات جادة ، وجهها بعض ناقدي تجربة الحزب الشيوعي السوداني ، وراصدي فشل

مشروع "المشروع الوطني الديمقراطي " ، كالدكتور فاروق محمد إبراهيم في مقاله المكرس لهذا الموضوع ،(قضايا سودانية : العدد الرابع) ، والأستاذ الخاتم عدلان "الشيوعي : العدد 147 ، ووثيقة استقالته ورفاقه من الحزب الشيوعي "، وكاتب هذا المقال ، ومن بينها قضايا تتصل بالفكر والبرنامج والاستراتيجية السياسية ، ولا تقتصر فقط على قضايا التنظيم ، والتي رغم أهميتها تظل متصلة وثيقا بالاتجاه الفكري والخط السياسي الذي يحكمها ويضبط حركتها ويوجه مواعينها .

إننا هنا نحاول أن نحرك ما تجاهله الأستاذ كبلو ، في صيغة أسئلة لا نملك الا نسألها ، إذا ما أردنا للحوار أن يتجاوز حدود الشعارات ، ليذهب عميقا في قضايا الفكر والاستراتيجية :

هل " الجبهة الوطنية الديمقراطية "، هي تحالف أحزاب وقوى سياسية محددة ومستقلة ، كما يفهم من مقال الأستاذ صدقي كبلو ، أم هي تحالف طبقات وفئات اجتماعية عامة (عمال ، مزارعين ، رأسمالية وطنية ومثقفين ثوريين الخ) ، غير محدد ممثلوها ، كما يرد في معظم وثائق وأدبيات الحزب الشيوعي ؟

هل تشكل التنظيمات الديمقراطية "، أو كما حددها الأستاذ كبلو : الجبهة النقابية وسط العمال ، الجبهة الديمقراطية للطلاب ، القيادة الشيوعية والديمقراطية لاتحادات المزارعين ، وتنظيم الضباط والجنود الأحرار ، روافد وحلفاء للحزب الشيوعي ، أم هم أطراف أساسية في هذه " الجبهة الوطنية الديمقراطية "المرتجاة ، وإذا كانت الإجابة الأخيرة هي الصحيحة ، فهل هذه الجبهة تتسع لقوى سياسية أخري خارج إطار التنظيمات المرتبطة بالحزب الشيوعي ؟ و ما هي دوافع وامكانية وشروط انضمام هذه القوى الأخرى لهذه "الجبهة الوطنية الديمقراطية "؟

لماذا غيب شعار وواجب بناء " الجبهة الوطنية الديمقراطية "من أدبيات وتكتيكات الحزب الشيوعي السوداني منذ العام 1977 وحتى الآن ، و أجهضت وحوربت كل المحاولات لطرح وتنفيذ هذا الشعار ؟ وهل صيغة جبهة عريضة للديمقراطية ووحدة قوى الانتفاضة التي طرحها الحزب الشيوعي ، وما زال يتبناها حتى الآن ، هي صيغة سليمة لتحالفات الحزب أم لا ؟ وإذا لم تكن هي الصيغة السليمة ، فما هو الداعي لطرحها والإصرار عليها كل هذه السنوات (1977-2000) ؟ ، وإذا كانت هي الصيغة المثلى ، فما هي الأسباب للتراجع عنها الآن ، والرجوع لفكرة "" الجبهة الوطنية الديمقراطية "" ؟.

هل يعتقد الأستاذ صدقي كبلو ، أن الطابع الفئوي لصيغة "" الجبهة الوطنية الديمقراطية "" ، كتحالف طبقات ، أو النظر إليها كمجموع القوى الملتفة حول الحزب الشيوعي (التنظيمات التي ذكرها الأستاذ كبلو) ، قد كان خطا سياسيا وفكريا ؟ أو لا يعتقد الأستاذ صدقي أن الصيغة العقائدية والمركزية للحزب الشيوعي ، قد وقفت حائلا دون تأهيله للانتشار الجماهيري ، وقيامه بواجبه في تنظيم الجماهير وبناء تلك الجبهة العتيدة ؟
الا يتفق الأستاذ كبلو ، أن عدم بناء هذه الجبهة ، على علاتها النظرية ، خلال ال25 عاما السابقة على الأقل ، قد كان اختيارا سياسيا ومنهجيا واعيا ، للقيادة المتنفذة في الحزب الشيوعي ، وكان تجاوزا فاضحا لمقررات الحزب ووثائقه وبرنامجه ، ولم يكن مجرد "سلبية " وتقصيرا تنظيميا ، يكفى مجرد كتابة مقال للتراجع عنه والعودة للأصل ؟
الا يتفق الأستاذ كبلو ، إن إعلان سلطة لجبهة غير موجودة " إعلان 19 يوليو بأنها سلطة "" الجبهة الوطنية الديمقراطية ""، وشعار مؤيديها "كل السلطة بيد الجبهة " ، وتأسيس جناح مسلح باسمها اليوم " مقاتلي " الجبهة الوطنية الديمقراطية " (مجد)" ، كل ذلك والجبهة غير موجودة ، يعد من قبيل الخداع السياسي والفكري للجماهير والعضوية والذات ؟

" الجبهة الوطنية الديمقراطية "
هل لا تزال شعارا قابلا للتنفيذ والإنجاز ؟

يفترض واجب بناء "" الجبهة الوطنية الديمقراطية ""، إمكانية بناء ها ، أو كما يكتب الأستاذ كبلو :"ولكن هذا لن يحل الأزمة العامة التي كادت أن تعصف بالوطن منذ الاستقلال. إن هذه الأزمة لا يحلها إلا برنامج للثورة الوطنية الديمقراطية تنفذه سلطة القوى الوطنية الديمقراطية المنظمة في جبهة."
وهنا يطرح السؤال نفسه ، هل "" الجبهة الوطنية الديمقراطية ""، كما هي واردة في أدبيات الحزب الشيوعي السوداني قبيل العام 1977 ، وكما هي مجددة في مقالة الأستاذ كبلو الحالية ، لا تزال شعارا قابلا للتنفيذ والإنجاز ، أم قد تجاوزها الزمن ،في غفلة من أصحابها ودعاتها ؟
إنني اعتقد باستعصاء هذه " الجبهة " على التنفيذ اليوم ، وذلك لجملة الأسباب التالية :

1- يعتور مفهوم "" الجبهة الوطنية الديمقراطية ""ضعف جوهري ، وهو تركيزه على الطابع الفئوي لهذا الجبهة (تحالف طبقات) ، وإهماله واستبعاده للصيغة السياسية (تحالف قوى سياسية واجتماعية مستقلة وندية) ، وفي ظل انهيار الحركة النقابية ، العمالية والمهنية والفلاحية ، وتضعضعها ، فان الروافد الأساسية لهذه الجبهة الفئوية تظل خارج إمكانية الانخراط فيها ، لسنوات عديدة قادمة .

2-لا يحظى قيام هذه الجبهة ، والدعوة لها ، بتأييد القيادة الرسمية للحزب الشيوعي السوداني ، وهو الحزب الذي جاء بفكرتها وعمم دعوتها فيما مضى ، بينما تطرح قيادة الحزب (ووراءها أعداد كبيرة من كوادره وأعضاؤه) ، البديل في صيغة جبهة لقوى الانتفاضة تشمل فيما تشمل الأحزاب التقليدية (صيغة التجمع الوطني لإنقاذ الوطن – 1985-1989 ، والتجمع الوطني الديمقراطي الحالي) ، وبذلك فان الدعوة لهذه الجبهة ، قد أصبحت طفلا يتيما ، رفضه أبواه ، ونبذته أسرته ، ويتبناه الآن فقط الأستاذ صدقي كبلو !!

3-واقع الضعف والشتات والتهميش ، الذي اعتور التنظيمات "الديمقراطية " التي يذكرها الأستاذ كبلو ، والتي نعتقد أنها مجرد روافد وحلفاء للحزب الشيوعي ، وتراجع دورها الوطني "الكبير نسبيا " ، والذي كان لها ذات يوم ، وتحولها إلى مجرد حركات صغيرة ، لا قيادة وطنية لها ،ولا تملك أن تخرج من عباءة وتكتيكات الحزب الشيوعي ، ناهيك عن أن تصبح طرفا نديا في"جبهة وطنية ديمقراطية "، ذات مهام تاريخية .

4-تتجاهل هذه الدعوة واقع قيام قوى سياسية جديدة ، من مواقع وطنية وتجديدية ، لها دورها الفعال في حاضر ومستقبل السودان ، ولها تصوراتها والتي وان تماهت في عمومياتها مع مبادئ " المشروع الوطني الديمقراطي " ، الا أنها ترفض الانخراط في جبهة تفترض مواقع القيادة سلفا لحزب بعينه (حزب الطليعة أو حزب طبقة بعينها) ، وفي نفس الوقت هي على استعداد للدخول في تحالفات ندية ، تحت شعارات وتسميات لا تنتمي إلى حزب بعينه ، وغير مثقلة باسقاطات وانتماءات وصراعات تاريخية لا جدوى منها الآن .

إن مجموع هذه الأسباب والوقائع ، تقرض علينا سؤالا جوهريا ، نشرحه إلى عدة أسئلة تفصيلية ، ولا نساهم بالإجابة عليه ، بل نتركه قيد النقاش والمحاورة ، هذا السؤال نطرحه كعنوان للفقرة التالية ، وهو :

هل الحزب الشيوعي السوداني ، راغب في/وقادر على / تغيير مواقفه ، ليسهم في بناء بديل سياسي وتنظيمي جديد ؟

بدءا أقول انه و أثناء قراءتي لمقالة الأستاذ صدقي ، لم يفاجئني الطابع "الاقتصادوى " الكاسح ، والذي يهيمن على تحليلاتها للوقائع السياسية ، كقولها : " إن انقلاب 30 يونيو قد نظمته فئة واحدة من فئات الرأسمالية السودانية ولكنها نفذته نيابة عن فئات الرأسمالية السودانية الأخرى ، دون إذن منها" ، وحديثها عن قيام حزب جديد ، علماني وديمقراطي وطني ، بوصفه " حزب جديد للبرجوازية الوطنية " وتحليل سقوط برنامج الجبهة الإسلامية بعدم حوجة الرأسمالية إليه الآن !!، وغيرها من التخريجات ..أن هذا النهج الاقتصادوى في تحليل الوقائع السياسية ، وإهماله لحزمة من العوامل الثقافية والسيكولوجية والاجتماعية ، في العلاقات السياسية للأفراد والمجموعات ، هو نهج ثابت في المدرسة الماركسية التقليدية ، الا انه يصل إلى حدوده القصوى في إنتاج الأستاذ صدقي كبلو .

ورغما عن الطابع الأحادي والمتطرف لهذا النهج ، الا انه لا أحد يمكن أن يطلب من الشيوعيين تغيير أيديولوجيتهم أو عقيدتهم الفكرية ، أو أساليب تحليلهم للواقع السياسي ، فهذا أمر خاص بهم ، وراجع إليهم ، الا انه رجوعا إلى القضايا التي تمس مستقبل السودان ، وقضايا التحالفات الوطنية ، فان الحزب الشيوعي ،دعما لسؤالنا الرئيسي ، مواجه بالأسئلة الفرعية التالية :

هل تراجع الحزب الشيوعي ، عن فكرة التحالف العريض الذي يضم الأحزاب التقليدية ، لصالح تحالف يضم قوى الحداثة والجديد ، في سبيل إنشاء مركز سياسي جديد ، لا طائفي وعلماني ، يضع على عاتقه مهام بناء سودان مدني ديمقراطي عادل وموحد؟أم أن هذه اجتهادات فردية لا علاقة لها بسياسة الحزب؟

هل يقر الحزب الشيوعي بوجود/وبروز/ قوى وطنية فاعلة ، لا سلفية ولا طائفية ، وطنية وديمقراطية ، ذات وزن واعتبار في الحركة السياسية السودانية ، وهل هو مستعد للتحالف معها ، من مواقع ندية ، دون وصاية أيديولوجية أو سياسية ، ودون رغبة في تجييرها لصالح مشروعاته الحزبية الخاصة ؟

هل الحزب الشيوعي مستعد لتقديم كشف حساب عن تحالفاته السياسية المتغيرة ، خلال العقدين الأخيرين ، وشرح مسبباتها ، والرؤى الفكرية والمواقف السياسية التي حكمتها ، وذلك لكسب الجدية والمصداقية أمام الجماهير والحلفاء المرتقبين ؟
هل الحزب الشيوعي قادر على تصفية الإرث النخبوى والصفوى والرسالى ، الغالب على قيادته وعضويته ، وعلى الانفتاح على قوى ديمقراطية ويسارية أخرى ، دون حساسيات تاريخية ، ودون محاربتها والاستهزاء بقدرها والتشكيك في وطنيتها أو هويتها ؟ ودون استخدام تعبيرات وتوصيفات لا تقبل بها هذه القوى (برجوازية صغيرة ،حركات إقليمية ، تنظيم عسكري الخ) ؟
هل الحزب الشيوعي راغب وقادر على الانضمام لجبهة ، والالتزام ببرنامج ، لا يحمل ميسمه في التسميات والشعارات ، والالتزام بهذه المسميات والشعارات المتفق عليها في أدبه ومخاطبته للجماهير ؟
هل الحزب الشيوعي مستعد للقيام بعملية دمقرطة شاملة لمؤسساته و أطره القيادية ؟ ، هذا الأمر الحتمي ، الذي يفترض أن تقوم به كل الأطراف الراغبة في بناء بديل ديمقراطي حقيقي ، والذي ينبغي أن يكون شرطا لانضمام أي طرف لهذا التحالف البديل ، وشعارا مطروحا يتوجه به هذا الحلف لتجديد الحياة السياسية السودانية ، والتزاما ديمقراطيا تجاه الجماهير !!

إننا نأمل في انتظار الإجابة من الحزب الشيوعي، قادة وكوادر وعضوية ، على جملة هذه الأسئلة ، ومن محتواها سندرك جدية اطروحات الحزب ، وفي نفس الوقت نتقدم له ولكل القوى الوطنية والجديدة بالمشروع التالي للنقاش .

بناء حلف بديل لقوى التغييروالتجديد
هو واجب الساعة لقوى المعارضة الوطنية :

مما لا ريب فيه أن دعوة الأستاذ كبلو لجبهة وطنية ديمقراطية هي متقدمة على صيغة وحدة قوى الانتفاضة ، التي تدافع عنها قيادة الحزب الشيوعي ، وعدة أطراف أخرى والتي تتماهى مع صيغة التجمع الحالي ، إنني أوافق مع الأستاذ كبلو في انتقاداته لصيغة التجمع الحالية ، فقد كتب :

"وهذا الحلف ليس هو التجمع الحالي، لماذا؟

1- إن الأحزاب الطائفية في التجمع ما زالت تطرح بشكل أو آخر الدولة الدينية وتطمع في استغلال الغطاء الأيديولوجي الديني لاستغلال الجماهير.

2- -لان الأحزاب الطائفية ما زالت تعتقد في سيادة القومية العربية الإسلامية على بقية قوميات السودان.

3- لان الأحزاب الطائفية ما زالت تسعى لحل غير ديمقراطي للمسالة الإقليمية فهي لا تريد حلا قائما على تقرير المصير، تريد أن تشتري القيادات الإقليمية بدلا من أن تصل معهم وعبرهم مع الجماهير إلي برنامج لاقتسام السلطة والثروة، برنامج للدولة الديمقراطية العلمانية والتنمية المتوازنة والوطنية السودانية (في مقابل مفهومي الهوية القائمين عل العروبة والقنطرة).

4- ولان أحزاب الطائفية تعتقد حقا وراثيا في حكم البلاد دون اشتراك القوى الحديثة وقوى اليسار التي تمثلها. "

أن قائمة الأسباب التي تدعو لحلف جديد عديدة ، ليس اقلها سلبية التجمع وأزمته المستحكمة ، التي ناقشناها في غير هذا المجال ، وفشله في الهام وتنظيم وقيادة الجماهير السودانية ، إنني هنا اتفق مع النقاط الأساسية لتحليل الأستاذ كبلو بان الحلف الجديد ليس موجها في المقام الأول ضد التجمع ، حيث يكتب :

(ولكن هل يعني هذا إلغاء صيغة التجمع؟ بالطبع لا ، الا إذا تخلت عنها هذه الأحزاب أو جعلت منها إطارا لتجميد الحركة الجماهيرية، وفي كلي الحالتين، بل ولمنع حدوث أيهما (أو بالأصح استمرار الحبس الحادث الآن) لا بد من تحالف القوى الوطنية الديمقراطية (وليس قوى اليسار فقط) داخل وخارج التجمع وقيام مركز مستقل وعلني لها يخاطب وينظم الجماهير ويستعد لكسب الانتخابات الديمقراطية بعد الفترة الانتقالية. الجبهة الديمقراطية ليست بديلا تكتيكيا للتجمع في إسقاط السلطة الحالية، لكنها الضمان الحقيقي لتصفية النظام الذي أقامته الجبهة الإسلامية وهو نظام من مصلحة بعض أطراف التجمع الحالي التمسك ببعض أركانه لقهر حركة الجماهير، انهم يريدون أن يرثوا نظام الجبهة الإسلامية كما فعلوا بنظام نميري ولكن هذا لن يحل الأزمة العامة التي كادت إن تعصف بالوطن منذ الاستقلال.)

أن خمس سنوات لاحقة من التجربة ، بهد تسطير ونشر مقال الأستاذ كبلو ، قد أثبتت فشل صيغة التجمع ، وكونه مقيد وحابس لحركة الجماهير ، و أكدت محاولة وراثة أو

اقتسام السلطة من بعض أطراف التجمع مع نظام الجبهة الإسلامية ، أن تجربة خمس سنوات قد أثبتت الحاجة الماسة لهذا الحلف الجديد ، ولكن هل يأتي هو في صيغة جبهة وطنية ديمقراطية كما يكتب الأستاذ كبلو :
(إن هذه الأزمة لا يحلها إلا برنامج للثورة الوطنية الديمقراطية تنفذه سلطة القوى الوطنية الديمقراطية المنظمة في جبهة.)

وحدة قوى السودان الجديد ،
لا "جبهة وطنية ديمقراطية" :

في مقابل هذه الصيغة المطروحة في المقال قيد النقاش ، أؤيد أنا من جانبي فكرة وحدة قوى السودان الجديد ، وابرر هذا الخيار بالأسباب التالية :
دعوة وحدة قوى السودان الجديد ليست مثقلة باسقاطات تاريخية وتوجهات حزبية بعينها، الأمر الذي لا يمكن قوله عن شعار " الجبهة الوطنية الديمقراطية "، المرتبط تاريخيا وفكريا بمواقع الحزب الشيوعي السوداني وحده .
دعوة السودان الجديد نبعت من طرف الدكتور جون قرنق ، قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان ، ويؤدى تبنيها من قبل الأطراف الوطنية إلى تمتين أواصر الوحدة وتقريب الشقة بين مكونات الحركة السياسية السودانية المتشظية الآن فئويا ومناطقيا .
وجدت دعوة السودان الجديد قبولا كافيا من قبل إطراف متعددة ، سياسية واجتماعية ، و أصبحت شعارا عاما لها ، مثل الحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان ، التحالف الوطني السوداني /قوات التحالف السودانية ، التحالف الفيدرالي السوداني ، مؤتمر البجة ، الحزب القومي السوداني وغيرها ، ووجدت دعما من العديد من المثقفين والشخصيات الوطنية والمنظمات الفئوية ، وبذلك فهي مؤهلة بصورة اكبر كدعوة جذب وتجميع لكل القوى الوطنية الراغبة في التغيير و التجديد .
رغم خروج الشعار وتوجه السودان الجديد من مواقع الحركة الشعبية لتحرير السودان ،وتبنيه اللاحق من قبل القوى المذكورة ، الا انه يكفل ندية كاملة لكل الأطراف الداعية له ، وقيام حلف أو جبهة على قاعدة هذا التوجه ، يكفل الندية الكاملة وعدم الحساسية

والاحترام الكامل لكل الأطراف ، صغرت أم كبرت ، الأمر الذي لا يمكن ضمانه في جبهة قائمة على أساس برامج وشعارات حزب واحد بعينه .

إن فكرة قيام جبهة ديمقراطية تربط الحزب الشيوعي بالتيار الديمقراطي المتحالف معه ، هي فكرة رائعة وجديرة بالتأييد ، ومما لا ريب فيه إنها في حالة تحققها ، ستخلق مركزا متجددا للعمل السياسي من مواقع اليسار ، الا إن هذه تظل قضية خاصة بالحزب الشيوعي وحلفاؤه ، ولا تغدو كافية أو مقبولة كصيغة إذا تحدثنا عن تحالفات اعمق تشمل الوطن كله ، عدا حفنة من الدعاة و الحرس المعلنين والمستترين لدولة السودان القديم .
إن كل الوقائع تثبت إن فكرة " الجبهة الوطنية الديمقراطية "في شكلها القديم ما عادت قادرة على التشخص في الواقع ، أو اجتذاب القوى الجديدة الناهضة في المجتمع السوداني ، والشاهد انه بعد حوالي 5 سنوات من مقال الأستاذ كبلو ، لم تجد دعوته صداها ومحاولات تفعيلها حتى في إطار الحزب الذي ينتمي إليه .
تبقي هناك نقطة أساسية من الاتفاق مع الأستاذ كبلو ينبغي تسجيلها ، وهى فشل وجمود صيغة التجمع الحالية ، وضرورة فك الارتباط مع القوى الطائفية ، للأسباب الموضوعية التي ذكرها الأستاذ كبلو ، ولغيرها من الأسباب الأخرى ، وبروز الحاجة الماسة لوجود جبهة وطنية جديدة تجمع وتوجد قوى الحداثة والتغيير والتجديد في المجتمع ، تستنهض الجماهير وتكون فاعلة في النضال ضد النظام الراهن ، ومن اجل إرساء سودان مدى ديمقراطي موحد ، بكلمة واحدة جبهة موحدة لقوى السودان الجديد .

2000/4/27

بين الشيوعية والفاشية
هل الحزب الشيوعى السودانى حزب فاشستى؟

الحزب الشيوعي السوداني بلا شك، حزب يحمل ملامح فاشية قوية ، تمتد من المنهج ، الي البنية التنظيمية، الي الخطاب السياسي، لتصل الي الممارسات والسلوكيات. في هذا المقال ، سنكشف بعضا من الملامح الفاشية في تكوين الحزب الشيوعي السوداني والشيوعية ، والسلوكيات االعنيفة والاقصائية في ممارسات بعض اعضائه، والتي نعتقد ان الفاشية هي معادلها العلمي .
في هذا المقال نحاول ان نرى جذور هذه الممارسات في التقارب الفكري بين الفاشية والشيوعية.

ما هي الملامح الاساسية للفاشية:

1- تقديس الزعيم .
2- الطاعة والانضباط الحديدي.
3- عقيدة سياسية ثابتة .
4- الطابع العسكري للدولة والتنظيم.
5- العنف اللفظي والبدني تجاه الخصوم.
6- الطقوسية والاحتفالية وعبادة مظاهر القوة.
7- الدكتاتورية داخل الحزب وفي الدولة.
8- احتقار المراة والتعامل الابوي الذكوري معها.
9- العنصرية والتعصب القومي والعرقي.
10-التميز الشكلاني للعضوية - ملابس وغيره-.

بين الفاشية والنازية:

ابدأ اولا، بتحديد ان هناك فرق بين الفاشية والنازية، فالنازية هي ايدلوجية حزب العمال الاشتراكي الوطني الالماني، والمعروف باسم الحزب النازي، والذي تطور تحت قيادة ادولف هتلر، ولعبت شخصيات وتيارات فكرية متعددة، دورا في تكوين عقيدته، من

بينها هتلر طبعا، في كتابه : "كفاحي" والذي كتبه في عام 1922، اي في بداية نمو الحزب النازي، وقبل 10 سنوات من وصوله الي السلطة. بينما الفاشية هي مجموعة من الافكار والسلوكيات غير المنتظمة في نسق فلسفي ثابت، والتي طورتها العصبة الفاشية، تحت قيادة موسوليني، والتي كان تركيزها علي العمل اكثر من الفكر، وكانت تهرب لفترة طويلة من تحديد موقعها الفكري، ولم يتم تاطيرها - لو تم اصلا- ، الا في مرحلة متاخرة، اي في نهاية الثلاثينات، في مقال لموسوليني - من جزئين - نشر في الانسكلوبيديا الايطالية ، ثم نشر من بعد بصورة منقحة في شكل كتيب، بعنوان " عقيدة الفاشية" ، رغم ان الفاشيين قد وصلوا الي السلطة في عام 1923.

الفرق يكمن اولا في الطبيعة المختلفة للمجتمعين الالماني والايطالي، وتقدم الاول صناعيا، والتقاليد الفلسفية القوية فيه، في مقابل تاخر ايطاليا صناعيا، وضعف التقاليد الفلسفية مقارنة بالمانيا فيها ، في القرون السابقة لبروز الفاشية. وكذلك يكمن الفرق طبيعة التقاليد السلوكية والاجتماعية المختلفة في كل من المجتمعين، فالالمان معروف عنهم الانضباط والطاعة والاهتمام بالتفاصيل، بينما الايطاليين منفتحين وفوضويين نوعا ما وليس لهم اهتمام بالتفاصيل، ومن بينها التفاصيل الايدلوجية.

من الجهة الثانية ، فان تاثير العلاقات القديمة ، وعلي راسها العلاقات والمؤسسات الدينية ، يختلف وضعها في البلدين، حيث للكاثوليكية وجود عميق وتاثير علي الشعب الايطالي، ولذلك لم تستطع الفاشية ان تحارب الدين، رغم اختلاف توجهاتها ومثلها عن توجهات ومثل الكنسية، في حين حاربت النازية الدين بلا هوادة، علي المستويين الفكري والسياسي، كما ان المانيا التي اطاحت بالامبراطور في ثورة عام 1919، قد بنت دولة نازية صرفة ، بينما كان الملك، وهو من بقايا العلاقات القديمة، مشتركا في حكم الدولة الفاشية، ومضفيا عليها طابعا تقليديا خفف من "ثوريتها" ، ولم يتم الاطاحة بالملكية الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

كما ان التركيب القومي كان له دور كبير في اختلاف كل من الفلسفتين والنظامين، فالمانيا كانت بلدا ذو تركيب قومي موحد، بغلبة ثقافية وسياسية للبروسيين، اما ايطاليا، فشعب مختلط وهجين، ويمكن ان تلمح اختلافات جوهرية ما بين سحنة ولهجة اهل الشمال في بادنيا، عن اهل سيسليا الجنوبيين. وقد تعرضت ايطاليا للاختلاطات العرقية مع العديد من القوميات، ولذلك فان الاتجاه القومي العنصري في النازية كان اقوي منه عن في الفاشية، حيث وجهت النازية حد ضربتها الاساسية تجاه اليهود والغجر والسلاف، وهم

تجمعات عرقية وقومية ودينية ذات تميز كبير عن الشعب الالماني، سواء اولئك الذين كانوا يسكنوا بالمانيا، او من وجدوا خارجها في البلدان التي احتلتها المانيا فيما بعد.
كل هذه الاسباب ادت الي وجود اختلافات كثيرة بين النازية والفاشية، رغم اتفاقها في العديد من الملامح ، ولذلك فان افتراضنا بان الحزب الشيوعي السوداني فيه ملامح فاشية، وليس نازية ، لم يات من فراغ ، وانما من معرفة عميقة من ناحية بالفرق بين الفاشية واالنازية ، ومن الناحية الاخري بالتشابة بين الجزب الشوعي السوداني وممارساته وعقيدته - لو كانت له عقيدة - تحت القيادة اليمينية الحالية له، وبين الفاشية وعقيدتها وممارساتها.

بين الشيوعية والفاشية :
إنني ساتناول هنا، ما اراه تقاربا علي المستويين الفكري والبنيوي، للتيارين الشيوعي والفاشي، في ارتباطه مع النقاط التالية:

1- الموقف من الفرد وعلاقة الفرد بالمجتمع ..
اذا كانت النظريات الاجتماعية يمكن ان تقسم الي ثلاثة اقسام، حسب نظرتها للفرد، وتصورها لعلاقته بالمجتمع، فاننا الباحثين الاجتماعيين قد قسموها الي الاقسام التالية :
1- الجماعية ، والتي تنظر الي الجماعة كقيمة اولي، وتعتقد بضرورة خضوع الفرد لها .
2- العضوية: والتي تقول بان الفرد والمجتمع متداخلان عضويا، يؤثر كل منهما علي الآخر.
3- الفردية: والتي تعلي من شأن الفرد، وتعتقد انه القيمة الاولي، وتعلي حقوقه علي تلك التي للجماعة.
بهذا المعيار، فان الفاشية والشيوعية يقفان في صف واحد، حيث يقف الاثنان مع أولوية الجماعة علي الفرد، والجماعة عند الفاشية هي الأمة ، والتي تمثلها الدولة ، وعند الشيوعية هي الطبقة العاملة - عند ماركس - والعمال والفلاحين - عند لينين - ، والشعب الكادح - عند من بعدهما- ، وهم الذي يمثلهم الحزب الطبقي الطليعي ، أي الحزب الشيوعي
في ظل النظرة الجمعية هذه ، رغم اختلافها الظاهري، فان الإنسان الفرد لا حقوق له ، وانما مجرد واجبات، وما يكفل له كحقوق، لا يكفل له كفرد مستقل، وانما كجزء من كل

، اي كعامل ، كجزء من الامة ، الخ الخ .. ولا تزال ترن في اذاننا، مقولة ستالين بان الافراد هم تروس في عجلة التاريخ .
واذا كانت الفاشية قد كانت متسقة مع نفسها، حين زعمت ان إرادة الدولة ، تتجلي في ارادة الزعيم الفرد - حيث نزع الحرية عن الافراد يقابله اعطاء كل السلطات لفرد واحد - ، فان الشيوعية لم تعلن ذلك ، ولكن مارست الامر في الممارسة العملية ، حين اختصرت المجتمع في طبقة ، والطبقة في حزب، والحزب في لجنة مركزية ، واللجنة المركزية في شخص سكرتيرها العام، وهكذا وصلت الي نفس نتيجة الفاشية ، اي حكم الفرد،او عبادة الفرد كما اسماها خروتشوف تزوقا.

هل هناك تناقض، في ان اكثر المتشدقين بالدعاوى الجمعية ، وفي تقليل دور الفرد ومبادرته، يصلوا إلى تبرير وتقنين حكم الفرد الواحد، الماقض لاي فكروة جمعية ؟ لا ، فتغييب حقوق الأفراد العاديين، يتم دائما لصالح زيادة سلطات افراد اخريين، وما حكم المجتمع المجرد ، او الطبقة ، او الامة ، الا وهما من الأوهام .. فالامم او الطبقات، ليس لها هيكل وجسم وارادة موحدة تحمكن بها ، وانما هي تنطق عبر الأفراد والقادة والزعماء، والذين في النظريات والممارسات الجمعية، بقيامهم بسحق اي مبادرة فردية ، واي حقوق للفرد، يجدوا انه قد تجمعت لهم حصيلة كل حقوق أولئك الأفراد، فاصبحوا المتحكمين في الحياة والممات، كما فعل لينين، وستالين، وماو ، وكما يفعل الان كاسترو وكيم جونغ ايل .

2- الموقف من الدولة ومؤسساتها:
في كل النظاميين الفكريين للشيوعية والفاشية ، وفي ممارستها العملية ، فان هناك تضخيم مبالغ فيه لدور الدولة ، بحيث انها لا تتحكم فقط في السياسة ، بل في الاقتصاد والحياة الاجتماعية ، وفي شئون الفكر والثقافة ، وفي وسائل واشكال الترفية ، وتدخل الي بيت المواطن، وتتدخل حتاي في علاقته بزوجه واطفاله، فيما يسمي بخلق الانسان الجديد.
واذا كان لب الفاشية قائم علي تمجيد الدولة وفكرة الدولة ، في تسطيح مبتذل للهيجيلية ، فان الماركسية تعاني هنا من اذدواجية حقيقية .. حيث انها في الاطار النظري، تبدو من اشد المعارضين للدولة ، بل انها تدعو لانحلالها في النهاية ، وقيام المجتمع الطوبي

اللاطبقي، الذي تنتهي فيه الدولة ، بوصفها اداة من ادوات الصراع الطبقي ، كما حاول ان يثبت لينين في كتابه الدولة والثورة ، وفي كتيبه عن الدولة ، وفي مناظرته" الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي " ، فانها في الممارسة العملية قد تحولت الي عابدة للدولة ، والتي روصفت في البدء بانها دولة العمال والفلاحين، ليزعم من بعد انها "دولة الشعب كله"

الي ماذا يرجع تناقض الشيوعية الشكلي، وهل هو تناقض حقيقي، ام ان الشيوعية هي اساسا اسيدلوجية سلطوية ، لا يمكن ان تقوم دون دولة تسلطية قهرية شمولية ، كالتي رايناها في الاتحاد السوفيتي، وفي كل التجارب الشيوعية ، ماوية كانت ام البانية ام كاسترويه – نسبة لكاسترو- ؟

في كتابات ماركس وانجلز ، نجد ان هناك دائما صراعا ضد اتجاهين : الاتجاه الاول الذي يتحدث عن دولة شعبية حرة ، اي دولة ديمقراطية ، كما تجلي ذلك في طرح برنامج جوته للحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني، والذي انتقده ماركس مر الانتقاد، كما في انتقادهم للاساليين وجماعة لويس بلان الخ .. من الناحية الاخري، تجدهم من المعارضين الاشداء، لطرح اللاسلطويين ، والمسميين بالعربية "الفوضويين " ، كما عبر عنهم معاصر ماركس : باكونين ، والذين كانوا اعداء كل دولة ، وراؤا ان الدولة هي مصدر كل قهر، وان الاشتراكية لا يمكن ان تتحق الا بتحطيم كافة اشكال الدولة ، وبناء مجتمع لا سلطوي. الموقف الماركسي- تبدي بطرح الاستيلاء علي جهاز الدولة ، واستخدامه لفترة قصيرة انتقالية ، حتي يتم تحقيق المجتمع اللاطبقي، وان هذه الدولة – الانتقالية - بالضرورة ان تكون دولة طبقية ، ودكتاتورية ، فيما اسموه بدكتاتورية البروليتاريا . وقد طور لينين هذا الموقف في كتاباته عن الدولة ، حين دعا الي دكتاتورية البرولتاريا والفلاحين ، وحارب الشهبويين الروس المعادين لكافة اشكال الدولة من جهة ، والديمقراطيين الذين راؤا ضرورة ان تكون الدوةلة ذات طابع عام وديمقراطي، فيما سماه وهما برجوازيا.

عدم تحديد طول هذه الفترة الانتقالية ، وربط طبيعة الدولة فيها بالدكتاتورية ، كان هو مربط الفرس. حيث انه في الممارسة ، وفي ظل ظروف – اشتداد الصراع الطبقي المزعوم- ، فان الحاجة كانت متجهة الي تكريس سلطة الدولة ، وديكتاتوريتها، بدلا من انحلالها . وقد اخترع من بعد ستالين نظريته الفطيرة ، والقائلة انه مع اذدياد نجاحات بناء الاشتراكية، فان الصراع الطبقي يزداد. وكان هذا هو المدخل لحملة الارهاب في الاعوام

1936-1939 ، والذي طال الملايين، اي بعد مرور عشرين عاما علي "الثورة " البلشفية .

بعد انحسار الستالينية ، وقيام الستالينية الجديدة ، وفي ظل الزعم بان الاتحاد السوفيتي قد انتقل لبناء الشيوعية ، ادخل برجنيف تدجيلا جديدا، والقائل بان الدولة السوفيتية ، لم تعد دولة طبقية ، وانما هي دولة كل الشعب !! وهنا يطرح السؤال نفسه، لماذا لم تنحل هذه الدولة ، اذا كانت دولة كل الشعب، وبدلا من ذلك فقد تعزز دورها، لتصبح الدولة مطلقة الصلاحيات وكلية القدرة ، والتي حملت علي كاهلها كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية الخ الخ ، وحطت من دور الفرد والمجتمع تماما، وجعلتهما مجرد مسامير في ترسها اللعين، ، فلم يكن هناك الا ان انهارت في النهاية تحت ثقل عبئها الخاص، كما كتب الصديق عثمان محمد صالح .

هذا الدور المركزي للسلطة ، وللدولة ، في الشيوعية ، لا يرجع الي لينين فحسب، كما يحاول البعض ان يزعم ، بل هو يذهب عميقا الي مساهمات ماركس وانجلز وممارساتهما، وبالتحديد الدور الكبير الذي اعطياه للمركزية والسلطة ، في كل اوجه الحياة ، يداءا من تمجيد دور تمركز العملية الانتاجية –الراسمالية ، ومن ثم تصورهم لهذا الطابع لعملية الانتاج الشيوعية ، مرورا برؤيتهم للطابع الثوري والايجابي للدولة المركزية ، وتحليلهم الاقتصادوي الضيق لطبيعة الدولة ، وانتهاءبتصوراتهم الي ادوات ومؤسسات الثورة، والتي راؤوها في حزب مركزي لطبقة العمال الصناعيين اللمركزة في المعامل الكبيرة.

وقد كانت هذه النظرة نظرة اقتصادوية ميكانيكية قاصرة ، راجعة الي الطابع الميكانيكي البسيط لعملية الانتاج في القرن التاسع عشر، هذه الميكانيكية التي لم يخرج هذان المفكران الكبيران عن اسارها، رغم نقدهم اللفظي الكثير للمادية اليكانيكية او الجلفة ، ولكن في نفس الوقت فان هناك من المفكرين المعاصرين لهما ، ممن تجاوز هذه النظرة السطحية ، ومن بينهم بأكونين الذي نقدهما في موقفهما من الدولة والسلطة ، مر النقد ، وقال ان مركزيتهما ورؤيتهما لدور السلطة والدولة ، ستؤدي الي خلق دولة قهرية شمولية تسلطية ، تحل محل الدولة "البرجوازية" ، وتكون بقيادة فردية ، وقد تحقق بالضبط ما قال، مما سناتي باقتباسات منه هنا.

بالمقابل ورغم ان ماركس وانجلز لم يحكما دولة ، فانهما في قيادتهما للحركات الشيوعية التي وقعت تحت سيطرتهما، مثل عصبة الشيوعيين الالمان، او جمعية الشغيلة العالمية ، او التي كانت تحت تاثيرهما، مثل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني، قد كان ينحيان

شديدا نحو المركزية والفردية والتسلط في القرار، وليس ادل من ذلك ، من حلها لجمعية الشغيلة العالمية ، وذلك عندما بدأ واضحا، ان اللاسلطويين قد بداؤا في احراز مواقع متزايدة فيها، وكانت تلك اول وآخر مؤسسة سلطوية ، يحلها الشيوعيين، في اسلوب سلطوي، ولاهداف سلطوية.

3- الموقف من التعددية الحزبية ونظام الحزب الواحد.

يشكل الموقف من التعددية الحزبية ونظام الحزب الواحد، السمة التالية المشتركة بين الفاشية والشيوعية ، اذ يشترك الطرفان في رفضها لمبدأ التعددية الحزبية، وفي تطبيقها لنظام الحزب الواحد، كالقوة الوحيدة الحاكمة، والتي لا يمكن ولا يجوز أبعادها عن السلطة، بأي وسائل مدنية وديمقراطية.

وفي الحقيقة ان الموقف من التعددية الحزبية، والميل لنظام الحزب الواحد، انما ترجع ججذوره للنظرية السياسية التسلطية والمركزية والرسالية لكلا من الفكرين والتيارين، وكذلك الي طبيعة وصولها الي السلطة، وهي طبيعة غير ديمقراطية في المقام الاول، وقائمة علي انتزاع السلطة بالقوة، في معارضة وحرب مع الاحزاب الاخري المكونة لنظام التعددية، بل وفي رفض لنظام التعددية نفسه.

وفي روسيا، حيث كان الحزب البلشفي تحت دقيادة لينين يطور افكارا وطروحات مركزية تسلطية قوية ، تتمشدق بشعار ديكتاتورية البروليتاريا، والتي قلبت في "موضوعات نيسان" ، الي ديكتاتورية العمال والفلاحين الثورية ، استولي هذا الحزب علي السلطة بانقلاب مسلح، روج له فيما بعد علي انه ثورة، واخضع السلطة للبلاشفة بقوة الحديد والنار.

ولما كانت روسيا في اثناء الفترة الانتقالية من الاطاحة بالقيصر- الي الانقلاب البلشفي، تعاني من اذدواجية السلطة ، ما بين الحكومة الانتقالية من جهة ، ومجالس العمال والجنود من الجهة الثانية ، والجمعية الوطنية التي دعي الي انتخابها من الجهة الثالثة ، فان البلاشفة قد زعموا بانهم انتصروا للمجالس، وانهم بانقلابهم قد سلموها السلطة ، تحت ظل شعارهم الشهير: كل السلطة للسوقيتات.

لكن الحقيقة تقول ان سلطة المجالس – السوفيتات – كانت شكلية ، بينما كانت السلطة الحقيقية ، في يد اللجنة التنفيذية المركزية ، واللجنة العسكرية ، وهما لجنتان كونهما الحزب

البلشفي، وكانا يخضعان بالكامل له، ولم يكن العديد من قادتها، بما فيها لينين نفسه، مندوبا في قيادة ايا من المجالس التي يتم الحديث عن تسليمها السلطة كاملة.
كما تبدي الموقف الحقيقي للبلاشفة من التعددية والديمقراطية ، تجاه الجمعية الوطنية ، والتي تمت الانتخابات لها في عام 1918 ، بعد اكثر من 6 اشهر من استيلاء البلاشفة علي السلطة ، وممارستهم للارهاب الاحزر الشهير، والتي كانت نتيجتها مخيبة لآمال البلاشفة ، حيث هزموا فيها شر هزيمة ، وتقدمت عليها حزبي: الاشتراكيين الشعبيين الشعبوي، والمناشفة ، والذين بالمناسبة لم يكونوا اقلية الا في فترة زمنية محددة في المؤتمر الذي تم فيه انقسام حزب العمال الاشتراكبي الديمقراطي الروسي، الي فسمين باوائل القرن . فما كان من لينين وصحبه، الا ان حلوا الجمعية الوطنية – البرلمان المنتخب – بجرة قلم ، ولم ينتبهوا الي الصيحات عن حكم الاغلبية ، طالما كانوا يملكوا السلطة الفعلية والسلاح، وطالما كانوا يحكموا باسم "دكتاتورية البروليتاريا"
من الجهة الاخري فقد قام البلاشفة ، بحل الاحزاب الاشتراكية واليسارية تدريجيا، بعد ان حلوا الاحزاب اليمنية والبرجوازية دفعة واحدة بعد انقلابهم ..حيث قسموا الاحزاب القائمة ، او شجعوا انقساماتها، فظهر حزب المناشفة الاممين، كما ظهر الحزب الاشتراكي الثوري اليساري، في عامي 1918، وهو العام الذي شهد حل التنظيمين الام لهذين الحزبين، وادماج التنظيمات الموالية للبلشفيك في استراتيجيتهم، والسماح لها بالعمل - اي المناشفة الاممين والاشتراكيين الثوريين اليساريين-، . ثم ما لبث الضغط ان مورس علي هذه الاحزاب الموالية نفسها، لكيما تحل نفسها وتنضم للحزب البلشفي، الامر اللذي فعلته تيارات منها عام 1921، اما البقية فقد جري حلهم وتصفيتهم، بدعوي انهم انضموا للقوي المعادية للثورة، الامر الذي جعل احد عضوية تلك الاحزاب تحاول اغتيال لينين، في تلك المحاولة الشهيرة.
اما في حالة الحزب الفاشي، فقد نظم مسيرة مسلحة اجتاحت روما، في عام 1923، واجبر البرلمان تحت تهديد السلاح ، علي تعيين موسليني رئيسا للوزراء، ثم بدأت حملات الاغتيالات والمطاردة لقادة الاحزاب الاخري، والتي لم تلبث ان تحل تدريجيا، بدءا بالحزب الشيوعي اولا، ثم الاشتراكيين، وصولا الي حل كل الاحزاب، وفرض نظام الحزب الواحد عام 1925.
قد يقول قائل ان كل هذا تاريخ قديم، ولكننا نقول له ان الاحزاب الشيوعية لم تصل الي السلطة قط، نتيجة انتخابات (ف شيلي 1970 نجح تحالف عريض بالانتخابات

الرئاسية كان الشيوعيون احد اطرافه فقط)، بل كانوا دائما يصلوا لها إما نتيجة عمل انقلاب مسلح – روسيا- ، او عبر حرب طويلة الامد- الصين – ، او عبر انقلابات عسكرية سافرة ، كما تم الامر في البرتغال، اثيوبيا، افغانستان، الخ .

وفي تلك البلدان التي استولوا علي السلطة فيها، بما قد شرحنا، فانهم فرضوا نموذج الحزب الواحد، او سمحوا لاحزاب تابعة لهم هزيلة ، بالوجود الشكلي، في ظل سيطرتهم العملية والفعلية علي كل مفاصل القرار. هذا السلطاة التي حموها بالحديد والنار والمعتقلات والأسلاك الشائكة والحوائط الفاصلة للمدن، حتي انهيار معظمهم العظيم، وتبقي القليل من ديكتاتوريتهم، والتي تكابد النزع الأخير.

ان دخول بعض الاحزاب الشيوعية للانتخابات في دول العالم الثالث، لا يعتد به ، اذ انه من قبيل التكتيك، وذلك طالما كانوا ملتزمين باطرزحاتهم النظرية الماركسية ، حول ديكتاتورية البروليتاريا، وحول الدولة كاداة للصراع الطبقي، الخ الخ من الخزعبلات الساترة للديكتاورية والشمولية والتسلط، والتي لا تستقيم لا مع الواقع، ولا مع المنطق النظري.

ان موقف الفاشية والشيوعية المشترك هنا، يجد استمراره ليس في الحركات الفاشية الضعيفة ، وانما في الاحزاب الشيوعية، وخصوصا ممن تنتهج نهج :" عصاية نايمة وعصاية قايمة" ، والذي يبرر لها استخدام الاليات الديمقراطية ، للانقضاض عليها وتحطيمها، بمجرد الوصول للسلطة ، والاستيلاء عليها .. ومن لا يصدقني فلينظر الي نموذجي كوبا وكوريا الشمالية ، "جنتا التعددية والديمقراطية والاعتراف بالآخر علي الارض".

الاختلاف بين الفاشية والشيوعية- حقيقي ام شكلي:

تختلف الشيوعية والفاشية في قضية الصراع الطبقي . فالفاشية لا ترفض الصراع الطبقي، اي انها لا تقول ان الصراع الطبقي كحقيقة موضوعية غير موجود، ولكنها لا تعتقد ان حله يتم عبر هزيمة طبقة واحلالها باخري، وانما تعتقد ان بديله هو التعاون الطبقي، في الدولة المؤسسات الجمعية والتعاونية . اما الماركسية فانها اذ تعمل لهزيمة طبقة البرجوازية ، فانها تدعو للتعاون ما بين طبقة العمال والمزارعين والبرجوازية الصغيرة، وهي اذ تتحدث كطوبيا، عن المجتمع اللاطبقي، فان كل مساهمات انجلز ولينين العملية ،كانت تتحدث عن تحالف طبقي بين العمال والمزارعين، بل ان انجلز وماركس لم يستبعدا امكانية تعويض الراسماليين، عما سيصادر منهم من وسائل انتاج، في صورة نقد سائل يدفع لهم.

ورغم هزلية التصور الاخير، اذ ان الراسمال يبتدئ تكونه من توفر النقد عند ماركس، كما اثبت في كتاب راس المال، وان الاختلاف في الدخول النقدية يؤدي عمليا الي تمركز راس المال وبروز الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، أي ان تعويض الراسماليين يؤدي لعودة الرأسمالية مرة أخرى، فان نظرية تحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة، تنزع عن الشيوعية - والماركسية - ثوريتها الاجتماعية المزعومة ، وتقربها بذلك من نظرية التعاون الطبقي الفاشية.

من الناحية الاخري، فان كل جهد انجلز ولينين، كان يقوم علي ان دكتاتورية البروليتاريا، او ديكتاتورية العمال والفلاحين، ستنفرط مع الزمن، لتؤدي لبزوغ دولة الشعب، او ما اسميت بالدولة الشعبية، والتي تبناها برنامج الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني، والذي صاغه انجلز بصورة رئيسية. ولا فرق عندنا بين الدولة الشعبية كما هي مطروحة هنا، ودولة الامة كما هي مطروحة عند الفاشيين.
في المحصلة النهائية ، فان النظامين الفاشي والشيوعي،رغم اختلافاتهما الشكلية - قد اقاما دولة تتحكم من فوق، في كامل العملية السياسية والاقتصادية ، ولم يكن لا في الاولي حكم الامة ، ولا في الثانية حكم الطبقة العاملة ، بل كان فيهما الاثنين حكم جهاز الدولة ، المسيطر عليه من قبل الحزب ، والمسيطر عليه هو ايضا من قبل النخبة الحاكمة، والتي وصفتها بعض الادبيات بالطبقة الجديدة او الطبقة الحاكمة او الطبقة الثالثة، لتوضح انها لا تعبر عن العمال ولا البرجوازية ، ولا عموم الشعب كما تزعم، وانما عن مصالحها الخاصة المتعلقة بامتيازات السلطة.

المراجع الستخدمة:

1- كتاب "العقيدة الفاشية" لبنيتو موسوليني.
2- كتاب" كفاحي" لادولف هتلر.
3- كتاب "الماركسية، الحرية والدولة" لميخائيل باكونين
4- كتب ماركس وانجلز ولينين.
5- وثائق ومواقف الحزب الشيوعي السوداني.
6- ملاحظات حول السلوكيات الشيوعية السودانية في الممارسة .

حرية الاعتقاد واللا اعتقاد حق من حقوق الإنسان ولا تقبل النزع ولا المساومة

بيان حول تكفير الحزب الشيوعي من مكتب الدراسات والبحوث بالحزب الديمقراطي الليبرالي الموحد

مدخل :

أثارت الفتوى " المسروقة" التي أصدرها تنظيم القاعدة في السودان المتخفي تحت اسم "الجماعة الشرعية للعلماء والدعاة في السودان " بتكفير الحزب الشيوعي السوداني، والتصريحات اللاحقة لتلك الفتوى من طرف تلك الجماعة، وردود الفعل السياسية والفكرية حولها من قبل مختلف التيارات، جدلا واسعا في الحياة السياسية والاجتماعية السودانية، مما يستدعى من كل حزب سياسي جاد إن يواجهها بما يليق بها من اهتمام، وبما يليق باحترام عقول أهل السودان.

فوق الشجب والتضامن:

نسجل في بداية هذا البيان شجبنا المطلق ليس فقط لبيان تنظيم القاعدة في السودان حول الحزب الشيوعي، بل مجمل نشاط هذا التنظيم ونهجه التكفيري، والذي يجب حله وتجريمه لو كانت هناك دولة دستورية ودولة للقانون في في السودان. كما نسجل تضامننا التام مع أعضاء وعضوات أعضاء الحزب الشيوعي تجاه محاولة إرهابهم بهذا النهج التكفيري الغاشم، وحرمانهم من حقوقهم السياسية التي يكفلها لهم حق المواطنة ومنطوق الدستور الانتقالي لعام 2005. كما نسجل تضامننا المطلق مع أبناء وبنات الشيوعيين والشيوعيات تجاه الإساءات الشخصية التي وجهها بيان تنظيم القاعدة لهم، أنهم " أبناء وبنات زنى" ، ونعتبر أن هذه الإساءات يجب أن تجد حسمها القانوني في ردهات المحاكم تجاه قادة هذا التنظيم الإرهابي.

إلا إن موقفنا لا يقتصر فقط على الشجب والإدانة، وإنما يحاول أن يذهب أعمق لمعالجة ظاهرة التكفير بصورة فكرية ونظرية، وتحديد المسؤولية عن قيامها وانتشارها، وكيفية مواجهته، وتحديد موقف القوى الليبرالية والديمقراطية تجاه قضايا حقوق الإنسان بما فيها حقوق الاعتقاد واللا اعتقاد، وفصل موقفنا عن المواقف الانتهازية سواء لقيادة الحزب

الشيوعي في هذا المجال، أو غيره من الأحزاب التي تحتفظ بسلاح التكفير مستترا لتستخدمه ضد خصومها في الوقت المناسب.

جذور منهج التكفير في السودان:

إن انتشار منهج التكفير في المجتمع السوداني والجرائم العدة التي تمت تحته، إنما هو الثمرة المرة لإدخال الدين في السياسة، ولممارسة التجارة بالدين والهوس الديني والدجل الطائفي الذي طالما حذر منه المتنورون من أبناء وبنات بلادنا. إن الأحزاب الطائفية وتنظيم الأخوان المسلمون والوهابيون إنما يتحملون المسؤولية الأساسية في قيام هذا النبت الضار، ولا يغير من هذا انتشار التكفير كظاهرة عالمية، إذ أن أولى محاولات التكفير قد بدأت في السودان في الخمسينات ببيان وزعته القوى الرجعية في المساجد وغيرها ودسته باسم الشيوعيين في عام 1954، يهاجم الدين الإسلامي، وينادى بحياة الشيوعية، وكان الغرض منه الفتنة السياسية وهزيمة الشيوعيين بتحريض البسطاء عليهم دينيا . وان كان كل ذلك قد تم في صورة مؤامرة ولم يجد القائمون عليه شجاعة أن يمارسوه تحت اسمهم، الا انه كان يحمل بذرة تجارة الدين القادمة.

ثم تحالفت القوى الطائفية والأخوان المسلمين في الستينات لحل الحزب الشيوعي تحت ستار التكفير ، بل وشنت الهجومات المسلحة على داره، والتي دفع ثمنها البسطاء من أهلنا الأنصار. ووافقت نفس تلك القوى على مهزلة محكمة الردة للأستاذ محمود محمد طه في 1968 ، وعملت على تقنين كل ذلك بمؤامرة الدستور الإسلامي . أن تنظيم القاعدة اليوم إنما يغترف من ذلك المستنقع الذي ولغت فيه تلك الأحزاب والقيادات منذ فجر الاستقلال وحتى اليوم.

إن الانتصار الأكبر لهذا المنهج المدمر قد كان في اغتيال شهيد الفكر الأستاذ محمود محمد طه في يناير 1985 بتهمة الكفر والردة، وهي تهم لم يكن يحتوى عليها القانون الجنائي آنذاك. إن الأستاذ محمود إذ فدى الشعب السوداني بدمه، فان قيادات تلك الأحزاب – بما فيها قيادة الحزب الشيوعي نفسه- قد كانت سلبية تماما إن لم تكن متواطئة على قتله، ذلك أن الرجل كان خصما عنيدا للتجارة بالدين وللطائفية وللشمولية الشيوعية على حد سواء.

إلا إن نظام الإنقاذ قد جعل من التكفير ممارسة منهجية، وادخله في القانون السوداني باستحداث مادة الردة في القانون الجنائي لعام 1991 ، وهي مادة استحدثت أساسا لقهر المعارضين. وكلنا نعلم إن التعذيب البشع الذي تم في بيوت الأشباح قد تم تحت الغطاء الأيدلوجي أن المعارضين وخصوصا الشيوعيين واليساريين إنما هم كفرة يحل تعذيبهم، وقد قال رئيس الجهاز من بعد نافع على نافع انه كان يريد التقرب الى الله بممارساته تلك!. ولا يزال حسن الترابي يوزع اتهامات التكفير معلنة ومضمرة في كتبه على غيره من الأحزاب، والتي يرغب أن يقودها في مستقبل الأيام للذبح كالشياه، بعد أن يقضي منها وطره في تحالفاته الانتهازية من اجل الرجوع للسلطة.

إن كل من يستنجد بأهل الإنقاذ لإيقاف موجة التكفير إنما يعاقر الوهم وسيحصد العدم. فالإنقاذ هي أم منهج التكفير الرؤوم ، وكل التنظيمات المتطرفة والإرهابية إنما هي فلذات كبدها، ترمي بها المعارضين وتحاول أن ترهب بها العالم. وكلنا نذكر تصريحات رأس النظام انه سيفتح دارفور للقاعدة في حالة التدخل الدولي. أن من يلجأ للإنقاذ للجم الحيات التي رعتها في حجرها أنما يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

إن العمل السافر لتنظيم القاعدة في السودان ونشاطه التحريضي – المسمي بالدعوي – وانخراطه في السياسة حاليا، ما كان له أن يتم بهذا الشكل المعلن لولا انه يحظي بدعم من قوى متنفذة في النظام، ولولا انه يغترف من تراث التكفير البغيض الذي تركته كل القوى الطائفية والاسلاموية وفي قلبها الأخوان المسلمين على اختلاف تياراتهم والوهابيون على اختلاف تنظيماتهم ومن سار على نهجهم دون رشد ولا إحسان الى يومنا هذا.

المعركة فكرية في المقام الأول:

أن المعركة مع تيارات التكفير لا يجب أذن أن تستند على جهاز الدولة الإنقاذي الذي رعي هذا المنهج التكفيري بالذات، والذي يتعايش معه ويتعيش عليه. كما أن المعركة لا يمكن إن تقتصر على مجرد الشجب السياسي، أو تصوير الأمر وكأنه مكايدة سياسية لا غير، وتجاهل إن قوى التكفير تكسب قلوب وعقول الشباب الغر في المقام الأول، قبل إن تدفع بهم للمحرقة كإرهابيين وانتحاريين.

إن القوى الديمقراطية والليبرالية في السودان قد تراجعت بشدة أمام تيارات التكفير، وقبلها إمام كل تيارات الإسلام السياسي، وقدمت تنازلات لا تغتفر في هذا المجال، ولم تعد عدتها أو تبذل جهدها لهزيمة هذه القوى فكريا واجتماعيا، وتقديم البديل الديمقراطي

والعلماني الآسر الذي يمكن أن يكسب قلوب الشباب، ولا تزال هذه المعركة تحتاج إلى الخوض والى كسبها.

إن بعضا من هذا التراجع تتحمل مسؤوليته قوى اليسار في المقام الأول. وفي قلبها الحزب الشيوعي السوداني . إن هذه القوى بتبنيها وإصرارها على تعاطي أيدلوجيات شمولية مغلقة عفي عليها الدهر ورفضتها الشعوب، فإنها لا تستطيع أن تخوض حوارا فكريا قويا تجاه هذه التيارات التكفيرية، كما لا تستطيع ان تقدم بضاعة فكرية مقنعة للشباب. لا غرو الآن أن هذه القوى ترفض اليوم فتح أي نقاش فكري معها، حول تناقضاتها المتعددة، وتبتز الناس بضرورة التضامن المطلق معها، على علاتها الكثيرة. كما أنها فشلت تماما في مصارعة التكفيريين فكريا، وليس غريبا أن من حلل ودحض وكشف بؤس البيان التكفيري وانه مسروق ليس من عضوية الحزب الشيوعي، وان الشيوعيين في ردودهم قد اكتفوا بنفي تهمة الإلحاد عنهم، والتي لم ينفعهم أن قالها زعيمهم من قبل، انه " ليس هناك ملحد واحد في الحزب الشيوعي" . فوفقا للإرهابيين فان الشيوعي كافر " وان صام أو صلى".

إن الاستهزاء بالحوار الفكري وقصر الأمر على انه مكايدة سياسية، والتهرب من نقاش القضايا الفكرية المتعلقة بالنظريات والمناهج والمفاهيم، إنما تشكل هروبا من ساحة المعركة الرئيسية، وهي الساحة الفكرية. كما أنها تعكس حجم الإفلاس الفكري وضيق الأفق السياسي للأحزاب اليسارية وفي قلبها الحزب الشيوعي، والذي يعجز عن معالجة أزماته وتناقضاته ويريد تحميل مسؤولياتها لشعب السودان، ويريد منا الاستمرار في النهج الانصرافي الذي أدى بوصول الاسلامويين إلى السلطة، وانتشار التكفيريين والإرهابيين في بلادنا انتشار الفطر بعد المطر.

كما إن التراجع عن دعوة العلمانية وفصل الدين عن الدولة، والانتهازية الفائقة التي تمارسها الأحزاب التي يصنفها الناس كديمقراطية أو علمانية وتراجعها حتى عن استخدام تعبير العلمانية، وعدم مناهضة البرامج والرؤى الثيوقراطية، واقتصارها على الموقف السلبي والدفاعي لنفي الإلحاد عن نفسها، بل وتبني بعض ملامح الخطاب الاسلاموي والتكفيري ذاته، إنما يوضح حجم الانهيار في هذه الجبهة، والمهام الثقال التي تنتظرنا فيها.

إن الحزب الديمقراطي الليبرالي الموحد يعد صادقا، بأن يولي قضية النضال الفكري ضد المناهج التكفيرية والإرهابية مكانا متقدما في نشاطاته، وأن يعمل على نشر الفكر المتنور والعلمي، وان يرفع راية العلمانية السياسية والاجتماعية عالية، وألا يالؤا في ذلك جهدا

حتى تحقيق النصر الكامل على كل قوى الرجعية ولظلام، وبناء السودان الديمقراطي العلماني الموحد.

شمولية الشيوعية وأزمة الماركسية والموقف من الحزب الشيوعي:
لقد فتح بيان تنظيم القاعدة في السودان الباب واسعا لمناقشة الشيوعيين السودانيين في تناقضاتهم الفكرية والسياسية، وفي تقلباتهم وانتهازيتهم السياسية، التي دفع ثمنها السودان غاليا، ويمكن أن يدفع ثمنا اغلي إذ إن معاداة الشيوعية ستكون هي الذخيرة التي سيتسلح بها الإرهابيون في حربهم على شعب السودان، والذريعة التي سيصفوا بها الصفوف ويجيشوا بها الجيوش.
إن الماركسية بلا شك هي فلسفة الحادية مادية، إذ تقوم على مبدأ أساسي هو أولوية المادة على الوعي، وتعتبر كل الوجود والوعي الإنساني حالة من حالات المادة. وهي مبنية على كامل الفلسفة المادية السابقة لها من ابيقور وحتى فيورباخ، وان كانت تعتبر نفسها متفوقة عليها وحازمة ومتماسكة في ماديتها. إن الاقتباسات البائسة التي أتى بها بيان تنظيم القاعدة عن علاقة الشيوعية بالدين هي في اغلبها كاذبة أو منزوعة من سياقها أو غير ذات صلة. ولكن من المؤكد ومن المعروف إن الماركسية فلسفة الحادية وإنها في كل مكان حكمت فيه الأحزاب الشيوعية فقد حاربت الدين والتدين من منطلق أيدلوجي وانتهكت حقوق الناس في هذا الجانب.
إن الشيوعيون عندما ينكرون الحاد الماركسية فهم يمارسون التزوير الفكري والتاريخي، وعندما يعلنون عدم إلحادهم في نفس الوقت الذي يتبنون فيه الماركسية كمنهج فإنما يمارسون التناقض . أما عندما يقول محمد إبراهيم نقد انه " ليس هناك ملحد واحد في الحزب الشيوعي " فهو إنما يمارس الكذب الصراح. إن قضية عقيدة عضو أي حزب يجب أن تصبح قضية شخصية تخضع لضمير المرء نفسه، ولكن هذا لا يمكن أن يتم حينما يتبنى الشيوعيون الماركسية بكل شموليتها العقائدية كمنهج لهم يحكم حزبهم وعضويتهم ويمكن أن يحكمنا – رغم انفنا- إذا قُدر لهم الوصول للسلطة في بلادنا.
إننا نحترم حق كل إنسان في الاعتقاد أو عدم الاعتقاد، وذلك لأن هذا يندرج في حرية الضمير وهي احدي حقوق الإنسان الطبيعية. ولو أعلن أيا من الشيوعيين أو غيره إلحادهم وتعرض للاضطهاد لهذا السبب لوجد كامل التضامن معه من طرفنا. ولكننا نرفض تبني الماركسية وإخفاء طابعها الإلحادي إلى حين كما يفعل الشيوعيون. جهلا او مكرا. ذلك أن

الشيوعيون لو ظفروا بالسلطة فسوف يمارسون إرهابهم القديم وسيعتدون على حقوق المتدينين كما فعلوا في كل البلاد التي وقعت تحت حكمهم وكما يفعلون اليوم في كوبا وفيتنام والصين. إن رفضنا للماركسية لا ينبع من أنها ملحدة فهذا شأنها، ولكن من جهة أنها تجعل من الإلحاد عقيدة تفرضها بالقوة في حالة انتصارها، وفي هذه الحالة فهي لا تختلف البتة عن منهج التكفيريين والشموليين العاملين باسم الدين .

كما أن رفضنا لشمولية الماركسية والشيوعية يمتد لقمعها للديمقراطية والحقوق الطبيعية للبشر. إن الشيوعية في النظرية تعتبر نظاما شموليا مغلقا لا يعترف بالآخر ويعمل لإنشاء ديكتاتورية البروليتاريا تحت نظام الحزب الطليعي. وفي الممارسة فقد كانت جحيما للبشر وسجنا كبيرا للشعوب ومسلخة ضخمة قتل تحتها الملايين. إن الشيوعية قد وصلت للسلطة دائما بالقوة والعنف والتآمر. أن شعب السودان لا يستحق أن تحكمه مثل هذه الشمولية الكاسحة ولا أن يركبه حزب لا يقطع مع هذا التاريخ الشمولي الإجرامي البغيض. أن انتهازية الشيوعيين وزعمهم أنهم يتعاملون مع الماركسية نقديا يكذبه احتفاظهم باسمهم الشيوعي وتبنيهم للماركسية كمنهج وتمجيدهم لا يزالون للشيوعية العالمية وعدم قطعهم مع تاريخها الدموي ولا تاريخهم الانقلابي الخاص .

لقد دعونا الحزب الشيوعي مرارا وتكرارا إلى نقض ها التاريخ الدموي والى التخلص من هذه الأيدلوجية الشمولية ، حرصا عليه وعلى عدم إهدار نضالات عضويته وحرصا على شعب السودان في المقام الأول. ولكنه فضل طريق الانتهازية والاستهبال السياسي والمكابرة بالإثم. اليوم وتحت تأثير الإرهاب فأن قادة الشيوعيين يمكن أن يخضعوا ويغيروا اسم حزبهم وأيدلوجيتهم. ولكنهم سيفعلون ذلك لا عن اقتناع وإنما تقيةً ونفاقاً. وسيكون هذا انتصارا للإرهابيين من جهة، واستمرارا للشمولية الشيوعية المستترة في صفوفهم من جهة أخرى. إننا لا يمكن أن نقبل هذا السيناريو البغيض ونحمل مسؤولية الوضع الحالي كاملة لقيادة الحزب الشيوعي التي نطالبها بتحمل مسؤوليتها التاريخية والاستقالة مفسحة المجال لشباب غير مثقل بإسقاطاتها لكيما يجترح آفاق التغيير المنشود.

في هذا الصدد نعلن أننا لن تكون طرفا في أي جبهة للاستنارة يكون عضوا فيها الحزب الشيوعي بقيادته الحالية الانتهازية، ناهيك عن أن يقودها كما ترتفع بعض الأصوات. إن الشيوعية في نظرنا لا علاقة لها بالاستنارة وإنما هي نظرية ظلامية من نوع آخر. إننا سنعمل مع كل قوى الاستنارة الحقيقية وكذلك مع التقدميين والإصلاحيين والديمقراطيين من الشيوعيين لمواجهة نهج وتنظيمات التكفيريين . ولكننا لسنا على استعداد إطلاقا

لجعل قضية النضال من اجل العلمانية وضد التكفيريين مطية للانتهازيين من قيادة الحزب الشيوعي لتحقيق كسب سياسي عاجل أو الحصول على دعم مجاني لقيادتهم الأبدية والشمولية.

الصادق المهدي مع تقنين التكفير:

في البيان الذي أصدره الصادق المهدي بمناسبة هذا الحدث، دعا الصادق المهدي إلى تقنين التكفير، أي أن يتم وفق محاكم وبناءا على اتهامات محددة، وقال تحديدا : ((هذا الموضوع ينبغي تداركه بسرعة، وتجريم التكفير والتخوين سداح مداح الذي نعانى منه الآن على أن يكون القرار في هذه الأمور لمحاكم مؤهلة وعبر اتهامات محددة)). - صحيفة أجراس الحرية 2009/9/1

أن هذا الموقف للصادق المهدي الذي يرى أن تخضع قضايا الضمير وحرية العقيدة لسلطة المحاكم، ويرى إن تقدم منها الاتهامات لمحاسبة الناس على أفكارهم وعقيدتهم، إنما هو استمرار لموقفه القديم الذي جعله يساهم في حل الشيوعي في الستينات تحت تهمة التكفير. والذي جعله يرفض قرار المحكمة الدستورية في هذا الصدد، والذي جعله يقول لصحيفة اتحاد جامعة الخرطوم التي كان يسيطر عليها الإخوان المسلمين في الثمانينات إن حل الحزب الشيوعي يمكن أن يتكرر.

إن التكفير لا يرجع للصادق المهدي نفسه فحسب. فقبل قرن وربع كتب جده الأكبر الإمام محمد احمد "المهدي" إن " من شك في مهديته فقد كفر" . ولقد كان تاريخ حزب الأمة بقيادة الطائفيين في اغلبه مرتبطا بتكفير الخصوم واستخدام التحريض الديني لممارسة العمل السياسي. ولا يزال الكثيرون يذكرون كيف دفع الصادق وأسرته بأهلنا الأنصار في معارك دامية مختلفة بعضها انتحارية بدعوى الدفاع عن الدين تجاه الكفرة الملحدين، وما كانت إلا معارك للكسب السياسي وبناء مجد الأسرة والقائد الطائفي.

إن موقف الصادق المهدي الحالي، وقبلها موقفه الهزيل وغير الواضح من جرائم مثل اغتيال الشهيد محمود محمد طه والشهيد محمد طه محمد احمد وغيرها، إنما توضح إن الصادق المهدي يظل احتياطيا استراتيجيا لقوى التكفير في السودان. وانه مستعد لإشهار سلاح التكفير في أي لحظة يشعر فيها أن الأمر مناسب له أو إن مواقعه في خطر. في الحقيقة يتأكد لنا بموقف الصادق المهدي الحالي الرابط الخفي الذي يجمع بين قوى التكفير القديمة والجديدة،

وأنها في المحصلة تقف في معسكر واحد – وان اختلفت الأدوات – في مقابل قوى الاستنارة والتغيير وعموم أهل السودان.

هجوم التكفيريين على الديمقراطيين والليبراليين:

تعرض التكفيريون بمنهجهم الأخرق لقضايا الديمقراطية والليبرالية ، كما شمل تكفيرهم الليبراليون والديمقراطيون في السودان، حيث ورد عنهم في الصحف أن جماعتهم تصنف ((على أنها جماعة تكفيرية، تعمل في مواجهة أنصار الديمقراطية لليبرالية والشيوعيين والاشتراكيين)) . وقال أمينهم العام علاء الدين الزاكي: ((وقال إن الحزب الشيوعي السوداني نهجه يصادم ويطعن في الشريعة الإسلامية، كما أن الديمقراطيين الليبراليين يقولون إن الحكم للشعب وليس لله، كما أنهم لا يؤمنون بالغيبيات، وأضاف "لذلك نحن ضدهم".)) – الشرق الأوسط 2009/8/24.

إن الخلط بين الشيوعيين والديمقراطيين الليبراليين لا يدل إلا على جهل عظيم لهذا الأمين العام التكفيري. كما إن تكفير الديمقراطية والديمقراطيين على أساس أنهم يدعون لحكم الشعب وليس لحاكمية الله إنما هو لغو وتخليط تجاوزه الزمن ولم يبق إلا في العقول المتحجرة الخارجة من كهوف التاريخ. فالديمقراطية الليبرالية أصبحت خيارا لكل الشعوب الحرة المتنورة، ومبدأ الحاكمية "الإلهي" المزعوم قد افتضح منذ أن كان يحكم به بابوات الكنيسة وامبراطوريي اوروبا في القرون الوسطى وحتى تفسخه وظهوره كغطاء رقيق للشمولية الفظة والحكم الفردي المطلق والجهالة الكاملة كما تجلي في ولاية الفقيه وفي حكم الجهلة والظلمة من أهل طالبان وغير طالبان.

إننا كجزء من الديمقراطيين الليبراليين السودانيين نقول أننا مع حكم المواطنين لا حكم الطغاة، ولو كان مستترا باسم الدين أو اسم الطبقة. وأننا نطرح برنامجنا للناس وهم من يحكمون عليه، وان مرجعيتنا هم المواطنين لا مجموعة من الجهلة والإرهابيين تريد إن تمارس التسلط باسم الله والدين. ولو كنا نخضع لهؤلاء لخضعنا لاخوانهم الحاكمين حاليا، والذين بعد عشرين عاما من حكمهم رضوا من الغنيمة بالإفلاس الأخلاقي التام والخسران الفكري المبين.

ونقول إننا لسنا مثل الشيوعيين ولا نقبل الابتزاز ولا التنقيب في ضمائرنا، ففينا من يؤمن بالغيبيات ومن لا يؤمن بها، وهذا خيار حر للإنسان ولا نتدخل فيه وقد اقره الدين نفسه، كما أقرته الفطرة السليمة وكل تراث البشرية وهي تخرج من حياة الغاب لحياة

العمران والتعايش الاجتماعي حيث لكل دينه ومذهبه وحقه في الاختيار. ونحن لا نفتش في قلوب وضمائر الناس ونرفض أن يفتش احد في قلوبنا وضمائرنا . ونحذر التكفيريين للمرة الأخيرة أن من يلعب بالنار يحترق بها، ومن يقاتل بالسيف يموت بحده، وان أي يد لهم سترتفع لتحويل أفكارهم البغيضة إلى فعل ستجد الرد الحاسم عليها من قبل أهل السودان وقواه الديمقراطية.

حرية الاعتقاد واللاعتقاد في أطروحات الديمقراطيين الليبراليين:

إننا حرصا على الشفافية وردا على أطروحات الإرهابيين وإبرازا لموقف حزبنا وتمسكه بالقيم الكلية لحقوق الإنسان والمواطن، نعلن أننا نقف مع ضمان حرية الاعتقاد واللا اعتقاد كحقوق طبيعية للبشر ولأهل السودان. ذلك أننا نرى إن ((حرية اللا إعتقاد والتبشير به تعادل حرية الإيمان والدعوة له، كلتا الحريتان متساويتان في المكانة متعادلتان في الثقل في ميزان حقوق الإنسان. الإيمان واللا إعتقاد كلاهما خيار و مذهب في الحياة، وليس في مقدور أيّ منهما القضاء على الآخر، كلاهما باق على ظهر الحياة لأنه يعتاش ويتطفل على"الغذاء" الذي تقدمه له مائدة الآخر: ليس أمامهما حل للنزاع الأبدّي غير التعايش السلمي واقتسام"فضاء الضمائر")).كما كتب بحق الأستاذ عثمان محمد صالح .

كما إننا ندعو لدولة علمانية على النمط الليبرالي، وهي دولة لا تقوم على أساس الدين، بل على أساس المواطنة وفصل الفضائيين الديني والسياسي رمن بعضهما البعض. وفي نفس الوقت ليست هي دولة الحادية، أي دولة تفرض الالحاد عقيدة رسمية لها كما في النموذج الشيوعي. كل من النموذجين الثيوقراطي والشيوعي مرفوضان بالنسبة لنا، لأنهما يتعارضان مع حرية الضمير وحرية الفرد في اختيار ما يعتنقه . هذه الدولة هي دولة محايدة دينياً تعنى بتنظيم شؤون مواطنيها الدنيوية وفي حدود التفويض الممنوح لها ديمقراطيا وتساوي بين المواطنين ولا تتدخل في عقيدتهم وعلاقتهم بالغيب أن كانت إيمانية أو رفضية.

إننا نرى إن هذه الدولة ستكون الأقرب لمواطنيها، من أطروحات الإخوة الأعداء، الثيوقراطيين والشيوعيين. كما نرى أنها الأضمن لحرياتهم بما فيها الحريات الدينية والحريات الفلسفية والحريات العلمية. إن هذه الدول لا تتدخل لتدعم رأيا فلسفيا أو دينيا أو علميا ضد آخر، وإنما تتيح حرية الضمير والتفكير والبحث والتعبير للجميع، و ((لا تقمع

التنافس بين الأديان المختلفة و بين الإيديولوجيات المتصارعة ، بل تقتصّر مهمتها على المحافظة على الطابع السلمي للتنافس و الصراع)) .
إن هذا الموقف يدفعنا إذن للتضامن مع فرادى الشيوعيين وأسرهم وأبنائهم وبناتهم تجاه أي محاولات للإرهاب تجاههم، وتجاه إساءتهم، باعتبارهم مواطنين لهم حقوقهم الإنسانية والدستورية . كما نعلن التزامنا هنا بدعم حق كل إنسان في الاعتقاد أو اللا اعتقاد، باعتبارها من القيم الأساسية لحزبنا والتي لا نقبل التراجع عنها تحت تأثير الإرهاب ولا نساوم فيها من اجل مكسب عابر .

مكتب الدراسات والبحوث
الحزب الديمقراطي الليبرالي الموحد

2009-9-8

الفصل الرابع

وصية عبد الخالق مجبوب الأخيرة

محمد إبراهيم نُقُد وإخفاء وصية عبد الخالق محجوب الاخيرة

رسالة الي محمد ابراهيم نقد بعد خروجه للعلن
أما آن لك ان تطلق سراح وصية عبد الخالق محجوب الاخيرة ؟

السيد محمد ابراهيم نقد

تحية طيبة،

في البداية اسمح لي ان اهنيك علي صحتك الطيبة ونفيك ان تكون مريضا، وارجو ان يتسع صدرك لقراءة هذا الخطاب والرد عليه بصورة عملية!

في 28 يوليو 1971 اعدم الشهيد عبد الخالق محجوب، عن عمر ناهز ال 44 ربيعا، هي كل ما عاش، وضاع قبره في الفلاة، وبقيت تركته الفكرية وسيرته النضالية تحرك الاعجاب والكراهية، حسب موقع الناظر اليها في خريطة الصراعات الفكرية والسياسية السابقة والحالية والقادمة، ورغم ان الخطوط العامة لاسهام عبد الخالق محجوب في التاريخ السوداني موثق ومسطر، الا انه تظل هناك ضرورة قصوي لتجميع اعماله المتفرقة والمتعددة، واعادة نشرها، وذلك بغرض التوثيق اولا، وبغرض دراستها نقديا ضمن تطور الفكر السوداني ثانيا، الامر الذي لم تقوموا به، بحسبانكم تدعوا الانتساب الي تاريخ وفكر ذلك الرجل العظيم.

في هذا تهمنا بصورة خاصة ما اطلق عليه وصية عبد الخالق محجوب السياسية، وهي الاوراق الاخيرة التي كتبها بعد اندحار انقلاب 19 يوليو، وقبل اعتقاله، والتي كان يعلق عليها اهمية قصوي، حيث تقول عنها الاستاذة سعادة ابراهيم احمد :" استدعى عبدالخالق أحد أقاربه – طه الكد – الى مكان اختفائه وأملى عليه أشياء كثيرة منها

مايخص الحزب ومنها ماهو شخصى وأوصاه على أولاده . وبعد ذلك تم القبض عليه واعدامه . وقد اتصل طه الكد بالحزب وسلمه الأوراق التى تتضمن الأشياء التى أملاها عليه عبدالخالق" (سعاد ابراهيم احمد ، لقاءصحفي مع جريدة "ظلال" بتاريخ 23 ديسمبر 1993، نقلا عن موقع omdurman.us)

ويكتب الخاتم عدلان: "هناك أوراق هي بمثابة الوصية السياسية، كتبها عبد الخالق في الأيام الثلاثة التي قضاها بأبي روف، وسلمها لطه الكد، إبن خالته، الذي آواه عندما أغلق البعص الباب في وجهه كما قال هو لطه. طه لم يكن شيوعيا، كان إسلاميا في الحقيقة، ولكنه كان معاديا للإخوان المسلمين، وكان معاديا للشيوعية صديقا للشيوعيين. وكان شاعرا وكاتبا، وكان بطلا من شعر راسه إلى أخمص قدميه. قال لعبد الخالق عندما طرق الباب: هذا بيتك ياعبد الخالق: الله الله!! ولكنا يجب أن نبحث عن سلامتك، ودبر له بيتا آخر وقام على خدمته بنفسه، محترما في نفس الوقت حاجته للخلوة والتسجيل. وقد سلمه عبد الخالق الأوراق وطلب منه ألاّ يقرأها. وعندما سألته بعد ذلك بسنوات: هل قرأتها يا طه؟ قال لي: أنا ابوك ياحسين، انا أحنث بالقسم،أنا أخون الأمانة؟

سلم طه هذه الأوراق، والتي لا بد أنها تتعلق بحركة يوليو، إلى الاستاذ محمد إبراهيم نقد، بعد ترتيبات معقدة وطويلة. ولا أعرف إن كان شخص آخر قد اطلع عليها أم لا. إنني أناشد الاستاذ نقد، وقد مر كل هذا الزمان، وهو المهتم هذا الإهتمام الكبير بالتوثيق، أن يفرج عن هذه الاوراق. وللحقيقة سألت الاستاذ نقد عنها ذات مساء، فقال أنها موجودة ولم يزد." (الخاتم عدلان، مساهمة في النقاش بموقع سودانيزاونلاين. كوم)

انه من المفجع للحقيقة ولذكرى الشهيد عبد الخالق محجوب، انه بعد حوالي 34 عاما من كتابة تلك الوصية، فان القائمين علي امر الحزب الشيوعي وحضرتك شخصيا تتستروا عليها ولا تكشفوها للملأ، في احتقار لا يضاهي لرغبة عبد الخالق، ولسيرته ولارثه، وفي صفعة مؤلمة للحقيقة التاريخية، وفي تجاهل لا يضاهي لحق الشعب السوداني في المعلومة، وفي ممارسة كريهة قميئة في المحصلة، لا يبدو فيها اي شئ من الاخلاص لسيرة ذلك الرجل العظيم، وانما بها الكثير من استغلال النفوذ والتامر علي الحقيقة والاستهبال علي الناس!

انني اتسائل هنا، أين هو موقف الرجل العظيم الاستاذ المرحوم طه الكد، والذي اوصل الامانة رغم الصعوبات، ولم يسمح لنفسه بالاطلاع عليها، رغم انه لم يكن شيوعيا وانما معاد للشيوعية، من موقف رجل مثل حضرتك، بني كل مجده السياسي علي ارث عبد الشهيد الخالق، ولا يزال يجتر سيرته العطرة ويحاول احتكارها، وفي نفس الوقت يعتقل وصيته الاخيرة لعشرات السنين، كما اعتقل ستالين لعشرات السنين وصية لينين الاخيرة، ولم تنشر الا بعد وفاته في المؤتمر العشرين للحزب السوفيتي في عام ؟1956.

ان هذه الوصية امر لا يخص الحزب الشيوعي وانما كل الشعب السوداني، ومن واجب كل مواطن سوداني الاطلاع عليها، من هنا فإننا ندعوك الي نشر وصية الشهيد عبد الخالق الاخيرة، اليوم وليس غدا، ونحذر من محاولة اعدامها او محاولة تزويرها، وهو امر لن نستغربه من المخفيين للحقيقة طوال عقود، ولكنها ستكون محاولة فاشلة، فالحقيقة هي كالعنقاء ، تنهض من الرماد لو احرقت، ويبقي قدر الانسان هو الاختيار: تسجيل الحقيقة وتمليكها للناس والتاريخ في احلك الظروف كما فعل الشهيد عبد الخالق محجوب في تلك الايام الماساوية، ام التكتم عليها واخفائها عن الناس 34 عاما والحلم بالذهاب بها الي القبر، كما يفعل محمد ابراهيم نقد؟

مع الاحترام،
عادل عبد العاطي

وصية عبد الخالق محجوب المخفية ومسؤولية المؤرخ
(حوار مع الدكتور حسن الجزولي)

مقدمة:

مما لا شك فيه ان قضية الاوراق الاخيرة التي كتبها الشهيد عبد الخالق محجوب في مكان اختباءه في ابي روف في يوليو 1971، في الفترة ما بين 22 يوليو ، اي بعد انهزام انقلاب هاشم العطا، و27 يوليو، وهو يوم اعتقال عبد الخالق، وهي التي عرفت بوصية عبد الخالق محجوب السياسية الاخيرة، تكتسب اهمية تاريخية خطيرة، كونها تتعرض اساسا لدور الوثائق التاريخية في الحياة العامة، وللنزاهة السياسية والشرف الانساني، المتعلق بمن تصل هذه الوثائق في يدهم، وكونها تتعلق بفترة واحداث لا تزال تجرجر بذيولها في حياتنا الاجتماعية والسياسية والفكرية.
وقد سبق لي ان تداخلت في الامر، عبر الرسالة المفتوحة الي وجهتها لمحمد ابراهيم نقد عن المسالة، عقب خروجه للعلن، والموسومة : رسالة الي محمد ابراهيم نقد بعد خروجه للعلن: أما آن لك ان تطلق سراح وصية عبد الخالق محجوب الاخيرة ؟، والتي كتبتها ونشرتها في 12 ابريل السابق، والتي لم تجد لها ردا حتي اليوم، ولا اعتقد انها يمكن ان تجد ردا غير القدح والذم في مجرد فكرة السؤال، من طرف الموجهة اليه، ومن طرف بعض اتباعه، ممن يجعلوا من البشر اصناما يعبدونها، في طوطمية جديدة، وفي ذهول عن الواقع الدامغ وعن الوثائق والشهادات المتواترة وعن حقائق التاريخ المرة
في هذا الاطار فقد اتيح لي ان اقرأ اخيرا اشارة الي هذه القضية، في الفصل المعنون:(في علايل ابروف) ، وهو فصل من كتاب تحت الطبع للاستاذ حسن الجزولي عن الشهيد عبد الخالق محجوب، تم فيه تناول القضية، وسردت فيه لاول مرة شهادة محمد ابراهيم نقد عن الامر، والذي وصف وجود تلك الاوراق والوصية بالاسطورة، الامر الذي يوجب علينا – احتراما للحقيقة وتوثيقا للتاريخ وتقديرا لسيرة عبد الخالق – ان نناقش الامر مرة اخري، في حوار مع الاستاذ حسن ومنهجه، عسي ان نزيل بعض الغبار، عن هذه القضية الشائكة والخطيرة.

توثيق الدكتور حسن الجزولي:

يقول د. حسن الجزولي في الفصل المشار اليه آنفا:
"وبهذا الصدد فإن ثمة حديثاً ظل متداولاً فى أروقة الحزب بصورة غير رسمية عما يسمى (بوصية عبد الخالق)، ومحواه أن عبد الخالق كتب بعض الملاحظات فى كراسة قام طه الكد، فى وقت لاحق، بتسليمها لمحمد ابراهيم نقد الذى انتخب سكرتيراً عاماً بعد إعدام عبد الخالق، وذلك حين التقاه طه فى مخبئه لأجل هذا الغرض. غير أنه لم يصدر عن قيادة الحزب ما يشير لهذه الكراسة. بل لقد أبدى كل من استفسرته عنها من القياديين دهشته نافياً نفياً قاطعاً معرفته أو حتى سماعه بها! فقد أشار التجانى الطيب إلى أنه لا علم له "بأية وصية مكتوبة من عبد الخالق سلمت بصورة أو بأخرى لمركز الحزب" 148. كما نفى يوسف حسين، عضو السكرتارية المركزية، علمه بأية وصية من عبد الخالق، سواء كانت كتابة أو شفاهة 149.
على أن للخاتم عدلان، أيضاً، إفادة مغايرة يؤكد من خلالها أن عبد الخالق سلم أوراقاً لطه طالباً منه ألا يقرأها "وعندما سألته بعد ذلك بسنوات: هل قرأتها ياطه؟ قال لى: أنا أبوك يا حسين! أنا أحنث بالقسم؟! أنا أخون الأمانة"؟! 150 ويضيف الخاتم أن طه قام بالفعل، بعد فترة من الأحداث، بتسليم تلك الأوراق إلى نقد وهو مختفى، و".. سألته شخصياً عنها فأكد لى أنها موجودة معه"! 151
لكن محمد ابراهيم نقد، السكرتير العام للحزب، ينفى "قصة الوصية" جملة وتفصيلاً، بل ويؤكد أنها "محض أسطورة .. عبد الخالق لم يكتب شيئاً ولم يكلف طه بحمل أية رسالة إلى قيادة الحزب، كتابةً أو شفاهة، وربما اختلط الأمر لدى البعض، فطه قد سلمنا بالفعل كراسة .. ولكنها الكراسة التى تحتوى على إفادته هو نفسه، أى طه، عن الأيام التى لازم خلالها عبد الخالق بأب روف"! 152
ومن جانبه يفيد كمال الجزولى الذى ربطت بينه وبين طه علاقة صداقة خلال السنوات التى أعقبت عودة كمال من الاتحاد السوفيتى فى أغسطس عام 1973 وحتى وفاة طه فى ديسمبر عام 1977م، قائلاً: "لا أستطيع بالطبع أن أنفى أو أؤكد فأنا لم أكن حاضراً تلك الأحداث. لكن طه حدثنى كثيراً، وفى مناسبات مختلفة، عن وقائع تلك الأيام. وأذكر أن أطول تلك الأحاديث، وأكثرها استفاضة وتفصيلاً، كانت بعد يومين تقريباً من هزيمة حركة الثانى من يوليو عام 1976م بقيادة محمد نور سعد. وكنا عدنا سوياً، فى الظهيرة، إلى أم درمان بعد أن قضينا بعض الوقت مع بعض الأصدقاء فى زيارة اجتماعية إلى منزل

الكاتبة خديجة صفوت بمنطقة العمارات بالخرطوم، فعرج معى إلى منزلنا بحى بانت جنوب أم درمان، حيث تناولنا الغداء، وأمضينا الساعات التالية، حتى أول المساء، وهو يحدثنى عن أدق تفاصيل تلك الفترة التى كان خلالها لصيقاً بعبد الخالق بأب روف. وأخبرنى فى النهاية بأنه قد ضمن كل ذلك فى (كراسة) سلمها للحزب فى وقت لاحق. لكنه، على كثرة التفاصيل والاستطرادات التى أوردها فى حديثه، والزمن الطويل نسبياً الذى استغرقته مؤانستنا، لم يذكر لى أى شئ عن (كراسة) أو وصية أو رسالة أو مذكرة طلب إليه عبد الخالق تسليمها للحزب"153.

أما سعاد ابراهيم احمد، عضو اللجنة المركزية، فتقول إنها لم تطلع على وصية من عبد الخالق، وإن أحداً لم يثر أمرها معها وسط الضغوط والمهام التى كانت تواجه الكادر القيادى فى تلك الفترة! إلا أنها تشير إلى أن عبد الخالق ".. ربما يكون قد رتب بعض الأمور التنظيمية ومن بينها مسألة القيادة ، فقد كان يكن احتراماً عميقاً وثقةً فى شخصية قاسم أمين، ومن الممكن أن يكون قد أشار إلى ذلك فى تلك الرسالة"! 154

ومع أن سعاد لم تؤكد أو تنف وجود تلك الوصية، إلا أن إفادتها تضمنت (إيحاءً) فى غاية الخطورة ، ومن شأنه أن يثير جدلاً واسعاً وأسئلة مقلقة. فهل الحزب قائم، من حيث بنيته الفكرية والتنظيمية، على المؤسسية أم على شئ آخر؟! وهل يعقل أن عبد الخالق الذى وهب عمره لقضية التغيير الاجتماعى التى تعتبر فى مضمونها من أوثق القضايا بمفاهيم الحداثة، يمكن أن يكون قد (أوصى) بأن تؤول القيادة من بعده لشخص محدد؟!

وفى شأن "الوصية"، تؤكد فائزة أبو بكر عضو فرع الحزب بأبروف ضمن إفادتها للكاتب بأن عبد الخالق وقبل انتقاله لمنزل الثالث والأخير الذي تم أعتقاله منه قد أودع لديها (قصاصات) صغيرة الحجم تشير فائزة إلى أنها ربما تكون ملاحظات مهمة حرص على تسجيلها في فترة اختفائه بأبروف، ثم تضيف: "للأمانة لم أطلع عليها، وبعد فترة من تلك الأحداث قمت بتسليمها للمرحوم طه الكد"!

بهذه الإفادة لفائزة فإن قصة (وصية عبد الخالق) تزداد غموضاً ضمن مجمل أحداث تلك الفترة على ماهى عليه من تعقيد وإرباك! فبينما يشير الخاتم عدلان إلى أن طه قد أكد له أن عبد الخالق سلمه كراسةً طالباً منه أن لا يطلع عليها، وأنه سلمها نقد فيما بعد حسب رغبة عبد الخالق ، فهاهي فائزة تشير إلى أن (قصاصات) أخرى كانت بحوزة عبد الخالق قامت هي فيما بعد بتسليمها طه الكد ! السؤال هو أن افترضنا صحة رواية طه للخاتم بأنه سلم كراسة أستلمها (يداً بيد) من عبد الخالق وأودعها نقد، فهل تكون تلك

(القصاصات) التي سلمتها فائزة لطه فيما بعد ضمن تلك الكراسة؟! ولماذا لم يشر طه الكد إلى ذلك في حديثه للخاتم عدلان؟! وإن لم يكن الأمر كذلك، فما هو إذن مصير تلك القصاصات التي سلمتها فائزة إلى طه الكد، حسب إفادتها؟! "

(د. حسن الجزولي: فى علايل "اب روف"! فصل من كتاب توثيقى تحت الطبع بعنوان: "عنف البادية .. وقائع اللحظات الأخيرة فى حياة السكرتير العام للحزب الشيوعى السودانى"، نشر بموقع سودان للجميع الالكتروني)

حسن الجزولي وشهادة الخاتم عدلان:

اول ما يلفت نظرنا في كتابة د. حسن الجزولي، هو ما اتي به عن شهادة الاستاذ الراحل المقيم الخاتم عدلان، حول موضوع الوصية، وكونه أتى به مبتورا، علي اهمية تلك الشهادة، ولا اعلم الحكمة في ذلك، والدكتور حسن يؤلف كتابا، يطمح به الي التوثيق لتلك الايام، فاذا كان البتر مقنعا في مقال، فهل يكون مقنعا في كتاب؟

وهنا، لمصلحة التوثيق، نأتى بما كتبه الراحل المقيم الخاتم عن الامر، حيث كتب:

"هناك أوراق هي بمثابة الوصية السياسية، كتبها عبد الخالق في الأيام الثلاثة التي قضاها بأبي روف، وسلمها لطه الكد، إبن خالته، الذي آواه عندما أغلق البعص الباب في وجهه كما قال هو لطه.

طه لم يكن شيوعيا، كان إسلاميا في الحقيقة، ولكنه كان معاديا للإخوان المسلمين، وكان معاديا للشيوعية صديقا للشيوعيين. وكان شاعرا وكاتبا، وكان بطلا من شعر راسه إلى أخمص قدميه. قال لعبد الخالق عندما طرق الباب: هذا بيتك ياعبد الخالق: الله الله!! ولكنا يجب أن نبحث عن سلامتك، ودبر له بيتا آخر وقام على خدمته بنفسه، محترما في نفس الوقت حاجته للخلوة والتسجيل. وقد سلمه عبد الخالق الأوراق وطلب منه ألأ يقرأها. وعندما سألته بعد ذلك بسنوات: هل قرأتها يا طه؟ قال لي: أنا ابوك ياحسين، انا أحنث بالقسم،أنا أخون الأمانة؟

سلم طه هذه الأوراق، والتي لا بد أنها تتعلق بحركة يوليو، إلى الاستاذ محمد إبراهيم نقد، بعد ترتيبات معقدة وطويلة. ولا أعرف إن كان شخص آخر قد اطلع عليها أم لا. إنني أناشد الاستاذ نقد، وقد مر كل هذا الزمان، وهو المهتم هذا الإهتمام الكبير بالتوثيق، أن

يفرج عن هذه الاوراق. وللحقيقة سألت الاستاذ نقد عنهاذات مساء، فقال أنها موجودة ولم يزد."
(الخاتم عدلان، مساهمة بمنبر الحوار بموقع سودانيز اونلاين.كوم، 28 فبراير 2004)

وكذلك اتي الخاتم عدلان بالشهادة التالية:
"وعلى كل حال أعتقد أن عبد الخالق كتب ذلك في وصيته التي سلمها طه الكد، بعد إجراءات تأمينية مرهقة، إلى سكرتير الحزب الحالي، الاستاذ محمد إبراهيم نقد. وقد طالبت في موضع آخر من هذا البورد بكشف هذه الوصية بعد ثلاثة وثلاثين عاما من كتابتها، وهي وصية واجبة النفاذ وواجبة الكشف للحزب، أولا، ثم للشعب كله، ولكن، وحكما بما حدث حتى الآن، فإن هذا لن يحدث لأن الاستاذ نقد لا يواجه بأي ضغط من داخل حزبه، مهما كانت درجته."
(الخاتم عدلان، مساهمة بمنبر الحوار بموقع سودانيز اونلاين.كوم، 18 مايو 2004)

هذه الشهادة مركزية، ولا يمكن ان يقوم عمل توثيقي ببترها واختزالها، وهي تتناقض تماما مع شهادة محمد ابراهيم نقد، وقد طرح الخاتم شهادته الاولي قبل اكثر من عام من وفاته، والثانية قبل حوالي العام من اليوم، ولم يجد الامر نفيا وقتها، فان يحاول البعض الان التشكيك في شهادة الرجل بعد وفاته، فهذا مما يدلل عليهم وعلي مصداقيتهم..
من جانبي اقول ان الخاتم عدلان الان هو في رحم الغيب، ولكن لو وضعت لي شهادة محمد ابراهيم نقد في كفة، وشهادة الخاتم عدلان في الكفة الاخري، لرجحت عندي شهادة الخاتم بلا منازع، فالخاتم معروف عنه الصدق والمبدئية، وقد دافع - بعد خروجه من الحزب الشيوعي وتخليه عن الماركسية - عن تراث عبد الخالق محجوب ومنهجه دفاعا مجيدا، بل ودافع عدة مرات عن القيادة الحالية للحزب الشيوعي بما فيها محمد ابراهيم نقد، عندما تعرضت لاتهامات بتامرها علي حياة عبد الخالق محجوب وقيادات اخري، دفاعا لم يقدر عليه احد من منتسبي الحزب الشيوعي.

ويكتب الدكتور حسن الجزولي ضمن اقواله عن هذه الشهادة وغيرها:
"فبينما يشير الخاتم عدلان إلى أن طه قد أكد له أن عبد الخالق سلمه كراسةً طالباً منه أن لا يطلع عليها، وأنه سلمها نقد فيما بعد حسب رغبة عبد الخالق ، فهاهي فائزة تشير إلى

أن (قصاصات) أخرى كانت بحوزة عبد الخالق قامت هي فيما بعد بتسليمها طه الكد ! السؤال هو أن افترضنا صحة رواية طه للخاتم بأنه سلم كراسة أستلمها (يداً بيد) من عبد الخالق وأودعها نقد، فهل تكون تلك (القصاصات) التي سلمتها فائزة لطه فيما بعد ضمن تلك الكراسة؟! ولماذا لم يشر طه الكد إلى ذلك في حديثه للخاتم عدلان؟! "
(حسن الجزولي – مرجع سابق)

من الواضح ان هذه الفقرة تحمل افتئاتا كبيرا علي علي الخاتم عدلان، ليس له من تبرير لمن اراد ان يكون مؤرخا، كالدكتور حسن الجزولي، ففي الفقرات اعلاه التي نقلناها عن الخاتم، والتي اعتمد دكتور حسن علي جزء منها، لم يستخدم الخاتم كلمة كراسة مطلقا، بل تحدث عن اوراق، فكيف تحولت الاوراق التي تحدث عنها الخاتم الي كراسة، يتم تكرار مفردتها ثلاثة مرات، مما ينفي امكانية السهو، وخصوصا ان الامر فيه مجادلات، اساسها هل الامر اوراق ام كراسة ام قصاصات.
لم يتحدث الخاتم عدلان مطلقا عن كراسة، ولذلك لا حق لأحد لينسب اليه اقوالا لم يأت بها، فرواية الكراسة هي رواية محمد ابراهيم نقد، وهذه الكراسة ان صدقت فهي لا تنفي وجود واقعة الاوراق او القصاصات التي لا اعتقد ان لها علاقة ب"كراسة" الكد، ولا اعتقد ان نسب كلمة الكراسة للخاتم خالية من الغرض، أنما اظن انها اتت لتبرير رواية نقد او اكسابها مصداقية، لا اعتقد انها تملكها.

حسن الجزولي وشهادة سعاد ابراهيم احمد:

اما في موضوع شهادة الدكتورة الجليلة والاستاذة الكبيرة سعاد ابراهيم احمد، فان دكتور حسن الجزولي يسقط من جديد شهادة مهمة جدا لها، قالتها قبل أكثر من 11 عاما، واشارت فيها الي امر هذه الوصية، وهذه هي الشهادة:

"استدعى عبدالخالق أحد أقاربه – طه الكد – الى مكان اختفائه وأملى عليه أشياء كثيرة منها مايخص الحزب ومنها ماهو شخصى وأصواه على أولاده . وبعد ذلك تم القبض عليه واعدامه . وقد اتصل طه الكد بالحزب وسلمه الأوراق التى تتضمن الأشياء التى أملاها عليه عبدالخالق "

(سعاد ابراهيم أحمد، مقابلة صحفية مع جريدة "ظلال" بتاريخ 23 ديسمبر 1993، نقلا عن موقع امدرمان.يو اس)

هذه الشهادة حاسمة تماما، ولا اعلم ما الحكمة في اسقاطها، فهل لم يطلع عليها الدكتور المؤرخ، وهي متوفرة بالموقع الاساسي الذي يعني بالتوثيق لسيرة عبد الخالق محجوب، اعني موقع امدرمان برعاية د. عبد الماجد بوب، وقد تم الاستشهاد بها في السجالات التي تمت حول موضوع "الوصية"، ام هل اسقطت لانها تقول العكس تماما من رواية محمد ابراهيم، نقد، وتوضح ان الوصية قد سلمت الي الحزب، وهي تؤكد رواية الخاتم عدلان، وكذلك تتحدث عن "اوراق" وليس عن كراسة ما، وقد سجلت قبل 11 عاما ونصف، مما يوضح ان المعلومة ليست سرا، وانها معروفة لبعض الكادر القيادي للحزب الشيوعي السوداني؟
من ناحية أخرى فان الدكتورة سعاد تتحدث عن اوراق املاها عبد الخالق لطه الكد، والخاتم يقول ان عبد الخالق قد كتب الاوراق بنفسه، ولم يطّلع عليها، وهذا تناقض بيّن بين الشهادتين، ولكنه لا ينفي الواقعة الاساسية والقاسم المشترك بينهما، وهو ان هناك اوراقا قد كتبها عبد الخالق محجوب او املاها، وسلمها لطه الكد، وان طه الكد قد سلمها قيادة الحزب الشيوعي ، و/ او محمد ابراهيم نقد شخصيا.
هنا ايضا تسترعينا الشهادة الجديدة للدكتورة سعاد ابراهيم احمد، والتي نقلها عنها د. الجزولي، والتي لا تؤيد فيها ولا تنفي وجود تلك الاوراق، ومن الواضح ان هذه الشهادة تتناقض تناقضا واضحا، مع شهادتها التي وثقناها اعلاه، وهو امر ينبغي ان تُفسره الاستاذة سعاد، لانها اكدت الامر قبل 11 عاما ونصف، وكان تاكيدها من الوضوح الشديد ومن التطابق مع جوهر ما قاله طه الكد للخاتم عدلان، ومما اكده نقد للخاتم في حينها - وينكره الان -، بحيث لا يدع مجالا لمتشكك، فما الذي جد اليوم، عندما انفجر الامر وحاصرت الحقيقة المرة مخفى الأوراق او معدمها، لان تلوذ بملاذ الامان، في قول بعض الشي وانكار بعضه، او قول الشي ونقيضه، بعد ان اعلنت الحقيقة الواضحة لاكثر من عقد من الزمان مضى ؟

ويكتب دكتور حسن الجزولي:

"ومع أن سعاد لم تؤكد أو تنف وجود تلك الوصية، إلا أن إفادتها تضمنت (إيحاءً) فى غاية الخطورة ، ومن شأنه أن يثير جدلاً واسعاً وأسئلة مقلقة. فهل الحزب قائم، من حيث بنيته الفكرية والتنظيمية، على المؤسسية أم على شئ آخر؟! وهل يعقل أن عبد الخالق الذى وهب عمره لقضية التغيير الاجتماعى التى تعتبر فى مضمونها من أوثق القضايا بمفاهيم الحداثة، يمكن أن يكون قد (أوصى) بأن تؤول القيادة من بعده لشخص محدد؟!
"

(حسن الجزولي ، مرجع سابق)

اولا لا اعتقد ان من مهمة المؤرخ ان يطرح اسئلة تتعلق باحكام القيمة، من نوع ما يثير الجدل وما لا يثيره، وما يعقل وما لا يعقل، فكما يقول هيجل كل ما هو موجود ، هو معقول، وكل ما هو معقول يمكن ان يكون موجودا. وانما ينبغي ان يركز قبل كل شي علي تقصي الوثائق والشهادات وايرادها، وان يراعي الدقة في تقييمها والاستشهاد بها، مما لا نعتقد ان الدكتور حسن الجزولي قد اجاد فيه، وان يترك التكهنات واحكام القيمة جانب، لانها في غياب العمل الحرفي الجيد للمؤرخ، لا تفيد.
ثانيا لا اعتقد ان الحزب الشيوعي السوداني يقوم علي المؤسسية، ولا اعتقد انه قد قام ليها في يوم من الايام، وفي الحقيقة ان التنظيم اللينيني المركزي اساسا لا يمكن ان يقوم علي المؤسسية، وانما علي المركوية الصارمة، واختصار الطبقة العاملة في الحزب، والحزب في مكتبه السياسي، والمكتب السياسي في شخص السكرتير العام، وفي تاريخ الحزب الشيوعي السوداني عشرات الامثلة علي القيادة الفردية والقرارات الفردية وكل متابع دقيق لمسيرة الحزب الشيوعي السوداني يعرف انه يقوم في عمله علي شي اخر ليس هو المؤسسية، والتي تغيب ابسط قواعدها في ذلك الحزب وهي انعقاد المؤتمرات الدورية - اخر واحد كان في 1967-، فهل لا يعرف دكتور حسن الجزولي كل هذا، وهو قد اصبح من ابجديات علم التاريخ السوداني وعلم السياسة السودانية والعالمية؟.
ثالثا ليس من المستغرب ان يشير عبد الخالق لمزايا زميل بعينه، ويوصي به للقيادة، فمن المعلوم انه حتي في المؤتمرات العامة للحزب الشيوعي السوداني، فان اللجنة المركزية لذلك الحزب، كانت تقدم قائمة ترشيحها للجنة المركزية الجديدة،وكانت تقبل غالبا بالاجماع، فلماذا لا يكون للسكرتير العام حق ان يرشح زميلا معينا بنفس القدر المتورفر لتلك اللجنة، لمنصب قيادي بعينه ؟

عبد الخالق في تلك الايام كان لا يزال السكرتير العام للحزب الشيوعي ، وحسب تقاليد ذلك الحزب فمن حقه تقديم اقتراحاته للقيادة في احتمال حالة سجنه او اعدامه، بل من واجبه ان يقدم اقتراحاته علي المستويات الفكرية والتنظيمية والسياسية ولو كان سجينا او منفيا، وقد قام بهذا الواجب علي المستوي السياسي عندما كتب في معسكر الشجرة وثيقة حول البرنامج، وقام عندما حاول حماية الكادر الشيوعي والديمقراطي في الجيش في محاكمته الاخيرة، فلماذا لا يقوم بواجبه كسكرتير عام ويقدم ترشيحاته واقتراحاته للقيادة لكيما تناقشها اثناء سجنه المحتمل او اعدامه ؟؟ الم يرسل عبد الخالق من مصر ايام كان منفيا للقيادة المركزية - او لاعضاء منها - رسائلا تتضمن توجيهات سياسية وتنظيمية معينة، بصدد احمد سليمان مثلا ؟

وفي الحقيقة فانه في تقاليد الحركة الشيوعية نجد ممارسات مثل هذه، فلينين ايضا كان قد كتب رسائله الاخيرة - او قل وصيته السياسية - وهو علي سريرالمرض مشلولا ويسابق الموت، للمؤتمر العام للحزب البلشفي، وفيها قدم اقتراحاته حول الاشكال القيادية التي يقترحها لقيادة ذلك الحزب، وقدم تقييمه لمختلف اعضاء القيادة، وقدم فيها النقد المر لقيادة ستالين، فيما يعرف بوصية لينين الاخيرة، فما الذي يمنع عبد الخالق من فعل المثل، اذا كانت التوصية بقاسم امين او غيره كسكرتير عام او غيره هى مضمون تلك الاوراق؟.

علي كل يظل هذا رجما بالغيب، وطالما ان تلك الاوراق لم تكشف للعلن، فان هذه التخمينات انما تعتبر خروجا عن الموضوع، ويا ليت لو ركز المؤرخون علي واقعة وجود الاوراق نفسها وضغطوا باتجاه نشرها، مهما كانت محتوياتها، وحينها وحينها فقط يمكن مهاجمة عبد الخالق او غيره، علي انعدام المؤسسية او غيرها.

شهادة محمد ابراهيم نقد:

ينقل دكتور الجزولي عن محمد ابراهيم نقد نكرانه المبين للواقعة، حيث يكتب:
"لكن محمد ابراهيم نقد، السكرتير العام للحزب، ينفى "قصة الوصية" جملة وتفصيلاً، بل ويؤكد أنها "محض أسطورة .. عبد الخالق لم يكتب شيئاً ولم يكلف طه بحمل أية رسالة إلى قيادة الحزب، كتابةً أو شفاهة، وربما اختلط الأمر لدى البعض، فطه قد سلمنا

بالفعل كراسة .. ولكنها الكراسة التى تحتوى على إفادته هو نفسه، أى طه، عن الأيام التى لازم خلالها عبد الخالق بأب روف"! 152"
(حسن الجزولي، مرجع سابق)

هذه الشهادة مجروحة عندنا كثيرا، ان لم نقل انها كاذبة تماما، وذلك لجملة اسباب، نذكر منها التالي في هذه العجالة.

اولا هذه الشهادة تفترض في عبد الخالق محجوب عدمية مطلقة، وعدم امانة وعدم احساس بالمسؤولية لا تضارى، وهي تكاد تقارب في تخرصها ادعاءات النميري الذي زعم ان عبد الخالق قد قال : اعدموني خلوني اخلص، بينما تثبت الوقائع ان عبد الخالق قد تصدي للقتلة في المحكمة وقبلها، وانه قاتل من اجل كرامته حيث رفض الذهاب للمحكمة في حالة رثة، وانه قد توسع في اجاباته طويلا في المحكمة، مما دعا رئيسها الي مقاطعته مرارا، وانه حاور الصحفيين وداعبهم، وحاور الجلاد وداعبه، وليس هذا حال انسان عايز "يخلص".
فعبد الخالق الذي قضى كل تلك الايام يبحث عن اتصال بقيادة الحزب الشيوعي، وكان يبحث عن طريقة للتحرك لوقف نزيف الدم، وكان مهموما بمسألة تامينه – حرصا علي الحزب وليس علي نفسه كما قال–، وكما يظهر في كامل هذا الفصل الذي كتبه الدكتور حسن الجزولي – علي علاته – يجد فرصة ثلاثة ايام في منزل تحت رعاية احد اصدقائه واقاربه الخلص، ثم لا يكتب شيئا مطلقا، ولا يطلب من هذا الصديق والقريب ايصال اى رسالة شفهية او مكتوبة للحزب، كما يزعم نقد ، وكانه لا يملك ما يريد قوله، او كانه انسان جبان متهرب من المسؤولية امام التاريخ، او كانه كسول عاطل من المواهب لا يعرف الكتابة. في الحق ان عبد الخالق المتحلل من المسؤولية والكسول والجبان هذا لا نعرفه، ولا يمكن ان يوجد الا في خيالات ورغبات نقد.
ثانيا تناقض هذه الشهادة، شهادات اخرى كثيرة، تثبت ان عبد الخالق قد ارسل وصيته لاهله، سواء بصورة شفهية او مكتوبة، فكيف يوصي الرجل اهله، ولا يوصي الحزب الذي كان زعيما له لحوالي ربع القرن، وممن وهب له زهرة حياته، وهو الذي كان علي اتصال بقيادته في كل لحظات سجنه، وعندما كان بالمنفي في جنوب السودان او بالقاهرة،

وعندما كان معتقلا بالسجن الحربي في معسكر الشجرة، وعندما كان مختفيا بعد هربه من ذلك المعسكر، الخ الخ .

ثالثا يزعم نقد ان الامر قد يكون اختلط علي هؤلاء الاجلاء من الاساتذة والاستاذات، واعني هنا استاذ الخالتم ودكتورة سعاد، فهل يختلط الامر علي الخاتم وهو الاصغر عمرا والاقوى ذاكرة، وهو الذي لم يركبه الهرم ولم تخالطه المصلحة في اختلاق امر كهذا، وخصوصا ان شهادته في فترتان مختلفتان تتطابق تماما، ام اختلط علي الدكتورة الجليلة سعاد ابراهيم احمد، وهي التي سجلت شهادتها قبل حوالي 12 عاما، وهي الانسانة المعروفة بقولة الحق والتوثيق والاستقامة الفكرية والاخلاقية، وفي فترة كانت محتفظة بكل قواها العقلية والجسمانية قبل ان يرهقها المرض، والذي حتي اليوم لم يوهن ذهنها المضاء وان كان قد ارهق منها الجسد؟

رابعا بما ان محمد ابراهيم نقد هو صاحب المصلحة الحقيقية في اخفاء تلك الاوراق – الوصية او اعدامها، وذلك لما يمكن ان تشكله من تهديد لموقعه او خطه السياسي، وانسجاما مع الممارسة المعتادة في قيادة الحزب الشيوعي السوداني بتزوير الوثائق وتحريفها، وحذفها من التداول واخفاؤها، مما كتبنا شيئا عنه واشار اليه الدكتور عبد الله علي ابراهيم في تعليقه علي تزوير كتيب "الحزب الشيوعي وقضية الجنوب" ، ومما اسماه ب"خفة اليد الثورية"، ومما كتب عنه آخرون، فانه من الارجح ان يكون محمد ابراهيم نقد هو من يمارس التخليط عمدا، وانه هو من يفترئ علي الحقيقة وعلي الناس الموتي والاحياء المرضى، لانه وهب نعمة الصحة، وظن ان الحقيقة ترقد في القبور، وهيهات.

خامسا يتحدث محمد ابراهيم نقد عن كراسة لطه الكد، تحتوي علي افادة طه الكد نفسه عن تلك الايام، وهنا نتسائل لماذا يسلم طه الكد مذكراته الشخصية لزعيم حزب لا ينتمي اليه، بل يختلف معه سياسيا؟ ولماذا لا يسلمها لاحد افراد اسرته، او ينشرها بنفسه علي الملأ ؟؟ واذا صحت المعلومة مع ذلك، فاننا نطالب ايضا بنشر كراسة طه الكد هذه، لمعرفة ما بها، ونتسائل لماذا لم تنشر مثلا، ابان الاحتفالات بالعيد الاربعين لتاسيس الحزب الشيوعي السوداني في فترة الديمقراطية الثالثة، او قبلها او بعدها، ام انه منهج التكتم علي الوثائق حتى ولو كانت تتبع للغير، وهل من يخفي كراسة خالد الكد، لا يمكن ان يخفي اوراق عبد الخالق محجوب؟

وصية عبد الخالق الاخيرة: اسطورة ام حقيقة؟

يحكي د. حسن الجزولي كذلك، عن شهادات مبتسرة لبعض قادة الحزب الشيوعي، ينفوا فيها علمهم بتلك الوصية – الاوراق، وفي الحقيقة فانه اذا صفيت نيات اولئك القوم، وصدقوا فيما زعموا، فلا استغرب جهلهم ذاك البتة، وذلك لعلمي – وعلم الكثيرين- بكيف تسير الامور في ذلك الحزب، فهل يعلموا هم تفاصيل 19 يوليو، وهي عمل عام اثر علي حياة الالاف من البشر، مما فأجات بعض قادتهم، وذلك بشهاداتهم؟ وهل يعلموا تفاصيل تلك الايام، حتي يعرفوا عن اوراق سلمت في ظل ظروف قاسية لرجل شخصيته قائمة علي السرية والكتمان؟ وقد سردت الاستاذة سعاد بعضا من الاسباب التي حكمت تلك الايام - الضغط الخ - والتي جعلت من النشر امرا صعبا، وهو الامر الذي استغله البعض لاخفاء الوصية، ثم لما مات الناس انكروها وربما أعدموها، ولكنهم لن يعدموا الحقيقة، فهذا أكبر منهم

الثابت عندي من الشهادات غير المجروحة للفقيد الخاتم عدلان وللدكتورة سعاد ابراهيم احمد وغيرهم، والتماسك المنطقي والتناغم ما بين افاداتهم، وضعف قرائن رد محمد ابراهيم نقد، ان وصية عبد الخالق محجوب حقيقة واقعة كوجودي الان علي ظهر هذا الكوكب، وانها ليست اسطورة باى حال من الاحوال، الا لمن يريد ان يلغي عقله ويقنع بالاساطير، او من يروج الاساطير عن انسان صغير.

يبقى التساؤل هنا، ما هي المحتويات المحتملة لتلك الوصية التاريخية، وما هو مصيرها، وهل يمكن لنا ان نراها في يوم من الايام، ام هي قد اعدمت وضاعت الي الابد، في واحدة من أكبر جرائم الشرف والامانة وانتهاك التاريخ في حياتنا العامة السودانية ؟؟ وهل سيكون لمن اخفوها او اعدموها الشجاعة للرجوع للحق، فيخرجوا الشهادة ولا يأثموا قلوبهم، ام ستكون لهم الجرأة علي الحق، فيواصلوا الانكار والاستكبار والافتئات علي الموتى والاحياء، في جريمة جديدة تضاف الي سجلاتهم غير المشرفة؟ وماذا سيكون موقف اهل عبد الخالق وتلاميذه ورفاقه، هل سينتصروا لروح الرجل وتراثه، ام سينكسروا لبطل مزيف، ويخضعوا للزيف وينحنوا للكذب، في ماساة جديدة تقتل عبد الخالق محجوب مرة اخرى في قبره المجهول؟

ويكون هناك سؤال ايضا عن دور ومسؤولية المؤرخ، هل مهمته هي الانحياز الحزبي، وهي التبرير لممارسات فظة فظيعة في حق الحقيقة والتاريخ وفي حق مادة دراسته، ام ان له مهمة احرى، ومسؤولية اعظم، في سبيلها عليه ان يسمو علي نفسه وعلي انتماءاته

الضيقة، وينحاز للحقيقة عارية ومرة وحارقة، ويسعي في البحث عنها حتي يدمي قدميه، ولا يخشي في طريق الحق لؤمة لائم؟

ثار جدل كثيف حول الوصية السياسية للشهيد عبد الخالق محجوب، والتي وصلت الى محمد ابراهيم نقد ثم انكرها، وربما يكون قد اعدمها، لاسباب يعرفها هذا السيد المتربع على قيادة الحزب الشيوعي.
اليوم وقعت في يدي شهادة للاستاذ عبد الماجد بوب، وهو محرر موقع امدرمان يو اس، والذي يعني بالتوثيق لحياة وفكر الشهيد عبد الخالق محجوب، يؤكد فيها وجود تلك الوصية، وانها قد وصلت الى قيادة الحزب الشيوعي.
جدير بالذكر، ان هده الشهادة هي الشهادة الثالثة عن الامر، بعد شهادة كل من الاستاذة سعاد ابراهيم احمد، عضوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني ، والراحل العظيم الاستاذ الخاتم عدلان، بينما يبقى محمد ابراهيم نقد محاصرا في واقعة اخفاءه وربما اعدامه لتلك الوصية التاريخية ..

يقول الاستاذ عبد الماجد بوب :
{أما الوصية التى تأكد بأن الشهيد عبدالخالق قد كتبها فى فترة إختفائه بعد 22 يوليو 1971 ، فقد أودعها لدى صفيه وقريبه الراحل طه الكد . وقد كان هذا الرجل ، الأديب شهماً وكريماً . فقد سعى فى كل أقطار مدينة أمدرمان لتأمين حياة الشهيد عبد الخالق ، الذى طلب منه تأمين إقامته لبضعة أيام حتى يتمكن من ترتيب أموره ووصيته لشقيقه على ولأسرته ورفاقه . وحسب علمى أن الراحل طه الكد قام بتسليم تلك الوصايا إلى قيادة الحزب الشيوعى . ولا أعتقد بأنها حوت شيئاً عن تعليم أبنائه أو أى شىء يمت إلى أسرته} .
المرجع: الاستاذ عبد الماجد بوب:حول وصايا عبدالخالق لأبنائه ...وملابسات إنتخاب م . إ . نقد سكرتيراً عاماً، مساهمة في منبر الحوار في منبر سودانيز اونلاين كوم بتاريخ 19-07-2006

وكانت هذه الشهاة قد سبقتا شهادة الاستاذة سعاد ابراهيم أحمد، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، واحدي اقرب القيادات لعبد الخالق محجوب ، كما سبقتها شهادتان للراحل المقيم الاستاذ الخاتم عدلان عن الامر، يجد القاريء توثيقهما في غير هذا المكان.

وكنا، وبناءا على شهادتي الاستاذة سعاد ابراهيم احمد والاستاد الخاتم عدلان، ولمعرفتنا ان الشيوعيين لن يمارسوا اى ضغط على سكرتير حزبهم ، قد وجهنا له رسالة مفتوحة حول هذا الامر،بعنوان: رسالة الي محمد ابراهيم نقد بعد خروجه للعلن: أما آن لك ان تطلق سراح وصية عبد الخالق محجوب الاخيرة ؟ عسى ان ينشر الوصية السياسية للشهيد عبد الخالق محجوب، او يرد على هذه الشهادات على الاقل، وقد ارسلنا رسالتنا المفتوحة الى محمد ابراهيم نقد، بعد خروجه { او اخراجه } من الاختفاء مباشرة، ويمكن للقاري قراتتها على الرابط

http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=35501

طبعا لم يرد محمد ابراهيم نقد على رسالتنا، ولكن نور الحقيقة لا بد ساطع، ولو طال الزمن، وقد اجبرت لا شك اسئلة الخاتم عدلان، وربما رسالتنا، الاستاذ الدكتور حسن الجزولي لسؤال محمد ابراهيم عن تلك الوصية، فلنر ماذا قال نقد لحسن الجزولي.

يكتب حسن الجزولي:
{لكن محمد ابراهيم نقد، السكرتير العام للحزب، ينفى "قصة الوصية" جملة وتفصيلاً، بل ويؤكد أنها "محض أسطورة .. عبد الخالق لم يكتب شيئاً ولم يكلف طه بحمل أية رسالة إلى قيادة الحزب، كتابةً أو شفاهة، وربما اختلط الأمر لدى البعض، فطه قد سلمنا بالفعل كراسة .. ولكنها الكراسة التى تحتوى على إفادته هو نفسه، أى طه، عن الأيام التى لازم خلالها عبد الخالق بأب روف}"!
المرجع: د. حسن الجزولي: فى علايل "اب روف"! فصل من كتاب توثيقى تحت الطبع بعنوان: عنف البادية .. وقائع اللحظات الأخيرة فى حياة السكرتير العام للحزب الشيوعى السودانى، نشر بموقع سودان للجميع الالكتروني

ونحن اذ نحمد للدكتور حسن الجزولي، تجرؤه بسؤال محمد ابراهيم نقد عن الامر، الا اننا نعيب عليه انه لم يسأل نقد عن الشهادات الناصعة التي قدمت حول الامر، وتقبله لردوده وانكاره دون تمحيص، وكذلك تشويهه لاقوال الراحل العظيم الخاتم عدلان عن الامر، في ممارسة لا تتفق مع الامانة الفكرية ومسؤولية المؤرخ ، وقد بينا كل ذلك في

ردنا على الدكتور حسن الجزولي وقتها، في موقع سودان للجميع ، ثم في مقال منفصل، نشرناه تحت عنوان: وصية عبد الخالق محجوب المخفية ومسؤولية المؤرخ: حوار مع الدكتور حسن الجزولي: على مواقع الانترنت الصحف السيارة، لم يرد عليه الدكتور حسن الجزولي، ويمكن للقارئ مراجعته على هذا الرابط:
http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=37715

ولقد ادرت حوارا طويلا من بعد، مع الاستاذ الكبير شوقي بدري، والاستاذ عبد الله الشقليني، حول تلك الوصية ، في موقع سودانات، حاول فيها الاستاذان انكار وجودها، بناءا على الظن، بينما اتينا نحن بالشهادات، ومع احترامي الفائق للاستاذين شوقي بدري وعبد الله الشقليني، فقد كان ذلك الحوار حوار طرشان، بين منهج يؤمن بشخص ويدافع عنه، واخر يبحث عن الحقيقة ويتحراها ..
لمن يريد مراجعة ذلك الحوار المهم، والذي حاول فيه الاستاذان الكبيران شوقي بدري وعبد الله الشقليني القيام ب"مهمة مستحيلة" ، احيل القارئ الى ارشيف موقع سودانيات، حيث تم ذلك الحوار { اذا لم يقم القائمون على امر ذلك الموقع بشطبه كما فعلوا مع مساهمات اخرى لنا }

http://sudaniyat.net/forum/viewtopic.php?t=1041

اليوم بعد شهادة الاستاذ عبد الماجد بوب، اكاد اقول : "الان حصحص الحق" ، واستعيد الكلمات التي قلتها في نهاية رسالتي لمحمد ابراهيم نقد، والتي لم تكن ضربا بالرمل او قراءة للغيب:
(ان هذه الوصية امر لا يخص الحزب الشيوعي وانما كل الشعب السوداني، ومن واجب كل مواطن سوداني الاطلاع عليها، من هنا فإننا ندعوك الي نشر وصية الشهيد عبد الخالق الاخيرة، اليوم وليس غدا، ونحذر من محاولة اعدامها او محاولة تزويرها، وهو امر لن نستغربه من المخفيين للحقيقة طوال عقود، ولكنها ستكون محاولة فاشلة، فالحقيقة هي كالعنقاء ، تنهض من الرماد لو احرقت، ويبقي قدر الانسان هو الاختيار: تسجيل الحقيقة وتمليكها للناس والتاريخ في احلك الظروف كما فعل الشهيد عبد الخالق محجوب

في تلك الايام الماساوية، ام التكتم عليها واخفائها عن الناس 34 عاما والحلم بالذهاب بها الي القبر، كما يفعل محمد ابراهيم نقد؟)

ولا نزال في اول المشوار ، ولن ندع السير حتى تنهض عنقاء الحقيقة كاملة من بين رماد الاكاذيب

كنا قد اهرقنا حبرا كثيرا في قضية الاوراق السياسية التي تركها عبد الخالق محجوب والتي سُلمت ليد محمد ابراهيم نقد، والتي جائت شهادات كثيرة تثبت وجودها وتسليمها من اطراف مختلفة ، وهو الأمر الذي انكره بشدة المرحوم محمد أبراهيم نقد ، ليتضح من تصريح حديث ليوسف حسين ان هناك رسالة كهذه لم تنشر (ولن تنشر) بإعتبار انها تخص قيادة حزبهم وحده (لا شريك له) ، وليتضح أن من انكر وجودها وقتها وقال ان عبد الخالق محجوب لم يرسل اي رسالة - مكتوبة أو شفهية - هو مجرد كاذب ليس إلا ..

جاء في اللقاء المنشور في صحيفة أخبار اليوم بعنوان : (يوسف حسين : الشيوعى لا يرفض الشريعة مصدرا للتشريع فى الدستور) والذي أجراه في الخرطوم كل من عمر صديق – رحاب ابو قودة .
(ونفى ان تكون هنالك وصية من عبد الخالق محجوب قبل اعدامه كما يردد البعض وكشف ان الامر يتلخص في رسالة عادية كان قد ارسالها لقيادة الحزب تحتوي على بعض الموضوعات السياسية في تلك الفترة ولذلك لم ولن يتم الاعلان عنها لانها تخص قيادة الحزب وحده.)

هذه الشهادة مهمة كونها تتناقض مع نفي سابق ليوسف حسين تجاه حسن الجزولي. وهي تتناقض مع شهادات محمد ابراهيم نقد المنكرة السابقة ، حيث قال في افادته لحسن الجزولي الذي سأله عن الأمر: (عبد الخالق لم يكتب شيئاً ولم يكلف طه بحمل أية رسالة إلى قيادة الحزب، كتابةً أو شفاهة) - د. حسن الجزولي: فى علايل "اب روف"! فصل من كتاب توثيقى تحت الطبع بعنوان: "عنف البادية .. وقائع اللحظات الأخيرة فى حياة السكرتير العام للحزب الشيوعى السودانى"، نشر بموقع سودان للجميع الالكتروني- ص 152.

هنا نجد نفسنا أمام شهادتان متناقضتان، فقد قال المرحوم نقد: ((عبد الخالق لم يكتب شيئاً ولم يكلف طه بحمل أية رسالة إلى قيادة الحزب، كتابةً أو شفاهة،)) بينما قال يوسف حسين: ((وكشف ان الامر يتلخص في رسالة عادية كان قد ارسالها لقيادة

الحزب تحتوي على بعض الموضوعات السياسية في تلك الفترة ولذلك لم ولن يتم الاعلان عنها لانها تخص قيادة الحزب وحده.)) فكيف حل هذا التناقض؟

وفي الحقيقة فقد تم سؤال المرحوم نقد عن الأمر مرة اخرى ، ومرة أخرى انكر وجود اي رسالة مكتوبة او شفهية ، في حوار صحفي مع احدى الصحف ، مما يوضح اصراره على الانكار. وهذا توثيق هذه الجزئية :

((* توقفنا عند ان 19 يوليو فشلت وعاد النميري ..اريد ان اعود بك الى مسألة آثارت لغطاً كثيراً و فيها روايات متعددة ومختلفة تماما وهي ان عبد الخالق كتب مذكرة او خطابا او شيئا معينا وارسله للاستاذ محمد ابراهيم نقد والاستاذ محمد ابراهيم نقد لم يعرض هذه الوصية الى اليوم؟

- الاشكال الذي حدث في تلك الايام هو ان عبد الخالق كان في امدرمان عندما حدثت عودة نميري، في الوقت الذي كانت امكانيات اختفائه كلها في الخرطوم والمهم انه في الآخر ذهب ناحية اهله والتقى بطه الكد وبقي معهم اليوم الاول والثاني واليوم الثالث و كلف ابن اخته طه بان يكتب كل تفاصيل الايام التي قضاها معه .. وانا التقيت بطه اوائل 1972م و قد اخبرني بتفاصيل تلك الايام الاخيرة مع عبد الخالق. وجزء من القصة لدى الاستاذ عبد القادر الرفاعي الذي كتب عن ذلك كثيراً ، فعبد الخالق لم يكتب ولم يقل لطه هذه وصية من (كذا وكذا) لكنه قال لطه اكتب هذه الاحداث. وانا عندما التقيت بطه و حكى لي قلت له: هذا الموضوع يمكن ان ينسى بعد مدة فأكتب - قدر المستطاع- و اخبر الشيوعيين الذين تعرفهم، فكتب في كراسة كيف جاء عبد الخالق والمحاور الاولى والمحاور الثانية وهكذا.. و كتب عن اشياء سياسية متعددة ذات صلة بالاحداث وعن الانقلاب وضعفه وضعف التعبئة ولم يقل لطه هذه وصية- مثلما كتب لينين وصيته- ومن المؤكد ان خالد الكد اطلع عليها- وبعث بها الينا وقرأناها ووضعناها في ارشيف تلك الفترة(اذكر اننا وضعناها في شنطة صغيرة- لانو في الفترة من 1971م بعد الاحداث وحتى منتصف 1972م لم يكن عملنا المطبوع كثيرا وفي 72-1973م بدأنا نجمع ارشيف كل الفترة في مكان، فتجمعت لدينا من ذلك محاضر السكرتارية واجتماعات اللجنة المركزية والبيانات ووضعناها في شنطة سلمناها للمرحوم جعفر أبوجبل.. واتذكر.. بعد الانتفاضة جئنا نحضر للعيد الاربعين قلنا له ان يحضر لنا الشنطة لان بها الفترة الاولى 1971م فوعد ان يأتي بها. ونحن نحضر للعيد توفي جعفر في حادث حركة في تقاطع شارع الغرفة

التجارية وهو يحاول عبور الشارع فصدمه بص وتوفي هنالك واصبحت مسألة اين يخبئ هذه الاشياء امرا غير معروف حتى اليوم).
محمد ابراهيم نقد... حكاوي المخابيء وأحاديث العلن (10)

اليوم بعد اعتراف يوسف حسين بوجود رسالة مكتوبة من عبد الخالق محجوب، وان رفض ان يسميها وصية ، اقول اننا نسير في طريق جيد، واعد الجميع انني ما دمت حياً لن اترك هذا الأمر ، حتى تنشر هذه الوثيقة ، ولو تكالب على عبدة الاصنام من كل جانب .

مايو 2012

الفصل السادس
شخصيات وأفكار

ليس من مهام هذا المقال دراسة سيرة محمد إبراهيم نقد، ولا تحليل تأثيره على الحياة السياسية في السودان. إن غاية ما يطمح إليه هو تحليل شلال الرثاء الذي إنفجر في موكب تشييع السيّد محمد إبراهيم نقد ، ثم فاض محتوياً سراديق العزاء التي نصبت له ، ثم طفح إلى الصحف السيّارة ومواقع حوارات السودانيين على الانترنت غامراً كل ذلك بعبرات مشبعة بأحاسيس اليتم والفاجعة وانكسار المِرق وتشتت الرصاص وانسداد أفق الحياة . كل شيء كان حاضراً في ذلك "الماراثون القومي" للرثاء بإستثناء الحس النقدي.

القائد الخالد :

جاءت المنيّة التي وافت السيّد محمد إبراهيم نقد في 22.03.2012 وهو في سدة الحزب الشيوعي السوداني مصداقاً لنبوءة أطلقها السيّد خالد المبارك حين أُستطلعَ رأيه بصحيفة "الرأي العام" السودانية في عددها الصادر بتاريخ 08.06.2004 . على سؤال عمّا إذا كان السيّد محمد إبراهيم نقد سيقود الحزب الشيوعي السوداني في المرحلة القادمة، أم أنه سيتنازل عن منصبه لشخصية قيادية جديدة ؟. أجاب السيّد خالد المبارك بالآتي : " حسب تقاليد اليسار المعروفة والمحفوظة لا يتخلى نقد عن القيادة إلا محمولا إلى القبر مع أنه يوجد في الصف الثاني قادرين على قيادة الحزب في المرحلة القادمة لو أتيحت لهم الفرصة ".

أطلقتْ هذه النبوءة قبل قرابة الخمسة أعوام من تاريخ انعقاد المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي السوداني الذي أعاد إنتخاب السيّد م .ا. نقد سكرتيراً سياسياً للحزب، وكان وقتها في نهاية السبعين من العمر!.

شلال الدموع وتشابه الوجوه :

من بين فئات المشاركين في مراسم تشييع السيّد نقد تستوقف المتأمل ثلاث فئات :

- تضم الفئة الأولى أعضاء عاديين في الحزب الشيوعي ذرفوا - للمفارقة - عبرات اليتامى على أحد أفراد الكادر الحزبي المتفرغ الذي إختطف حزبهم وغيّب صوتهم وكبّل إرادتهم لعقود ســـخّــرهم لإنجاز مآثر الخيل في المثل الشعبي المعروف فيذهب الشكر كله والثناء لحمّاد !.

- أما الفئة الثانية فتتشمل ممثلين لصفوة الحكم الإنقاذي وممثلين لأحزاب يمينية معارضة وقيادات طائفية وممثلين لطرق صوفية ، وهؤلاء ماجاءت مشاركتهم في مراسم التشييع إلا إعراباً عن تقدير مضمر للدور الذي لعبه السيّد نقد في تدجين الحزب الشيوعي السوداني وتحويله إلى خيال مآتة "يساري" لا يفزع أهل الجاه والسلطان، منخرط في تسييد العقلية الأبوية التي ترى في الزعيم قائداً للأبد حتى وهو يبلغ من العمر عتيا، بل وحتى وهو يُحمل من مقعد الزعامة إلى القبر . فلهؤلاء يجسّد محمد ابراهيم نقد المعادل اليساري لتغييب غمار الناس وتصفيدهم في محابس الأبوية : حزبية كانت أم طائفية!.

- قوام الفئة الثالثة خليط من المثقفين اليساريين والطائفيين والخاتفين للونين، وشبيبة أرهقتها سلطة "الانقاذ" فظنت كل سراب بقيعة ماء، وثمة أيضاً ناشدون للجديد ممن ضاع منهم الدرب وأصابهم عمى ألوان جعلهم يرون في من تربع على قمة هرم حزبه 40 عاما دون أن يفكر في التنحي رمزاً للديمقراطية والتحرر! . قد يكون تبجيل هذه الفئة الهجين للسيد نقد نكايةً في سلطة "الإنقاذ"، لكن ما يغيب عنها هو أن سلطة "الإنقاذ" هي الرابحة من مهرجان تبجيل "الأب اليساري" وهو يوسّد الثرى.

هؤلاء لا يعنيهم السيّد نقد إلابما هو تجسيم للمواقف الرمادية ، ولايعنيهم أيضاً أيّ مصير سيؤول إليه الحزب الشيوعي السوداني طالما أن ما يقع فيه يعمل على ترسيخ القديم . غاية هؤلاء أن يجد الشيوعيون نُقدا جديدا يسير في الطريق القديم العقيم .

في مراسم التشييع امتدح السيّد حسن الترابي الشيوعيين، وصلى السيد الصادق على روح الميت ، ونعاه أهل السلطة وآخرون كثر، ولم يتوانى أحد عن المشاركة في الماراثون القومي للرثاء ، حيث تمازجت الدموع واختلطت الوجوه فلم يعد يُعرف مَنْ مَنْ ، ففي قلب الدموع المتفجرة تصير جميع الوجوه سواء ، يصبح الشيوعي ختمياً ، ويصير نصير الترابي شيوعياً ، ويبدو منسوب "حق" أنصارياً . حينها حار البعض في التفسير، وأشار البعض في فخار: أنظروا! هذا هو السودان، ونسوا أن يضيفوا له نعت القديم .

دلالات التشييع :

بتشييع السيّد نقد إلى مثواه الأخير ، تكون طقوس الوداع قد أقيمت لمن دانت له الشياخة لأربعة عقود على أفراد طريقة يسارية أورادها الأدب السياسي الذي يتنزل عليها من لدن قيادة الحزب ، وللمدائح التي تؤديها استدعاء لأرواح الشهداء، وتمتيناً لأواصر التضامن بين الأحياء، لبوس شعر ثوري مغنّى .

لمن فقد اليقين الديني القديم، دون ان يبلغ وعيا نقدياً جديداً، كان السيد نقد أبا خالداً. ليس ذلك المبجل في السماء البعيدة، بل هنا على الأرض , عندما مات ستالين إنتحر البعض لأن المستبد كان قد أضحى معياراً ومعنى لحياته المقموعة ، فقضى خشية العيش في عالم خاو مختل المعيار .

بتشييع السيّد نقد يكون قد ووارى الثرى "البرجوازي الصغير" المتفرغ لستين عاما لقيادة "حزب الطبقة العاملة "، أطعمه حزبه وسقاه ودبّر أمور دنياه من مأوى وطبابة وسفر من كدح الشغيلة الشيوعية الذين جفت لهات حاديهم فأصابتهم السكتة وفقدان الهوية والإتجاه ، وأمسى حضورهم وغيابهم سواء ، ليس على لسانهم ما يذيعونه غير بضع حكايات تليدة عن شهداء مضوا ، وعن زهد شيخ طريقتهم من أنه لا يملك من حطام الدنيا إلاّ ما يستر جسده ، وأنه وهب حياته للقضية التي فصل بسببها من الدراسة الجامعية على عهد الاستعمار ثم سُجن لمدة شهر ، وأنه غالب نداء الوظيفة في مطلع حياته مؤثراً عليها سكة التفرغ الحزبي .

بتشييع السيد نقد وهو في سدة الحزب الشيوعي تجد الهياكل الطائفية في السودان مسوغاً يبرر خلود زعاماتها تواجه به منتقديها بأن هذا هو السودان، حيث يتحوّل القائد السياسي إلى أب مطاع لا راد لكلمته في جماعته ، وليس له بديل ، أيبدل الإنسان أبيه؟! . لهذا فليس من قبيل الصدفة تحوّل الشيوعيون عن وصف قادتهم بالرفيق أوالزميل إلى نعوت من شاكلة العم ومعادلها إذا تعلق الأمر بقائدة ، وهكذا إندحر مفهوم الحزب بوصفه اتحاداً طوعياً لمناضلين أحرار ، متساوين في الحقوق والواجبات، في تنظيم يحاسب قائده ويعاقبه بالفصل إذا عطّل العمل بدستور التنظيم وتربّع في منصبه القيادي لايزيحه منه إلا الموت !.

عادل عبد العاطي ، عثمان محمد صالح

31.03.2012

محمد مختار الخطيب
السكرتير الجديد للحزب الشيوعى السودانى

باختيار المهندس محمد مختار الخطيب كسكرتير جديد للحزب الشيوعي السوداني، خلفا لمحمد إبراهيم نقد ، يبدو أن المجموعة المسيطرة على قيادة الحزب الشيوعي قد اختارت طريق " تجريب المجرب" ، وإن الجهاز الحزبي البيروقراطي قد انتصر على تيار التجديد في ذلك الحزب، ووجه له ضربة قوية.

فقد توقع الناس أن يقدم الحزب العجوز على خطوة ثورية تحاول أن تغطي أزمته السياسية والفكرية، وذلك بتقديم إمرأة أو شاب في مقتبل العمر لقيادته. ولكن ولظروف انعدام الشباب في قوام اللجنة المركزية للحزب – والتي أُحتكر امتياز اختيار السكرتير الجديد فيها ومن بين عضويتها – والطبيعة الذكورية لتكوين تلك اللجنة، مما يجعل اختيار امرأة من طرفهم في عداد المستحيل، فقد سقط هذين الخيارين من أجندة المتنفذين من حرس الحزب القديم.

وكان الصراع مستعرا منذ سنوات في قيادة الحزب الشيوعي بين اتجاهين : اتجاه يعبر عنه الشفيع خضر سعيد (في أواخر الخمسينات من عمره) يهدف لانفتاح الحزب على الشباب ومجموعات اجتماعية جديدة والتخلي عن الماركسية كأيدلوجية وعن صيغة الحزب الأيدلوجي، واتجاه محافظ قديم يعبر عنه جيل الشيوخ السبعينيين في قيادة الحزب ويعبر عنه أشخاص مثل سليمان حامد الحاج ويوسف حسين، ويدعمهم بقوة السكرتير الثقافي للحزب تاج السر عثمان الشهير بالسر بابو ، وهو من قام بكتابة مقالات ممعنة في الهجومية والتحرش بالشفيع خضر ، فضل الأخير إحناء الرأس أمامهما وعدم الرد عليها، بينما دافع عنه أحد ممثلي الاتجاه الإصلاحي في ذلك الحزب: المحامي كمال الجزولي.

وقد توقع الكثيرون إن يكون الشفيع خضر هو المرشح الطبيعي للمنصب، وذلك بتعبيره عن جيل الشباب المهمش في الحزب – رغم إن الرجل تخطى سن الشباب بكثير ولكنه يظل الأقل عمرا وسط قادة الحزب السبعينيين ، ورغم الهجوم عليه إبان المؤتمر الخامس والذي جعله يأتي في ذيل قائمة أعضاء اللجنة المركزية، وان يكون هو المرشح الرئيسي أمام مرشح الجيل القديم: سليمان حامد أو يوسف حسين.

بدلا عن ذلك ولمحاولة الحفاظ على وحدة مختلقة ، فقد اختارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في 2012/6/8 شخصاً مغموراً هو المهندس محمد مختار الخطيب ، كسكرتير

جديد للحزب ، وهو رجل كهل يبلغ من العمر 70 عاما ، وهو مهندس بالمعاش منذ 5 سنوات ، لا تعرف له أي مساهمات فكرية أو سياسية طوال العقود الطوال التي أمضاها في الحزب الشيوعي ، ولا خبرة له بالعمل السياسي خارج اطار نطاقه المحلي ، ويبدو ان سبب اختياره هو ترقية بالأقدمية ، واستمرار لمنهج عدم الثقة بالشباب، من جهة ومحاولة للحفاظ على وحدة القيادة إلا تنشق باختيار زعيم احد التيارات المتصارعة سكرتيرا جديدا من جهة .

وتقول الشهادات اللصيقة بالرجل أن المهندس الخطيب رجل نزيه وخدوم ، وهو محبوب وسط أهل منطقته (حلفا الجديدة) ، ولكن قدراته الفكرية منخفضة جدا ، وهي ليست بموازاة الأسئلة الكبرى التي يطرحها التاريخ والواقع السوداني على الحزب الشيوعي. كما إن سنه المتقدم يقعد به عن التفاعل مع أجيال الشباب الناهض، وضعف معرفته بتقنيات الاتصال الحديثة يجعله بمثابة الأمي تقنياً ، فوق أن السن المتقدم يقعد به عن الحركة الواسعة وذلك لانعدام الطاقة في الجسد العجوز.

ويبدو إن الخطيب بصورته الباهتة ووضعه المغمور قد كان المرشح المناسب لكيلا ينقسم الحزب الشيوعي كلية ، وكان هو الأقرب تكتيكيا لتيار الحرس القديم، فقد كانت أول تصريحاته بعد انتخابه هو السير في طريق سكرتير الحزب السابق محمد إبراهيم نقد، وتمسكه بالماركسية – التي لا يُعلم إن كان الرجل يعرف أبجدياتها - ، وبالصيغة الطبقية للحزب كونه حزب الطبقة العاملة ، رغم ان عدد العمال في لجنة الحزب المركزية هو أقل من 10% من قوامها.

إلا إن اكبر ما يفسد اختيار الخطيب ويصمه ببصمة سوداء ، هو قيامه في ظل حملة عنيفة ضد القيادي الشيوعي المنفتح على جيل الشباب الشفيع خضر ، أُستخدمت فيها أساليب اغتيال الشخصية الراجعة لأسؤا صفحات التاريخ الشيوعي، بما فيها من اتهامات مالية واخلاقية. وقد انسحب الشفيع خضر من الترشح تاركا التنافس بين ممثلي الجيل القديم : يوسف حسين ومحمد مختار الخطيب، وكلاهما في السبعينات من عمرهما.

ويتوقع الكثير من المراقبين أن يكون الخطيب دمية في يد التيار الستاليني المتحجر في داخل الحزب الشيوعي السوداني، وان اختيار الرجل مؤقت حتى المؤتمر السادس للحزب ، حيث يعد كل تيار من التيارات المتصارعة عدته للحسم النهائي للصراع الخفي في ذلك الحزب الهرم .

13 يونيو 2012

(1)

في ذكرى رحيل القيادي الستاليني محمد ابراهيم نقد يحاول البعض ان يجعل من فسيخ سيرة الرجل شربات، ونسوا ان نقد كان من مؤسسي الشمولية السودانية ، كلس ودمر الحزب الشيوعي وذهب به في طريق اليمين الرجعي ، شارك بالتواطؤ في اغلب انقلابات السودان وخصوصا انقلابي مايو 1969 ويوليو 1971 وغض النظر عن انقلاب الانقاذ وهو يعلم به ..مارس التسلط حين بقى في قيادة حزبه حتى بلغ ارذل العمر، ولم يسن سنة حسنة بالتنحي حتى حينما اصيب بالمرض، فكان احد ديناصورات السياسة السودانية واناانيها.

كان الرجل لطيفا مع اعداء الشعب جلفا مع من هم اضعف منه، اساء للأموات ممن قدموا لحزبه ولشعب السودان، مثل شيبون وخضر نصر ووصفهم بالجنون .لم يكن الرجل امينا حتى مع سلفه حين اخفي اوراق عبد الخالق محجوب الاخيرة فتآمر بذلك على التاريخ وحق الناس في المعرفة .

كان الرجل مستهزئا متعاملا بخفة مع القضايا الوطنية ويتضح ذلك في حديثه القبيح عن قضية حلايب المحتلة وعن الجنوب الذي تحدث باحتقار عنه وعن طموحاته . كان الرجل ممثلا للثقافة العروبية - الاسلاموية بلا منازع رغم شيوعيته المزعومة .

(2)

والشمولية السودانية أسستها الاحزاب العقائدية وعلى رأسها الحزب الشيوعي والاخوان المسلمين بتفرعاتهم المختلفة والعروبيين من ناصريين وبعثيين، كما كان لحزب الامة دور كبير في تأسيسها. نشرت هذه الاحزاب في مجملها ايدلوجيات معادية للديمقراطية مرات باسم الطبقة ومرات باسم الدين ومرات باسم القومية. سمت هذه الاحزاب انفسها بالأحزاب الطليعية والرسالية، ودعت الى ديكتاتوريات الطبقة العاملة او الاغلبية المسلمة الخ . نشرت ما يسمي بافكار الديمقراطية الجديدة او الاسلامية والتي كانت في تضاد بل وصراع مع افكار الديمقراطية الليبرالية ، بل تآمرت على الديمقراطية ونظمت ودعمت الانقلابات العسكرية الناجحة والفاشلة، ونشرت اساليب العنف السياسي واغتيال الشخصية والقيادة الابدية وما بدلت تبديلا.

بالنسبة للحزب الشيوعي فله دور كبير وخاص في ذلك، باعتباره من اول احزاب الشمولية السودانية ومن ناشرة الايدلوجية الشيوعية وهي ايدلوجية شمولية بامتياز ، بل هي من الشموليات الكبرى في القرن العشرين . دخل ذلك الحزب في مختلف الانقلابات العسكرية، وكان اول من جند ضباطا في الجيش لهذا الغرض ، حيث انشا تنظيما شيوعيا سريا للضباط ، يقول محمد محجوب عثمان في توثيق هذا النشاط "يعود تاريخ النشأة الحقيقية وعملية التأسيس إلى ما قبل الاستقلال السياسي للسودان بداية عام 1954 ، وما صحب هذا من زخم وانفتاح ديمقراطي نسبى ، أتاح الفرصة لعناصر متفتحة من الحركة الطلابية لولوج المؤسسة العسكرية . " إلى أن يقول " وفى تلك الظروف تفتحت الفرص أمام مجموعات من الطلاب ذوى الميول الديمقراطية و آخرين من أعضاء الحزب –رابطة الطلبة الشيوعيين – للدخول للكلية الحربية والتخرج منها كضباط صغار في الجيش . ولقد شكل ذلك النواة الأولى لتنظيم الضباط الشيوعيين " .(كتاب الجيش والسياسة في السودان) كما يكتب محمد سعيد القدال " وكان الحزب الشيوعي قد بدأ منذ الخمسينات في إقامة تنظيم داخل الجيش تحت إشراف عبد الخالق مباشرة " –كتاب معالم من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني صفحة 211-.

وقد انخرط الشيوعيون الانقلابات العسكرية وفتحوا شهية غيرهم لها ، وفي هذا يقول مؤرخ الحزب الدكتور محمد سعيد القدال:"وكان للحزب الشيوعي دور في كل المحاولات الانقلابية التي تمت ، والتي انتهت بالفشل وبالإعدام والسجن والتشريد للعناصر الوطنية في الجيش " (المرجع السابق)

وكان للحزب الشيوعي دور كبير في الهجوم على الديمقراطية بالمقابل، وفي اشاعة العقلية الانقلابية ، وفي تنظيم الانقلابات من بعد ، وفي السكوت عنها. في كل هذا كان لمحمد ابراهيم نقد القدح المعلي، والدور الكبير. (لمزيد من التفاصيل راجع مقالنا التالي (http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=4768

(3)

ويقال ان محمد ابراهيم نقد الذي تستر على انقلاب مايو وشارك بنصيب الاسد في انقلاب 19 يوليو 1971، بل كان من مدبريه وفقا لشهادة الاستاذة فاطمة احمد إبراهيم، قد علم بانقلاب الانقاذ بكل تفاصيله ، ولم يفعل شيئا غير ان يبلغ الحزب الحاكم حينها ، الفاشل رئيسه والضعيف، فكأنه بذلك ساهم في نجاح ذلك الانقلاب. وفي هذا يقول

الاستاذ الخاتم عدلان : ((و لكن النقطة الأكثر تدنيا في مسيرة الحزب الشيوعي السوداني تمثلت في فشله الذريع في التصدي لإنقلاب الجبهة الإسلامية القومية في يونيو 1989، فقد توفرت لقيادة الحزب معلومات موثوقة حول التخطيط للإنقلاب، و الأسلحة التي سينطلق منها، و بعض أسماء قادته، و توقيته على وجه التقريب، توفرت هذه المعلومات الخطيرة لقيادة الحزب الشيوعي فلم تعلن حالة الطوارئ داخل صفوف الحزب، لم تدعو هيئاته و فروعه للإجتماعات الطارئة، لم تطرح أمامها كل المعلومات المتوفرة لديها حول الإنقلاب، لم تطرح عليها الخطط المحددة لمواجهته و هزيمته، لم تعلن التعبئة العامة في الشارع السياسي، لم تبصر الشعب بالخطر الداهم و كيفية مواجهته، لم تدع التجمع الوطني و تخاطبه على أعلى المستويات، لم تضع الجميع أمام مسئولياتهم المنصوص عليها في ميثاق الدفاع عن الديمقراطية.

لم تفعل قيادة الحزب شيئا من ذلك، مع إنها لو فعلت لتمكنت من سحق الإنقلاب في مهده، لأن سحق الإنقلابات لا يحتاج إلى قوة عسكرية مكافئة بل يحتاج إلى إلغاء الشرط الأساسي لنجاحه و هو السرية.و بدلا من ذلك اختارت قيادة الحزب أسلوبا أمنته بطول الممارسة، هو أسلوب "البلاغات" العادية التي نقلتها إلى مدير الاستخبارات وإلى وزير واحد في الحكومة. و فعلت ذلك و هي تتوهم أنها تمارس نوعا من السياسة العليا، لا تكشف أسرارها لرجرجة الحزب و دهماء الشعب. إن قيادة الحزب بمسلكها هذا مسئولة أكثر ممن عداها عن نجاح الإنقلاب، بحكم دقة معلوماتها، و بحكم إستبانتها للخطر الماحق الذي تمثله الجبهة الإسلامية على حزبها بالذات.))

المرجع : استقالة الراحل الخاتم عدلان و رفاقه من الحزب الشيوعي السوداني!!! -

ويمكن لمن اراد ان يسمعها من فم الخاتم نفسه ، وقد عاش الخاتم بعد ذلك عشرة سنوات ، ونقد 15 سنة ، لم ينفي فيها نقد ولا الحزب الشيوعي هذه المعلومات ولم يرد على ذلك التحليل http://www.youtube.com/watch?v=85MxM3pSgEc

(4)

ويبدو ان نقد قد ندم على ادواره تلك، او خاف. في مقال د. عبد السلام نور الدين التقديسي عن الرجل والموسوم (قد ذهب في غيبة كبري ذلك الفذ في تجليات الظهور والخفاء)، والذي قد نأتي لنقده في مناسبة اخرى، لفتتني هذه النقطة : ((حينما تولى التنظيم العسكري (وقد هدد محمد ابراهيم نقد قبل انقلاب 19 يوليو بحله) مسئؤولية ما

أطلق عليها تحرير عبد الخالق محجوب من محبسه في السجن العسكري بالشجرة، قدم الأخير عنقه، ثمناً لذلك الغياب والقرار))
وقد حل نقد ذلك التنظيم فيما بعد ، خوفا وفرقا من مصير عبد الخالق محجوب كما يزعم البعض، او خلطا في التحليل وانتقال من النقيض للنقيض. ولا غرابة . يحكي الخاتم عدلان في مذكرات سجلتها له الصديقة ماجدة نوري في 1995 كيف انه لما صعد لسكرتارية اللجنة المركزية وكان الحزب الشيوعي مطاردا وفي نفس الوقت يتحدث عن رد الصاع صاعين، انه تسلم مسؤلية الاشراف على الجناح العسكري سياسيا ، ولذلك طلب مرارا اللقاء مع مسئول ذلك الجناح ولكن كانت هناك مماطلات ..في النهاية توفق بلقاء الرجل والذي اتضح انه ضابط صف، وقد سأله الخاتم: كيف الوضع ؟ فرد الرجل وضع شنو ؟ اعاد سؤاله عن وضع الجناح العسكري وكم فيه من ضباط وضباط صف ؟ اجاب الرجل مستغربا انه ليس هناك جناح عسكري ، وان مهمته كانت تتمثل في حل هذا الجناح وتفكيكه ، باوامر مباشرة من محمد ابراهيم نقد ، وذلك حتى لا يقوم هذ الجناح بانقلاب اخر .
قال الخاتم انه لم ينم الليل في ذلك اليوم ، وقال انه لما سمع تصريحا اخر لقيادي في الحزب الشيوعي انهم مستعدون لحرب المدن ، عرف ان الرجل يكذب بوقاحة .

من نافل القول التأكيد اني لا اعتقد انه على الاحزاب السياسية اقامة اجنحة عسكرية ، ولكن ما دامت قد اقامتها فليتم حلها بقرارات تنظيمية من الهيئات القيادية وليس قرارا فرديا من احد، وليتم تقييم سياسي للامر وليس ان يكون الامر خوفا وفرقا ، كما يمكن ان نستصحب فكرة السيد عبد الرحمن بركات والتي قال فيها انه كان يمكن تغيير العقيدة العسكرية لذلك التنظيم بأن لا يلجأ للانقلابات ولكن ان يحمي الديمقراطية والنظام الدستوري .
الغريبة انه حتى بعد ذاك دخل الحزب الشيوعي في مغامرات عسكرية وبدأ في ارسال شباب للتدريب العسكري لموسكو في فترة الديمقراطية الثالثة (هناك وثيقة عن ذلك من ارشيف الحزب الشيوعي السوفيتي) ، كما ارسل بعد هذا الانقلاب مجموعة تدربت في لبنان عند منظمة العمل الشيوعي ، وانضمت للقيادة الشرعية ودخلت في مغامرات عسكرية كانت ستكون وخيمة العواقب عليهم وعلى مستقبل النضال الديمقراطي لو نجحت .

(5)

ومن المغالطات المشهودة في حياة الرجل منصبه في قيادة الحزب الشيوعي، والاستهبال المصاحب لذلك . فقد انتخب نقد سكرتيرا سياسيا للجنة المركزية في 1971 بعد اعدام عبد الخالق ورفاقه، وليس سكرتيرا عاما ،ولكن كان الشيوعيون يسمونه بالسكرتير العام وكان يقبل هذا اللقب ، وطوال فترة الديمقراطية الثالثة وما بعدها كاان يوصف في جريدة الميدان بالسكرتير العام دون وجه حق وكان موافقا على ذلك، و لم يصحح المعلومة الا بعد ان انتشرت المعلومات التي نقلها الاستاذ بشرى الصائم والاستاذ محمد علي خوجلي وآخرون عن الشهيد خضر نصر ي اوردوا فيها معلومة ان انتخابه كان سكرتيرا سياسيا وليس سكرتيرا عاما ، وبعدها بدأ نقد يقول انه ليس هناك سكرتير عام في الحزب الشيوعي ، وفي هذه فهو كان يكذب فقد كان عبد الخالق محجوب سكرتيرا عاما، كما ان منصب السكرتير العام موجود في كل الاحزاب الشيوعية .. نقد لم يجد في نفسه الجرأة والشجاعة الكافية ليعترف بصحة معلومات اساتذتنا محمد علي خوجلي وبشرى الصايم (ومن خلفهما الشهيد خضر نصر) ، وفي نفس الوقت كان ذكيا كفاية ليتنصل من المسألة بالقول لاحقا في حالة اتضاحها انه انكر ان يكون سكرتيرا عاما وأنه مجرد سكرتير سياسي ، وهذا هو ما يسمى بالاستهبال السياسي .

طبعا في المؤتمر الاخير وما بعده اصر نقد على الشيوعيين المغيبين (اللجنة المركزية) ان ان يكون المنصب سكرتيرا سياسيا، ووافق هؤلاء دون ان يعرفوا السبب ، واذا عرف السبب بطل العجب .. لمزيد من التفاصيل عن هذا الأمر وعن ظروف انتخاب محمد ابراهيم نقد سكرتيرا سياسيا في 1971 وما لحق بمخالفيه من بعد راجع مقال الاستاذ بشرى الصائم مصطفى بعنوان (الشهيد خضر نصر والمؤتمر الخامس للحزب الشيوعي السوداني).

(6)

في موضوع تصريحات نقد المخزية عن حلايب واخفاءه لرسالة عبد الخالق محجوب الاخيرة فقد سودنا الصفحات ويمكن لمن يريد ان يبحث في مواقع الانترنت عن الامرين، حتى نوثق كل ذلك في مقال منفصل يوما ما . عموما فقد قلت مؤخرا انني لا اريد ان اخوّن نقد وقد انتقل من عالمنا ولم يعد فاعلا، ولكن موقفه من قضية حلايب مريب ولا يتفق

مع المصلحة الوطنية العليا، وهو جزء من موقف شيوعي متساهل من القضية منذ الخمسينات ، وموقفه لا يزال يؤثر على موقف الشيوعيين ويقعد بهم ، وقد يستغله المصريون ضدنا، ونحن لا نقبل بهذا ابدا ، لأنه يهدد السيادة الوطنية ببساطة .. لذلك اذا لم نرد التخوين وردود الفعل فليكف الناس عن محاولات التقديس الفارغة وصناعة الاصنام الخاوية، لان كل فعل له رد فعل .

(7)

اما في مسألة القيادة الابدية والتسلط ، فأقول اني شخصيا عاتب على الراحل العظيم الخاتم عدلان رغم موقعه في قلبي انه لم يتخل عن قيادة حركة حق في حياته، وخصوصا بعد مرضه ، وكان بذلك سيسن سنة حسنة ، رغم انه ترأس الحركة لعشر سنوات فقط ، بينما ترأس نقد حزبه لاكثر من 40 عاما ، ولن يمنعني حبي واحترامي للخاتم العظيم من ان اسجل ان هذه كانت واحدة من سلبياته واخطائه . وقد يسألني سائل ما بالي اتي لهذه المسألة والرجل قد مات ، وأقول لهم ان الرجل مات ولكن تجربته لم تمت ، وانما تعيد انتاج نفسها وتتناسل في غيرها، و مثلنا السوداني يقول: الحفلن خلوهن اقرعوا الواقفات. لماذا يصر العجائز على ان يقودوا احزابنا مع هرمهم ومرضهم ؟؟ لماذا اختار الحزب الشيوعي عجوزا في السبعين ليخلف نقد في مجتمع 60% منه هم دون الثلاثين ؟؟ ذلك لأن نقد خط لهم سنة سيئة، هي الاستمرار في السلطة حتى بعد ان بلغ الثمانين. هذا المنطق لا يجدي وكلام كبار العائلة هنا لا يفيد فنحن نناقش مستقبل وطن وليس قضايا اسرة او عائلة ..

(8)

ومعروف ان نقد قد توفي في لندن بعد ان ذهب لها للعلاج، وكان قد سافر من قبل لكوبا للعلاج او كاد . والسؤال هنا كم من الشيوعيين البسطاء المرضى ، ذُهب بهم الى لندن طلبا للعلاج ؟ انا شخصيا اعرف عددا من الشيوعيين ومن افراد أسرهم ممن ماتوا في ريعان شبابهم، ولم يُذهب بهم للقاهرة ، ناهيك عن لندن للعلاج ، فما بالك تاخذ رجلا بلغ الثمانين لتعالجه في لندن ؟ وهل للهرم علاج ؟

لو ذهب نقد باملواله الخاصة او اموال اسرته فلا جناح في ذلك ، ولكن ان ذهب بأموال الحزب الشيوعي المجموعة من عضويته، فهذا انتهاك منه ومن القائمين على تلك الاموال لمبدأ تكافؤ الفرص والشفافية والمحاسبية في ادارة المال العام .

وقد قال بعض الشيوعيون انهم قابلون لصرف اموالهم بهذا الشكل ، أي لعلاج نقد ، وقد قلت لهم انهم يمكن ان يتنازلوا عما يخصهم، ولكن الفرد لا يمكن ان يتنازل عن حق عام هو ملك للشعب ، خصوصا ان بعض اموال الحزب الشيوعي تأتي من المتعاطفين وليس الاعضاء فقط. مبدأ تكافؤ الفرص وعدم المحسوبية والتوزيع المنطقي للموارد الصغيرة هي من مبادئ الحق العام ، وهي ما يجب ان تحرص عليه الاحزاب، رغما عن عواطف عضويتها ، اذا ما اردنا بناء بديل معافي قائم على مبادئ الحقوق المتساوية والمحاسبية والعقلانية .

الحزب الشيوعي السوفيتي صرف اموالا طائلة على علاج برجنيف وابقاءه على قيد الحياة ، بعد ان تجاوز الثمانين، وهي الاموال التي كان يمكن ان تعالج مئات ان لم نقل الاف من الشباب والاطفال المصابين بامراض خطيرة . الآن علاج الدولة للبشير في الخارج يصب في نفس المجري السيء ، في وقت لا يجد فيه المواطن العادي الدواء في بلده، وهو أمر مرفوض تماما .

(9)

وقد قال البعض ان خروج الالاف في تشييع نقد انما هو اعتراف بدوره الايجابي، وقد رددت ان الشعب السوداني مسكين يتيم يبحث عن بطل في وسط هذا الحطام العظيم، وهو شعب مغيب عن المعلومات للاسف ، ويمارس الشيوعيون وغيرهم عليه تجهيلا ممنهجا، لخلق الاصنام . عموما كنا قد كتبنا صديقي عثمان محمد صالح وشخصي مقال عن الظاهرة في وقته بعنوان ((تأملات في مراسم تشييع السيّد محمد إبراهيم نقد)) فليرجع له من يريد .

(10)

وقد سأل السائل هل أرى للرجل فضلا ، و هل هدف لغير مصلحة هذا الوطن والشعب ، وأي فائدة جناها من الحياة بلا أسرة ولا ثروة ولا أبناء؟ وقد قلت اني لا ابخس الناس حقهم ، ,انه جاء في الاثر " ولا يجرمنكم شنان قوم الا تعدلوا" ، وانا

احاول ان اتحرى العدالة ما وسعي ، ولكني للأسف لا اجد للرجل ايجابيات كثيرة بل اعتبره مثله مثل الترابي والصادق من الذين افسدوا الحياة السياسية السودانية ، ولو جمعت سيئاته الكثيرة مع حسناته القليلة المجهولة بالنسبة لي لمحقتها محقا . بالقطع كتبه التوثيقية حول علاقات الرق وحول قضايا الارض لا باس بها ، ولكن كما يقول اهلنا القلم ما بيزيل بلم ولقد كتب الصادق اكثر منها وربما افضل ولكن ما الفائدة ؟
واقول ان هدف الرجل ربما لم يكن المال ، ولكن هدفه كان السلطة ولو في حزب صغير ، والدليل انه لم يتخل عنها حتى بعد ان بلغ ارذل العمر وبعد ان نخره المرض ، وهو في هذا ساهم في السنة السيئة لأبدية القيادات. وأنا شخصيا لا اعتبره زاهدا فقد عاش بشكل مرفه على حساب الفقراء ، وقد حكى بنفسه كيف ان طعامه الفواكه والخضروات وكيف تأتيه الكتب من مشارق الارض ومغاربها، فوق ان امراضه تعالج في لندن وغيرها . ولكن حتى لو كان زاهدا فهذا لا يغير من الامر شيئا ، وقديما قال الشاعر : وقد صبرت عن لذة العيش أنفس * وما صبرت عن لذة النهي والأمر!!

(11)
فلترحمه السماء ان ارادت اما موقعه في تاريخ شعبنا السياسي فسلبي .

عادل عبد العاطي

فبراير 2014

الفصل السادس
في نقد الشيوعية الدولية والماركسية

نصب لنغوين سين ساك - "أب" هوشي منه - الزعيم الشيوعي الفيتنامي - يذكرنا بالاحتفاء بمريم "ام" المسيح في الديانة الكاثوليكية

يظن كثير من الناس ان الشيوعية تقف في تضاد مع الاديان. وهذا حق . فالشيوعية ترفض الاديان ولكنها ترفضها من منطلقها بالذات، وترفضها لتحل محلها. فالشيوعية في حقيقة الأمر ما هي إلا دين جديد وعقيدة جديدة . واذا كان ماركس قد قال ان الدين افيون الشعوب، فإن الشيوعية عموما، والماركسية تحديدا، هي افيون المتشاقفين المؤمنين بها، الجاهلين في معظمهم بتفاصيلها .

أما كون الشيوعية والماركسية عقيدة فهذا واضح من بدايتها ، ولعلم القاريء فأن اول وثيقة شيوعية - ماركسية لم تكن البيان الشيوعي وانما (اعتراف الايمان الشيوعي)[13]

[13] لقراءة اعلان الايمان الشيوعي لانجلز راجع:
https://www.marxists.org/archive/marx/works/1847/06/09.htm

وهو كتيب كتبه انجلز في عام 1847 على نمط (اعتراف الايمان) في العقيدة الكاثوليكية وغيرها - وقد أشار باكونين وغيره الى الطابع الايماني والجبري لمذهبية ماركس وانجلز – وقد قر قرار ماركس وانجلز فيما بعد ان يكتبان اعلانهما الشيوعي في صورة بيان وليس اعتراف إيمان، ولكن الطابع الديني لمذهبهما لم يتغير.

ما هي الصفات المشتركة بين الأديان المختلفة والشيوعية ، والتي تجعلنا نتعامل مع الشيوعية كدين آخر ؟؟ هناك عدة مشتركات نجملها في التالي :
الايمان بعقيدة او مجموعة عقائد لا تتزعزع مهما جرى – الشيوعيون مثلا يؤمنون بجبرية التاريخ وبرسالة الطبقة العاملة وحتمية انهيار الراسمالية ، رغم ان الواقع ينفي كل هذا الهراء . الشيوعيون كما المتدينون ليسوا مستعدون للتنازل عن ايمانهم البسيط والبليد حتى لو تركوا الحزب الشيوعي، كما المتدين لا يغير ايمانه حتى لو ترك الكنيسة.
الدين يطرح للمؤمنين جنة تجرى من تحتها الانهار - الشيوعيون يطرحون للناس مجتمعا لا طبقيا تسوده السعادة الكاملة بل لقد استخدم انجلز التعبير المسيحي حول الحكم الالفي للمسيح وقال انهم سيبنون دولة ألفية (تدوم ألف سنة).
الاديان تملك عددا من الكتب المقدسة "تتنزل" من السماء او يكتبها الانبياء : من بينها كتاب رئيسي ثم كتب شرح فرعية يقرأها المؤمنون وتستخدم كمرجعية للعقيدة - الشيوعيون لهم البيان الشيوعي ككتاب مقدس اول ثم الكتب الاخرى لماركس وانجلز ولينين ككتب شارحة للعقيدة وكمرجعية عقيدية
الاديان والشيوعية تقدمان تفسيرات بسيطة لمشاكل معقدة - كما ان كلاهما يحاولان تقديم اجابات على جميع الاسئلة الكونية وتاريخ البشرية : ما كان وما هو كائن وما سيكون - الشيوعية تقدم هذا في اسلوب فج ومبسط تسميه الحتمية التاريخية (الحتمها منو ؟) والاديان تنسبها للمشيئة الالهية والخطة الالهية الكبرى
الشيوعية والاديان لهم شيوخ وشراح يبجلون ولا يقبل نقدهم اطلاقا وتصمم لهم الايقونات بل يتم نصب ضرائح لهم ، كضريح لينين وضريح هوشي منه وضريح ديمتروف وضريح كيم ايل سونغ الخ - كما هناك ميل عند المؤمنين الدينيين والمؤمنين الشيوعيين لفرض عقائدهم على الآخرين. وكلنا نعرف تاريخ الدولة الدينية في اوروبا وفرضها لديانتها على الاخرين كما نعرف محاولات فرض الاسلام ديانة للدولة في العديد من البلدان ذات الاغلبية المسلمة ، كما كانت هناك دولة هندوسية بنص الدستور (نيبال) بينما فرضت

كوبا والبانيا وروسيا والصين الخ الشيوعية كايدلوجية للدولة والحزب الشيوعي كالحزب الوحيد الحاكم ودرست الماركسية في المدارس والجامعات وربت الناس عليها وحاربت غيرها من العقائد والافكار والفلسفات

الشيوعية والأديان كلاهما له شيطان وكلاهما له ملائكة وأخيار : الشيطان في الاديان يسمى لوسفير او ابليس او الشيطان وله اعوان وسيطرة الخ ، الشيطان في الشيوعية يسمى بالطبقة البرجوازية التي لها سيطرة وأعوان الخ - الاخيار في الاديان هم الملائكة و/أو مجتمع المؤمنين ، وفي الشيوعية هو الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي اللذان يصبحان مادة للعبادة والتبجيل وكتابة القصائد للكورالات وخداع الناس وكسب انصار جدد كما في اغاني الكنيسة او جلسات المديح او التلاوة

المؤمنون الدينيون والمؤمنون الشيوعيون مستعدون لتبرير اكبر الجرائم والمجازر والسلوكيات اللا اخلاقية وأفظعها اذا ما قام بها زعمائهم ورسلهم ويجدون لها تبريرات غاية في الفجاجة والسخافة بل تجدهم يمجدونها ومستعدون لتكرارها - وفظائع الحروب الدينية لا تفوقها إلا فظائع الحروب الشيوعية والأنظمة الشيوعية.

الطرفان ليس لهما تقبل للأخر المختلف - فالآخر المختلف هو عند المؤمنون الدينيون كافر ومنافق وزنديق وتابع للشيطان الخ - اما عند المؤمنون الشيوعيون فهو عدو طبقي وانتهازي وتحريفي وعميل للامبريالية الخ - وكلاهما مستعد لقتل هذا الاخر وسجنه وشنقه والتبشيع به وتشويه صورته الخ - ولك في محاكم التفتيش في اوروبا نموذجا وفي محاكمات ستالين نموذجا مقابلا

الطرفان ليس لهما اي تقبل لتفسير جديد للعقيدة ويعتبران أي تفسير جديد أو أي مفسر جديد خارجا عن العقيدة يجب هزيمته بل سحقه - والحروب العقيدية بين اتباع الدين الواحد مشهورة ومشهودة. اما الحروب العقائدية بين الماركسيين فقد كانت ممعنة في العنف وقتل الشيوعيون بعضهم بعضا كما الوحوش في روسيا وفي الصين وفي اليمن الجنوبي وفي اثيوبيا وفي كل مكان - وحينما لا يكون القتل المادي متوفرا للشيوعيين يعملون على القتل المعنوي والتشنيع - تماما كما عند اتباع الديان تجاه الخارجين عنهم او المصلحين منهم او المخالفين في التفسير.

جدير بالذكر ان بعض الماركسيين قد حاولوا جديا وعلنيا تحويل الماركسية الى دين وبناء "رب" جديد . هكذا فعل القائد الشيوعي وأول وزير للتعليم والثقافة في روسيا البلشفية

اناتولي لوناتشارسكي متأثرا بأفكار لودفيغ فيورباخ – وهو فيلسوف هولندي اراد بناء دين الإنسانية - وكان ممن تأثر به كثيرا ماركس وانجلز واعتبراه من معلميها - . وقد قال لونشارسكي ((الاشتراكية العلمية هي الأكثر دينية من جميع الاديان ، والشيوعي (الاشتراكي الديمقراطي كما كان الشيوعيون يسمون انفسهم وقتها) هو الأعمق تدينا من جميع البشر)) - وقد حاول لوناتشارسكي بناء دين جديد اعتمادا على الشيوعية وقد عارضه لينين لأغراض تكتيكية بحتة حيث زعم ان هذا النهج سيقلل من صدامية الشيوعية ويحولها الى اصلاحية كما ظنها محاولة للتصالح مع العناصر الرجعية. عموما تم اقتباس افكار لونتشارسكي في ادلجة الشعب السوفيتي واستخدمت الرموز الدينية لنشر الشيوعية كما اقتبست مراسم دينية مختلفة تم تطويعها لخدمة اغراض شيوعية - وهذا يذكرنا باقتباس المسيحية والإسلام لعناصر وثنية وادخالها في منظومتها العقائدية او الطقسية (الحج للكعبة، الاحتفال بميلاد المسيح الخ)[14]

لا انسى أيضا بعض المؤثرات الفكرية الاخرى التي لعبت دورا كبيرا في قيام الديانة الشيوعية . من بين ذلك تحتل اهمية كبيرة وثيقة " اسس العقيدة الثورية"[15] التي كتبها في عام 1869 سيرغي نيشايف، وهو ممن اثر على لينين اكثر من ماركس نفسه ربما ، اذ يقول لينين عن نيشايف " هذا الثوري الجبار الذي صاغ صياغات مذهلة ستظل محفورة في الذاكرة الى الأبد"، - وقال ان اعمال نيشايف كلها " يجب ان تطبع، ويجب ان نتعلم البحث عنها وان نجدها جميعا" . ان "اسس العقيدة" الثورية عند نيشايف هي اسس عقيدة دينية تصل اقصى درجات التطرف والتعصب ولا تماثلها ربما الا تطرفات الاديان في مراحلها الاولى. من الجدير بالإشارة ان نيشايف كان من اوائل اللاسلطويين وكان ماركس وانجلز يكرهان اللاسلطويين لكن العقيدة الدينية لنيشايف وتطرفه الثوري لقت

---

[14] ** للتعرف على فكرة لوناتشارسكي حول بناء الدين الشيوعي الجديد وتطبيقاتها في الاتحاد السوفيتي راجع المقال التالي : http://en.wikipedia.org/wiki/God-Building

[15] لقراءة نص " اسس العقيدة الثورية" لنيشايف راجع : HTtps://www.marxists.org/subject/anarchism/nechayev/catechism.htm

هوى في نفس لينين الذي ادخلها في العقيدة الشيوعية وخصوصا في كتاب: "ما العمل؟" - رغم جهل اغلب الماركسيين والشيوعيين الحاليين بدور نيشايف.[16]

عموما يمكن ان نقول ان الشيوعية هي نظام عقيدي مغلق ومطلق ، له ايمانياته التي لا علاقة لها بالعلم، والتي لا تتغير حتى لو اثبت العلم خطئها، فكما هناك متدينون يؤمنون ان الارض هي الثابتة والشمس هي التي تدور حولها، لأن الانجيل او القرآن او مفسريها قد قالوا بذلك، تجد الشيوعيون يؤمنون بأقوال ماركس التي نفاها التاريخ، من نوع اضمحلال الطبقات الاخرى وانقسام المجتمع الى طبقة عاملة تتزايد باستمرار وقلة برجوازية ، فقط لأن ماركس قال بها. فالشاهد ان الطبقة العاملة تتناقص باستمرار وان الطبقة الوسطى هي التي تنمو الى اخره .. كما لهم نفس التعصب المذهبي ونفس التقديس لزعمائهم وطائفتهم الدينية المتجلية في شكل حزب ولهم رموزهم وأعلامهم وأناشيدهم والتي تشكل الرمزية الانتمائية لكيان عقيدي واحد بل لهم اعيادهم وطقوسهم (اول مايو) وشهدائهم وجنتهم الارضية الموعودة.[17]

[16] لقراءة اعمق حول تأثير كتيب نيشايف على ايدلوجية لينين راجع المقال التالي : http://theartofpolemics.com/2014/03/06/the-influences-of-the-catechism-of-the-revolutionary-on-lenin/

[17] لقراءة اوسع حول الماركسية كدين راجع هذا المقال المكتوب من وجهة نظر علمانية : http://infidels.org/kiosk/article/communism-is-religion-238.html

مقدمة :

في حوارات مع بعض الشيوعيين الشباب في الانترنت اتضح لي حجم التخريب الايدلوجي وغسيل المخ الذي تعرض له هؤلاء من قبل الدعاية الشيوعية، واستغربت كيف انه بعد ربع قرن من السقوط الداوي للنظام الشيوعي الشمولي المتوحش لا يزال البعض يصدق بعض ما انتحته ماكينة الدعاية السوفيتية وما ظلت تجتره الاحزاب الشيوعية التابعة لها في الجنوب والشرق. في هذه السلسلة اجمع بعض المعلومات والحقائق والملاحظات عن واقع النظام الشيوعي آملاً في تجميعها في المستقبل بصورة أكثر تفصيلا وعلمية .

فشل الشيوعية:

لم تحقق الشيوعية اي وفرة او رخاء ولا بنى تحتية عملاقة . ما بنته الشيوعية بتكاليف اجتماعية باهظة كان على مستوى ما بنته الراسمالية الاولى في القرن التاسع عشر : تصنيع ثقيل يعتمد على استخدام مفرط للموارد وعلى حساب البيئة : زراعة جماعية تمت بالعنف والقوة وسببت مجاعات خطيرة ة كالمجاعة في الاتحاد السوفيتي في الثلاثينات والمجاعة في الصين في السبعينات بل والقتل بالجوع (Holodomor) كما تم لحوالي 7 مليون اوكراني في 1931-1932.[18] الشيوعية كانت في الاساس نظام فاشل اقتصاديا ولذلك سقطت ، فضلا عن جرائمها السياسة واضرارها الاجتماعية الأخرى .

الجنس في الاتحاد السوفيتي:

الانظمة الشيوعية ابتذلت الجنس والاسرة عندما نا حولت كل شيء الى تفسير مادي جلف[19]. نزعت عن الجنس والاسرة الغلالة الرومانسية وحولتها الى رياضة ونزوة ،

[18] معلومات عن القتل بالجوع او جريمة ال Holodomor :
https://en.wikipedia.org/wiki/Holod

[19] معلومات عن الجنس في الاتحاد السوفيتي : http://rbth.co.uk/society/2013/09/3

لذلك كان الطلاق اسهل شيء وكان الاجهاض يستخدم كوسيلة لمنع الحمل[20] ، وكان يمكن ان تجد فتاة او امراة اجهضت أكثر من 20 مرة في حياتها[21] [22]. كانت الدعارة موجودة ولكن الاقبال عليها كان ضعيفا لانه كما شبهه احد الكتاب كانك تشتري ماء بينما صنابير المياه حولك مليئة. كان ثمن الجنس هو زجاجة فودكا او نصف زجاجة. كان هذا مجتمعا متوحشا متخلفا دمر ارواح الناس وحولهم الى زومبي .

لا اخلاقية الشيوعيين وعدميتهم واستغلالهم للنساء في التعامل مع الجنس ما عايزة يضوي ليها نار وقد ورثوها من كبارهم بدءا من ماركس الذي كان يغتصب خادمته (نعم كان لماركس خادمة وكان له ابن غير شرعي منها) ولينين الذي عاش كل حياته في ثلاثي مكون منه وزوجته كروبسكايا وعشيقته انيسا ارماند ، وماو تسي تونغ الذي كان زير نساء وسادي تخطف له الفتيات، ولن اتكلم عن كاسترو طبعا ففضائحه رفضتها حتى ابنته. الوحيد منهم الذدي لم يكن منهم زير نساءهو ستالين ولكن بجلافته تسبب في انتحار زوجته.

اشارتي لهؤلاء تنبع من اثبات لا واقعية اليوتوبيا الشيوعية وتناقضها مع الواقع الكالح. قال عبد الخالق محجوب في كتيب " اصلاح الخطأ في العمل وسط الجماهير" ان الفكرة لا تنفصل عن حاملها. حالة الاذدواجية الاخلاقية والتناقض ما بين المطروح رسميا والمطبق عمليا هي ظاهرة معروفة في كل الانظمة الشمولية القهرية وفي كل الفلسفات الرسالية العقائدية. كان ذلك في روسيا السوفيتية وفي المانيا النازية وهو موجود في دولة المشروع الحضاري المزعوم الذي يزعم شيئا ويطبق النقيض.

عموما كل الدراسات الجادة تثبت وجود كل من الحنس الفوضوي والدعارة في الاتحاد السوفيتي. ذلك إن المجتمع السوفيتي كان مجتمعا مسترقا وكان المجالان الوحيدان اللذان

---

[20] مقال عن الإجهاض في الاتحاد السوفيتي وكيف تحول الى ظاهرة مرضية بدلا من أن يكون علاجا لمشكلة : http://www.nytimes.com/1989/02/28/w

[21] هنا شهادات لنساء في صحيفة روسية اجرين عمليات اجهاض 12 و18 مرة في روسيا السوفيتية. المقال يقدم معلومات عن الاجهاض في روسيا السوفيتية والآ ن :
http://themoscownews.com/russia/20130813/191845415/Abortion:%20A-matter-of-life-and-death.html

[22] احصائيات عن الحجم الهائل للاجهاض في الاتحاد السوفيتي :
http://www.johnstonsarchive.net/policy/abortion/ab-ussr.html

تتوفر فيهما درجة من الحرية الشخصية هي شرب الفودكا وممارسة الجنس، وكان اغلب الناس يمارسانهما معا لذلك كان هناك حالات الحمل غير المرغوب ثم وباء الايجهاض وكان ايضا بسبب ذلك ميكانيكية الجنس بعد ان حرر من كل رومانسية واصبح بديلا زائفا عن الحرية لشعب مسترق.

الدعارة والبغاء في الاتحاد السوفيتي :

يزعم الشيوعيون ان البغاء والدعارة قد اختفت من الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية التي سقطت وهذا هراء . فكل من عاش في دول المعسكر الشيوعي يعرف ان البغاء كان موجودا فيها وكانت بائعات الهوى يحتللن الفنادق تحت بصر وتعاون رجال الامن وكن احد مصادر العملة الصعبة. في بولندا حكى لنا من عاشر تلك الفترة انهن كن يعسكرن في فنادق مثل بريستول ومتروبول وايرويبسكي وفارشافا. في موسكو كن يعسكرن في فندق موسكفا قرب الكرملين (تم هدمه الان) . وهكذا دواليك في كل عواصم ومدن المعسكر الشيوعي.

اعتمادي على مجموعة كبيرة من الدراسات التاريخية والمقارنة للجنس في روسيا والاتحاد السوفيتي وحوارات مطولة مع سودانيين ومواطنين من بلاد الكتلة الشيوعية عاصروا تلك الفترات الكالحة والمظلمة في تاريخ تلك الشعوب و احصاءات رسمية. بالمقابل فإن الشيوعيين في خرافاتهم يعتمدون على ا الايدولوجيا فقط. إن الاتجاه الليبرالي الاجتماعي لا يحبذ تجارة الجنس لانها في الاغلب تتم دون حرية ولانها تتعارض مع كرامة الانسان(المراة تحديدا) ، ولا يطرح اهدافا يوتوبية مثل مجتمع لا طبقي واختفاء الدعارة كليا وغيرها من الترهات. الماركسية كنظرية شمولية عقائدية والشيوعية كنظام قمعي تسلطي تنتهك فيه حرية الفرد وكرامته هي بيئة سيئة جدا لنمو علاقات انسانية بين البشر،لذلك يتحول الجنس الى نزوة وتنمو مختلف الامراض الاجتماعية مثل الادمان والجنس الفوضوي والاغتصاب وجنس المحارم والدعارة غير المعلنة وهذه كلها ظواهر كانت تنخر الدول الشيوعية مع بقية امراضها حتى انهارت غير مأسوف عليها .

عموما تجارة الجنس كانت رائجة في الاتحاد السوفيتي وان لم تكن علنية. لو كان الاتحاد السوفيتي بمثل ما تحكون عنه لما انهار بهذا الدوي. للاسف ان الشيوعيين السودانيين يصدقون خرافات ويروجون لخرافات كما يروج السلفيون خرافات عن مجتمع السلف الاسلامي الاول .

الاغتصاب من طرف الجنود السوفيت :

جلافة ولا انسانية الشيوعية ونظامها القميء المعادي للانسانية والحضارة تمثلت في كمية الاغتصابات بما فيها الاغتصابات داخل الاسرة وجنس المحارم والجنس المغصوب عليه التي كانت تمارس في روسيا الشيوعية، كما تمثلت في حجم الاغتصابات الهائلة التي تمت من ظرف الجنود السوفيت اثناء الحرب العالمية الثانية ، حيث تم تقدير حوالي 2 مليون حالة اغتصاب في الجزء الشرقي من المانيا اغلبها كان اغتصابا جماعيا (بعض النساء تم اغتصابهن 60-70 مرة وتوفيت حوالي 10 الف امراة جراء ذلك بينما توفيت 240 الف امراة من مضاعفات ذلك الاغتصاب) لاحظ ان الجزء الذي احتله السوفيت من المانيا كان جزءا صغيرا بعدد سكان بسيط مقارنة مع بقية الاجزاء التي احتلها الحلفاء.[23]

ظاهرة الاغتصاب الخرافي من طرف الجنود السوفيت تمت في كل دول اوروربا الشرقية والوسطى ولكنها كانت بشعة وغير معقولة في الاراضي التي كان يقطنها المان او ناطقين بالالمانية. في بروسيا الشرقية وبوميرنيا وسليزيا (التي تتبع الان لبولندا) تمت حوالي مليون واربعمئة الف حالة اغتصاب. في فيينا وبرلين كان نصيب،كل مدينة حوالي 100 الف حالة اغتصاب. اسمت النساء الالمانيات نصب الجندي السوفيتي المجهول الذي نصب في برلين ب" نصب المغتصب المجهول"[24].

[23] معلومات عن حالات الاغتصاتب الهائلة التي تمت في المانيا من طرف الجنود السوفيت: https://en.wikipedia.org/wiki/Rape_during_the_occupation_of_Germany

[24] المرجع السابق.

كتب الاستاذ عماد عيدروس مقالا قصيرا بعنوان ((ماركس ومركزية العقل الأوروبي)) نشره في صفحته بالفيسبوك وقد دار حوله نقاش واسع ساهمت فيه بقسط قليل، زعمت فيه ان ماركس (وانجلز) لم يكونا فقط يمثلان المركزية الاوروبية في طرحهما الفكري والسياسي، وانما ينطلقان من مواقع التعصب القومي الالماني (الشوفينية) في تعاملها مع كثير من شعوب العالم وخصوصا السلاف ، وانهما قد دافعا عن الاستعمار وزعما بوجود دور ثوري له، في مواجهة ما اسمياه بالاستبداد الشرقي ، بل وحتى مارس ماركس الدفاع عن العبودية والاسترقاق بدعوى اهميتها الاقتصادية.

اليوم اضيف ان ماركس وانجلز كانا ينطلقان ايضا من نظرة عنصرية مبطنة تجاه الاثنيات السوداء وان عنصريتهما تجاه اليهود والسود قد طفحت في الكثير من مواقفهما وخصوصا في رسائلهما ولم ينج منها حتى اقرب الناس لهما ، واعتبر انهما نهما في المحصلة كانا يعبران ليس فقط عن العقل المركزي الاووربي، وانما عن التعصب القومي الألماني في ابشع تجلياته .

للأسف راجعت اليوم صفحة الاستاذ عيدروس فلم اجدها ولم اجد المقال المذكور ، فقررت فتح هذا البوست والاتيان بمقاطع مطولة من ماركس وانجلز تثبت وجهة نظري، وهي نفس وجهة النظر التي أشار اليها المفكر ادوارد سعيد في كتابه عن "الاستشراق"، رغم انه اعتمد على مقاطع قليلة جدا من ماركس في نقده للعقلية الاستشراقية للرجل، ودفاعه خصوصا عن الاستعمار ، وان لم بتعرض سعيد لشوفيتنية وعنصرية ماركس لأنها كانت خارج مجال بحثه .

ماركس وانجلز والمركزية الغربية :

انطلق ماركس وانجلز من مركزية غربية ترى ان اوروبا هي مركز الكون وان عصر التنوير هو بداية التاريخ وان الراسمالية هي النظام الاكثر تطورا ولن يعقبه نظام اكثر تطورا منه الا الشيوعية. وبما ان الراسمالية قد تطورت في الغرب فالشيوعية ستتم في الغرب ولذلك فإن الغرب هو مركز الكون ومحور مستقبله. ان القارئ للبيان الشيوعي ولرأس المال يجد هذا المفهوم منثورا على كل صفحاتهما. ورغم ان الرجلان ينطلقان من نقد عنيف للراسمالية الا انه لا يمكن تجاهل اعجاب مضمر لهما بها ، وبما دعياه من دورها الثوري

والتدميري للبنى القديمة. وقد سألني الصديق قصي مجدي سليم هل كان ماركس يقف مع البرجوازية أم مع البروليتاريا، فقلت له ان ماركس وفقا لكلماته نفسها يناصر البرجوازية ضد الاقطاع وضد ما يسميه الاستبداد الشرقي ثم يناصر ما يسميه بالبروليتاريا ضد البرجوازية ، انظر لقوله في البيان الشيوعي الفصل الاخير (وفي ألمانيا يُناضل الحزب الشيوعي مع البرجوازية كلما قاومت البرجوازية مقاومة ثورية، النظام الملكي المطلق، والملكية العقارية الإقطاعية، والبرجوازية الصغيرة الضيقة الأفق.)[25]

واذا كان ماركس وانجلز وفقا لنظريتهما الجبرية عن التاريخ ووفقا لتحليلهما عن المراحل الخمسة لتطور البشرية (المشاعية ، الرق، الاقطاع، الراسمالية ، الشيوعية) قد اعلنا نهاية التاريخ، وبما ان الراسمالية تطورت في الغرب وبذلك ستقوم الشيوعية فيه، فما من العالم الباقي الا الاتباع . وحقيقة لم يجهد ماركس وانجاز نفسهما ببناء اي علاقات سياسية او تنظيمية مع عالم الجنوب ، حيث انهما اكتفيا هناك بدور الاستعمار الذي يحطم البنى القديمة والاستبداد الشرقي لصالح الراسمالية ، ثم سيتم دمج هذا كله في الغرب الراسمالي ثم الشيوعي الذي ستقوده الطبقة العاملة التي يقودها الحزب الشيوعي الذي يقوده ماركس، فما حاجة ماركس اذن بالشرق وهو يملك مستقبل الغرب ؟

في هذا يقول الأستاذ عيدروس ((ماركس ، ورغم إجلالي له ولمنهجه الماركسي والذي إتخذه كوسيلة أساسية لتحليل الظواهر الإجتماعية الإقتصادية،إلا أن وعيه كان للأسف ممركزاً حول الوعي الأوروبي وعقلية الرجل الأبيض، فلم ير من الإحتلال الأوروبي لشعوب العالم المضطهدة ، لم ير من الإستعمار بكل بشاعته وقمعه إلا رؤية الرجل الأبيض البرجوازي الفائق القوة والحضارة وهو ينشر التمدن وعلاقات الإنتاج الرأسمالية.في إعتقادي هذه الرؤية وهذا التحليل خاطئ تماماً، الإستعمار لا ينشر التنوير، ولا ينشر علاقات الإنتاج الرأسمالية في البلد المحتل، بل يركب هذه العلاقات الرأسمالية (كأداة نهب) في قمة العلاقات القديمة، علاقات ما قبل الرأسمال الإقطاعية القبلية.وبهذا لا تنشر البرجوازية الأوروبية المستعمرة التحضر والتنوير، ولا تنشر علاقات الإنتاج الرأسمالية،بل تزرع في

[25] كارل ماركس وفردريك انجلز : بيان الحزب الشيوعي – يمكن ايجاده على هذا الرابط: https://www.marxists.org/arabic/archive/marx/1848-cm/04.htm

المجتمعات المحتلة ما يعوقها عن التقدم والتطور حتى بعد ذهاب المستعمر (كما حصل عندنا في السودان).))[26]

متلازمة البربرية والحضارة وتبرير الاستعمار :

هناك كلمتان تتكرران في كتابات ماركس وانجلز اكثر من كلمة الشيوعية او الطبقة العاملة نفسها، وهي كلمة البربرية ، والتي يلصقها كل من ماركس وانجلز بالشعوب الشرقية وحكوماتها ، ثم كلمة الحضارة التي يلصقاها عموما بالغرب وخصوصا بالمانيا ، رغم ان المانيا القرن التاسع عشر لم تكن الدولة الاكثر تطورا بل كانت كل من انجلترا وفرنسا تسبقاها حضاريا. ان ماركس وانجلز كما نزعم لم يكونا مجرد منفعلين بمنطق عصرهما كمال يقال . فقد تجاوز كل من هاينة وشيلر وهما سابقان على ماركس وانجلز الشوفينية الالكانية ولم يتجاوزها القائدان الشيوعيان. كما ان جوته وهو ايضا سابق لماركس قد رفض تماما متلازمة ربط البربرية بالشرق، بل رأي التاريخ المشرق للشرق وحاول مزاوجة تراث الشرق والغرب كما تبدى في عمله "الديوان الغربي والشرقي" - اذن لا يصح القول ان ماركس وانجلز كانا يعبران عن عصرهما اذ استمرآ المنهج الاستشرافي المتعالي بل كانا يعبران عن مركزيتهما الاوروبية وشوفينتهما الالمانية .

ادت هذه النظرة الخاطئة والتقسيم الاعتباطي للشعوب لبربرية وحضارية الى تبرير وحشية الاستعمار والى تبرير الممارسة الاستعمارية نفسها، فقد كتب ماركس مثلا في خاتمة مقاله عن " الحكم البريطاني في الهند" يبرر ليس فقط الاستعمار بل الفظائع والجرائم البريطانية في الهند قائلا : ((انجلترا، هذا صحيح، قد تسببت في ثورة اجتماعية في هندوستان، وقد دفعتها في ذلك فقط مصالح شنيعة ، وكان تنفيذها (لهذه الثورة) غبيا . ولكن ليس هذا هو السؤال. والسؤال هو: هل يمكن للبشرية الوفاء بمصيرها بدون ثورة أساسية في الوضع الاجتماعية لآسيا؟ إن كانت الاجابة بلا ، فأنه ، مهما كانت جرائم انجلترا فقد كانت هي الأداة اللاوعية للتاريخ في إحداث تلك الثورة.)) ويمضي قائلا : ((لذا، مهما كانت مرارة مشهد من انهيار للعالم القديم لمشاعرنا الشخصية، لدينا الحق في هذه النقطة من التاريخ، لنهتف مع غوته: " هل يجب ان يعذبنا هذا العذاب ، اذ هو

---

[26] عماد الدين عيدوس : ماركس ومركزية العقل الأوروبي- مقال نشر على صفحات الفيسبوك -

يجلب كل هذه المتعة الضخمة ؟ ألم يكن خلال حكم تيمور ، أن الارواح افترست دون حساب ؟)) [27]

ان اللغة الادبية لا تخفي هنا تبرير جرائم الاستعمار، ودموع التماسيح لا تخفي المركزية الاوربية ولا الزعم بالدور الحضاري للاستعمار. ولكن فلنذهب أكثر ، فانجلز يدافع ايضا عن احتلال الجزائر ويعتبرها من التقدم أيضا. في مقاله لصحيفة " مورننغ استار" والتي تحولت من بعد الى صحيفة الحزب الشيوعي البريطاني ، يكتب التالي : ((على العموم فأنه في رأينا ، انه من الجيد جدا ان الزعيم العربي قد أُسر . لقد كان نضال البدو ميئوسا منه. ورغما عن ان الطريقة التي أدار بها الجنود العنيفون مثل بيغو الحرب ملومة جدا ، الا ان احتلال الجزائر هو حقيقة مهمة وجيدة جدا لتقدم الحضارة)) - وفي نفس المقال يمضي ليقول إن قرصنة الدول "البربرية" ما كانت لتنتهي الا بالاحتلال ، وان احتلال الجزائر قد ارغم بيهات تونس وليبيا والنغرب على سلوك الحضارة ، ويقول انه مع ابداء الاسف على فقدان حرية البدو ، الا انهم كانوا مجرد لصوص مغتصبين بربريين. ويخلص انجلز الى أنه ((بعد كل حساب ، فإن البرجوازي المعاصر ، مع الحضارة والصناعة والنظام والانوار التي يحملها على كل حال، هو أفضل من الوالي الاقطاعي واللص قاطع الطريق، ومن الطور الهمجي في المجتمع الذي ينتميان اليه)). اي بصريح العبارة : أهل الجزائر والدول البربرية ، يستحقون ان يتم احتلالهم، حتى لو تم قتلهم ، لكيما تتقدم الحضارة.

https://www.marxists.org/archive/marx/410.htm

ماركس وانجلز واضحان جدا : هما يعترفان بالجرائم والانتهاكات الفظيعة، بل يمكن ان ينتقداها ويلوماها، وينتقدان الجلادين الاستعماريين على عنفهم المفرط وعلى اخطاء التطبيق، ولكنهم واضحان تماما انهم يقفان مع احتلال شعوب الشرق "البربرية" من طرف

[27] كارل ماركس – الحكم البريطاني في الهند – يمكن ان تجد نسخة منها هنا :
https://www.marxists.org/archive/marx/works/1853/06/25.htm

الدول الاستعمارية "المتحضرة" البيضاء . وفي كل ذلك يزعمان ان هذا هو منطق التاريخ، وتقدم الحضارة، وانها الثورة الاجتماعية في آسيا، وغيرها من الترهات.
أما عن احتلال ولايات واسعة من المكسيك من طرف الولايات المتحدة ، بما فيها كاليفورنيا، فإن انجلز يبتهج لذلك - كيف لا والمكسيك بلد خلاسي "بربري" والولايات المتحدة حضارية بيضاء ؟ انظر اليه يقول في مقال لصحيفة "Deutsche-Bruesseler-Zeitung" عن الامر : ((في امريكا شهدنا احتلال المكسيك ولقد ابتهجنا لذلك. بل انه تقدم حين نرى بلدا كان مشغولا حصرا بقضاياه الخاصة ، مجمد على الدوام بالحرب الاهلية ، ومعاق جدا في تطوره، البلد الذي كانت افضل احتمالاته ان يخضع صناعيا لبريطانيا ، عندما يوجه قسريا الى العملية التاريخية. انه من مصلحة تطور المكسيك ان يتم وضعه في المستقبل تحت وصاية الولايات المتحدة. ان تطور كل امريكا سيستفيد من حقيقة ان امتلاك الولايات المتحدة لكاليفورنيا، سيعطيها القيادة في المحيط الهادي))
https://www.marxists.org/archive/marx/410.htm

ان ماركس وانجلز هنا يدافعان عن احتلال الامم المتحضرة في ذهنهما، والبيضاء ، للامم الشرقية والجنوبية. ففي الهند يدافع ماركس عن احتلال بريطانيا لها باعتبارها ثورة اجتماعية ، وفي الجزائر يدافع انجلز عن احتلالها باعتبار ان هذا يخدم تقدم الحضارة ، وفي المكسيك بدافعان عن احتلال امريكا لنصف البلاد ويقترحان وضع ذلك البلد تحت الوصاية لمصلحته الخاصة . ويمكنني هنا ان أأتي بالامثلة بدون حساب.

ماركس وانجلز والعداء للسلافية والسلافيين :
لقد خاضت المانيا معارك تاريخية في عدة اتجاهات : كان الاتجاه الشرقي واحدا منها وكان ضد الشعوب السلافية ، وكانت لالمانيا حروب تاريخية مع السلافيين - البولون اولا ثم الروس الخ - وفي حربين عالميتين حاربت المانيا ضد السلاف في الجبهة الشرقية. كما ان الامبراطورية النمساوية - المجرية كانت دولة خليطة يسكن فيها الناطقون بالالمانية مع المجيين مع السافيين الخ، وكانت ممزقة بين ولائاتها المختلفة ، وكان تطور المانيا وتوسعها مرهونا بهزيمتها للسلاف او انسحابها لصالحهم .
ورغم ان المانيا قد حاربت ضد خصمها التاريخي ، فرنسا، ورغم انها خاضت حروبا توسعية واستعمارية وتنافسية ضد الدول الاسكندنافية ، الا انه لم يبرز في ادبها

السياسي كره عنصري تجاه تلك الشعوب، بينما ظهر في ادبها احتقار عنصري وتحريض عنصري تجاه الشعوب السلافية التي اعتبرها العنصريون الالمان اقل حضارة من الالمان وشعوبا بربرية ، بل وصل الحال الى ان يسميهم هتلر رسميا في ايدلوجيته (التي يقول الكثيرون ان الماركسية هي احد جذورها) بانهم عرقيا دون البشر "Untermensch" .

في هذا الصراع التاريخي اندرج ماركس وانجلز، وخصوصا ان المانيا على عهد صباهما وشبابهما وكهولتهما ، وحتى عام 1870 ، كانت مقسمة الى امارات متعددة ولم تكمل توحدها القومي، الامر الذي كان مستفزا وجارحا للكثير من المفكرين والناشطين الالمان. كما كانت بعض اجزائها محتلة او متنازع عليها مع فرنسا، مثل اقليم الالزاس واللورين. وكان هناك العديد من الناطقين بالالمانية موزعين في عدد من دول اوروبا الاخرى (خارج الامارات الالمانية وخارج الامبراطورية النمساوية المجرية والتي كانت دولة يسيطر عليها الناطقون بالالمانية) . وكان كثير من المان الدياسبورا هؤلاء يقيمون في وسط دول او مجتمعات سلافية ، كالمان مدينة غدانسك او المان منطقة فارميا ومازوي في بولندا (بروسيا الشرقية) او المان مناطق ليفونيا كورلنديا وسميغاليا (في دول البلطيق الحالية) او المان نهر الدون في روسيا.
ورغم ان ماركس وانجلز يكرهان السلاف عموما والروس خصوصا ويعتبروهم برابرة - مثلا في مقاله عن جيوش اوروبا يتحدث انجلز هكذا عن الروس ((ولكن حتى الوقت الحالي ، فان الروس من جميع الطبقات، هم في الاصل برابرة جدا ليجدوا اي متعة في المساهمة العلمية أو الفكرية من أي نوع ، عدا المؤامرات)) فإن هذا لم يمنعهما من رؤية رسالة حضارية للروس في تمدين اسيا - عبر الاحتلال والاخضاع - . فالروس البرابرة السلاف الأقل من الالمان، يظلون أفضل وأرقى من الاسيويين، وانجلز يضع لهم مهمة جديدة هي تنفيذ مهمة حضارية في آسيا ولكن بالتعاون والتبادل مع الغرب. في ذلك يقول انجلز بعد سنوات وبعد صعود نجم روسيا في رسالة الى Nadejde في عام 1888 : ((وأخيرا، فإن الأمة النبيلة لروسيا العظمى، اذ لم تعد تشارك في متابعة الفتح الوهمي لصالح القيصرية، سوف تكون حرة في تنفيذ المهمة الحضارية الحقيقية في آسيا : وتطوير مواردها الفكرية الواسعة في التبادل مع الغرب، بدلا من اهدار أفضل دمائها على منصات الاعدام أو في سراديب التعذيب "كاتورغا"))

http://ciml.250x.com/archive/marx_engels/english/engels_1855_the_armies_of_europe.html

هذا التغير في التكتيك تجاه روسيا ، بل وفي الموقف من القوميات السلافية الجنوبية، فرضته ظروف النهضة السياسية في تلك البلاد وبداية بروز تباعرلماركس وانجلز هناك. ولكن الموقف الرئيسي في صراع البربرية والحضارة لم يتغير : فروسيا التي وصفت من قبل بأنها بربرية اصبحت لها مهمة تحضير اسيا بالتعاون مع الغرب، أو قل تحديدا مع المانيا، فماركس وانجلز عندما يتحدثون عن الغرب يقصدون وطنهم القومي المانيا - كما سنوضح لاحقا.

انجلز وماركس والرغبة في تصفية الشعوب "المتأخرة":
في ضمن متلازمة البربرية والحضارة، يصف ماركس وانجلز عدد من الشعوب انها بربرية او رجعية او متأخرة. ما مصير هذه الشعوب في فلسفة الرجلين ؟؟
ان الشعوب المتأخرة والرجعية (وقد نسى الرجلان تماما الصراع الطبقي الذي يقسم البشر الى طبقات وليس شعوبا) لا تستحق الحياة بالنسبة لانجلز. ففي مقال بعدد يناير - فبراير 1848 من صحيفة 'Neue Rheinische Zeitung' التي كان ماركس يرأس تحريرها كتب انجلز التالي : ((بين جميع القوميات والشعوب للنمسا (يقصد الامبراطورية النمساوية المجرية) فقط ثلاثة من الشعوب هم حاملي لواء التقدم ولهم القدرة على الحياة : الالمان والبولون والمجريون . وبالتالي هم الان ثوريون. جميع القوميات والشعوب الاخرى مصيرها ان تُمحي في المحرقة الثورية العالمية" . ويمضي انجلز ليصف هذه الشعوب بأنها قمامة انسانية ، حيث يقول في نفس المقال ((إن بقايا الشعب والذي كما قال هيجل ، قمعوا وسجنوا على مدار التاريخ، هذه القمامة الانسانية ، يصبحون في كل مرة، ناقلون متعصبون للثورة المضادة . وسيظلون هكذا حتى يتم طمس كامل او فقدان لهويتهم القومية . ان وجودهم كله ، هو في حد ذاته، احتجاج على ثورة تاريخية كبيرة)) - ولكي لا يترك انجلز مجالا للشكوك عمن يتحدث، يشرح إن هؤلاء هم السلاف الجنوبيين ويصفهم مرة اخرى بالقمامة ، فيقول ((مثل هؤلاء في النمسا هم عموم السلافيين من السلاف الجنوبيين، والذين لا يعدو شيئا غير انهم قمامة بشرية للشعوب، ، ناتجين عن الف سنة من التطور المشوه بتطرف)) -

ما العمل اذن مع هذه القمامة الانسانية والتي مجرد وجودها يعطل الثورة، والمشوهة عبر الف سنة من التطور ، والذين لم تطمس هويتهم القومية بالكامل ؟؟ ان مصيرهم هو التصفية والاختفاء من وجه الأرض. يقول انجلز ((إن الحرب العالمية القادمة ستؤدي إلى الاختفاء من على وجه الأرض ليس فقط الطبقات الرجعية والعوائل الحاكمة، ولكن أيضا للشعوب الرجعية بأكملها. وهذا، أيضا، هو تقدم.))

هذه دعاية كاملة للمحرقة او الهولوكاست الذي مارسه هتلر من بعد، ولنعرف ان هتلر كان يكره السلاف واليهود والزنوج . وسنجد ان ماركس وانجلز كانا يكرهان اغلب السلاف واليهود والزنوج . كما ان هتلر اسمى حزبه (حزب العمال الاشتراكي القومي الالماني) وكان الحزب الذي رعاه ماركس وانجلز هو (حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الالماني) . غير اوجه الشبه الاخرى العديدة .

ولكي يكون انجلز واضحا في طرحه عمن سيقوم بعملية التصفية والاخفاء عن وجه الارض ، فهو في مقام اخر يتحدث عن مواجهة هذه الشعوب بالارهاب ويضيف اليها روسيا. أن روسيا فقد كانت دائما عدوا لماركس وانجلز ، وكانا يحرضان عليها البولون والمجريون - وكان موقفهما من روسيا دائما منطلقا من الصراع التاريخي البروسي (الالماني) - الروسي. عموما يشرح انجلز كيف يمكن تصفية هذه " الشعوب المضادة للثورة " كالتالي((في مواجهة عبارات العاطفية عن الأخوة التي يجري تقديمها هنا نيابة عن الشعوب المضادة للثورة من أوروبا، نقوم بالرد أن كراهية الروس كانت وما زالت هي العاطفة الثورية الأولية بين الألمان. وبعد الثورة (يقصد ثورة 1848) تمت إضافة الكراهية للتشيك والكروات، وأنه فقط من خلال الاستخدام الأكثر تصميا للإرهاب ضد هذه الشعوب السلافية يمكننا، بالاشتراك مع البولنديين والمجريين، حماية الثورة. ثم سيكون هناك صراع، وهو "بلا هوادة صراع حياة أو موت" ضد أولئك السلاف الذين يخونون الثورة. معركة ماحقة وبارهاب اكثر عزما - ليس في مصلحة ألمانيا، ولكن في مصلحة الثورة!)) انجلز ينتبه في الجملة الاخيرة لنفسه ويحاول ان يبرر ، وكما يقال الحرامي في راسو ريشة.

ماركس وانجلز والتبرير للعبودية والاسترقاق :

ان ماركس ، في نظرته الجبرية الميكانيكية لتطور المجتمعات والشعوب ، وهي النظرة التي اثبتت فشلها تماما، فالشيوعية لم تقم في أكثر الدول الراسمالية تقدما، بل قامت في أكثرها تخلفا، والشعوب السلافية الصغيرة لم تنقرض، رغم محاولات مواطنهما هتلر في ذلك، والطبقة العاملة او البروليتاريا لم تصبح اغلبية المجتمع ، بل الطبقة الوطسطى ، الخ الخ ، نقول انه في نظرته الجبرية مستعد لتبرير أكبر الجرائم في التاريخ، ومن ذلك الرق والعبودية.

وحتى نكون واضحين فان ماركس وانجلز معه لا يتحدثان عن ذلك الطور العبودي الاول في ماضي البشرية ، والذين صنفه الرجلان بعد المشاعية الاولى . لا .. الرجلان يتحدثان عن العبودية والاسترقاق المعاصران لهما ، وماركس يبدو واضحا وصارما في هذا ، فهو يقول في رسالة الى بافل انينكوف ((أما بالنسبة العبودية، فليست هناك حاجة لي أن أتكلم من جوانبها السيئة. الشيء الوحيد الذي يتطلب التفسير هو الجانب الجيد من العبودية. وأنا لا أقصد العبودية غير المباشرة ، عبودية البروليتاريا. أعني العبودية المباشرة : عبودية السود في سورينام، في البرازيل، في المناطق الجنوبية من أمريكا الشمالية. الاستعباد المباشر هو المحور الذي تدور حوله الصناعة المعاصرة وكذلك الآلات والائتمان، الخ الرق بالتالي هو وضع (تصنيف) اقتصادي ذو أهمية قصوى))
https://marxists.anu.edu.au/archive/marx/works/1847/poverty-philosophy/ch02.htm#s4

ان ماركس هنا يرى جانيا "جيدا" من العبودية ، وهو يراه "ذو اهمية قصوى " ، كما يراها محور الصناعة الحديثة . قد يزعم زاعم من اتباع ماركس الجهلة والعمى والصم عن الحقيقة ان الرجل يقول هنا حكما مجردا علميا لا حكم قيمة ، والحق انه بهذا الحكم "المجرد" فقد برر ماركس تاريخا طويلا من الدم والألم والدموع وانتزاع الناس من ثقافاتهم واوطانهم لتحويلهم عبيدا يسترقون ويباعون كما تباع الاشياء. وفقا لاطروحة ماركس هذه، كانت ثورة سبارتاكوس ثورة رجعية ، اذ كيف يتمرد على وضع هو محور الاقتصاد وذو اهمية اقتصادية قصوى ؟ ولنتذكر دائما إن ماركس يرى الاقتصاد كالقوة المحركة للتاريخ. فليذبح الناس اذن وليتحولوا الى عبيد من اجل دوران الصناعة في الولايات الجنوبية وفي البرازيل وسورينام.

ان ماركس لا يكتفي بهذا ، حيث نجده يتحدث بنفس العبارات في رده على كتاب برودون " فلسفة البؤس" ، حيث رد عليه ماركس بكتاب اسماه " بؤس الفلسفة " وفيه يرد على دعوات برودون الحارة بتحرير العبيد في الولايات المتحدة بالتالي : ((دون العبودية، فإن أمريكا الشمالية، الدولة الأكثر تقدمية من البلدان، من شأنها أن تتحول إلى بلد ابطريركي (أبوي) . أمحو أمريكا الشمالية من خريطة العالم، وسيكون لديك الفوضى : الاضمحلال الكامل للتجارة الحديثة والحضارة. إلغي الرق وسيكون لديك محو لأمريكا من على خارطة الدول.)) ماركس هنا يقول انه بدون رق ليس هناك امريكا وبدون امريكا ليس هناك حضارة وانما فوضى .. الغي الرق وستحصل على الفوضى والاضمحلال الكامل للحضارة !!!

https://www.marxists.org/arabic/archive/marx/1847-pv/03-1.htm#4

ولقد توقعت ان يأتي أحد اتباع ماركس ليزعم ان الكلام ليس كلام ماركس وانما كلام برودون - للاسف هذه حجة ضعيفة - رغم الصيغة السيئة جدا لكتابة الكتاب . لأن انجلز قد علق على مقولة ماركس الأخيرة عن ان امريكا لا تكون بدون عبوديةو العالم لا يكون دون عبودية بالقول ((هذا كان صحيحا بشكل كامل لعام 1847 . في ذلك الوقت فان تجارة الولايات المتحدة العالمية قد كانت مقتصرة بصورة رئيسية على استيراد المهاجرين والمواد الصناعية ، وعلى تصدير القطن والتبغ ، اي بمعنى آخر ، منتجات قوة عمل العبيد الجنوبية . الولايات الشمالية كانت تنتج رئيسيا الذرة الشامية واللحوم لولايات الاسترقاق . انه فقط حينما بدأ الشمال في انتاج الذرة الشامية واللحوم للتصدير وعندما اصبح ايضا بلدا صناعيا، وعندما اصبح على احتكار القطن الامريكي ان يواجه منافسة قوية ، في الهند وومصر والبرازيل الخ ، فان الغاء العبودية أصبح ممكنا. وحتى وقتها فإن هذا قد قاد لتهدم الجنوب ، الذي لم يفلح في استبدال العبودية المفتوحة (المعلنة) للزنوج بالعبودية المُقنّعة للحمالين الهود والصينيين . ف. أ)) المرجع:

https://marxists.anu.edu.au/archive/marx/works/1847/poverty-philosophy/ch02.htm#1

https://www.marxists.org/arabic/archive/marx/1847-pv/03-1.htm#01

تعليق انجلز كتبه للطبعة الالمانية لكتاب "فلسفة الؤس " لماركس لعام 1885 ، اي بعد حوالي 40 عاما من كتابة كتاب لماركس ، وهو يشير فيه الى مقولة ماركس التالية تحديدا : ((دون العبودية، فإن أمريكا الشمالية، الدولة الأكثر تقدمية من البلدان، من شأنها أن تتحول إلى بلد ابطريركي (أبوي) . أمحو أمريكا الشمالية من خريطة العالم، وسيكون لديك الفوضى : الاضمحلال الكامل للتجارة الحديثة والحضارة. إلغي الرق وسيكون لديك محو لأمريكا من على خارطة الدول.)) ارجو مراجعة علامة الاشارة * في المرجع المرفق، فعلام يدل هذا ؟

يدل هذا على ان تلك المقولات المؤيدة للعبودية هي لماركس وليست لبرودون . لأن انجلز يقول إن هذا التحليل كان صحيحا عام 1847 . فهل يقصد تثبيت صحة مقولة برودون ام مقولة ماركس ؟ما مصلحة انجلز في تثبيت صحة مقولة برودون اذا كانا هو وماركس يعتبرانها خاطئة ؟؟ إن انجلز كان شارح ماركس وكان كثيرا ما يأتي بتعليقات تشرح ما يقصده ماركس او يوسعه او يطوره ، بل لقد كتب عدداً من الكتب في شرح افكار ماركس وفي التعليق على الراسمال الخ بل كانت لهما كتب عديدة مشتركة من بلينها الايدلوجية الالمانية والبيان الشيوعي ويكاد راس المال ان يكون كتابا مشتركا لهما .. انجلز لم يقل كان هذا صحيحا فقط وانما قال كان صحيحا بشكل كامل (perfectly correct) فهل كان يؤكد كلام ماركس ام كلام برودون ؟ وهل انجلز معاصر ماركس وصديقه ورفيقه لم يكن يعرف ان الكلام كلام برودون حتى يصححه ويؤكده في زمنه ؟؟ ام هو يعلم تماما انها كلمات ماركس واقواله؟

تعليق انجلز نفسه يوضح موافقته هو نفسه على العبودية ، باعتبارها ضرورة اقتصادية . إذ يقول انه فقط عندما انتفت ظروف العبودية اصبح الغائها ممكنا - اي أنه لم يكن ممكنا إلغائها في عام 1847 حين كان كلام ماركس (صحيحا بصورة كاملة) . مع ذلك وحتى بعد 40 عاما فان انجلز يقول ان الغاء العبودية قد ادى لتهدم الجنوب . ان انجلز في تحسره على "تهدم" او انهيار الجنوب العبودي انما يسير في نفس خط ماركس الذي يرفض الغاء العبودية حتى لا تُمحي امريكا من خارطة العالم. ان ملاحظة انجلز الواضحة والصريحة والعارية توضح ليس فقط موافقته على كلام ماركس وتأكيد صحته، وانما توضح اتفاقه التام مع ماركس وتبنيه لاقواله بعد حوالي 40 عاما، مما يوضح ان موقفهما في تبرير العبودية

كضرورة اقتصادية هو موقف ثابت لهما لم يتغير حتى بعد ان اصبح انجلز هرما وبعد وفاة ماركس نفسه.

ماركس وانجلز : العنصرية وعلاقات العرق:

ازعم ان ماركس وانجاز وفقا لمنهجهما المركزي الغربي والالماني الشوفيني قد كانا عنصريان ايضا . والنهج العنصري والذي يركز على علاقات العنصر والدم تيار قديم في الثقافة الالمانية وقد وصل اوجه على يد هتلر وغوبلز اللذان اعديا ان الجنس الاري هو الجنس الافضل وان السلاف هم تحت - بشر وان المانيا يجب ان تكون فوق الجميع .

ماركس وانجلز معروفان بأنهما كانا يريان ان الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية هي محركة التاريخ، ولكن القليل من الناس يعرف انهما كانا يريان اهمية كبيرة لعلاقات العرق والعنصر في منهج انثربيولوجي فج. لقد كان الرجلان تلميذان للامارك وقد اختفيا بداروين ونظريته في الانتقاء الطبيعي، وكانوا يؤمنا ان الانتقائء الطبيعي يتم ضمن البشر ايضا، وان البشر لا ينقسمون الى طبقات متناحرة فقط، وانما الى اعراق بعضها متقدم وبعضها متأخر، وان المتقدم منها بينه الألمان، وقد استخدما كلمة متفوق اي (superior) في وصفهما لما اسمياه بالعنصر او العرق او الجنس الآري اى الألماني- الجرماني .

يقول ماركس وانجلز في كتاب "الايدلوجية الألمانية " وهو واحد من كتبهما الاولى وهما يتحدثان ليس عن الانتخاب الطبيعي وانما عن الانتخاب الصناعي بين الحيوانات والانواع البدائية وكيف يمكن نقله لعالم البشر ((وأن سانشو يمكن أن يلقي في هذا الصدد نظرة سريعة في علم الحيوان ليكتشف أن "محدودات الذكاء الفطرية" تشكل الطبقة الأكثر عددا ليس فقط بين الغنم والبقر، ولكن أيضا بين السليلات المخاطية والنقاعيات، التي ليس لها رؤوس على الإطلاق. وقد سمع ربما أنه من الممكن تحسين أجناس الحيوانات وخلق انواع جديدة تماما وأصناف أكثر كمالا على حد سواء للتمتع البشري او للتمتع الذاتي الخاص بينهم - "لماذا لا" يكون سانشو قادرا على رسم الاستنتاج نفسه فيما يتعلق بالناس كذلك؟))

ويولي انجلز اهتماما كبيرا بقضايا العرق في كتابه " اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة" والذي اجازه ماركس، حيث يقول فيه ان الجنس الارياني "متفوق" كما اليهود بسبب من اكلهم للحمة واللبن . ويمضي في كتاب "انتي دوهرنج" ليقول انه كما تورث الصفات الفردية فالصفات العرقية الجماعية ايضا تورث ، ويقول ان طفل (الماني ؟) في الثامنة يفهم بديهيا

في الرياضيات ما لا يمكن ان يفهمه بوشمان او زنجي استرالي بالمثال، حيث يكتب ((من ناحية أخرى، فإن العلوم الطبيعية الحديثة وسعت مبدأ أن أصل كل محتوى فكري ينتج من الخبرة - الى الدرجة التي تنهار فيها الحدود والصياغات الميتافيزيقية القديمة . من خلال التعرف على توريث الصفات المكتسبة، نمد هذا الموضوع من خبرة الفرد إلى الجنس. أن يكون الفرد الواحد من ذوي الخبرة لم يعد ضروريا، بل يمكن استبدال خبرته الفردية إلى حد معين من نتائج تجارب عدد من أسلافه. إذن، على سبيل المثال، اذ كانت البديهيات الرياضية تبدو لنا بديهية لكل طفل يبلغ من العمر ثماني سنوات، وليست في حاجة إلى دليل من التجربة، فإن هذا هو فقط نتيجة "الإرث المتراكم." وسيكون من الصعب أن نعلمها حتى بدليل لرجل الغابة (البوشمان) أو الزنجي الاسترالي))

ان هذا الرأي حول العوامل العرقية ثابت عند ماركس وانجلز ، وهو ممتد في كل كتاباتهما في جميع مراحلها التاريخية .. ففي كتاب "راس المال " وهو من الكتب الناضجة لماركس الشيخ (توفي قبل أن يكمله) يقول ماركس ((ان الامكانية معروضة هنا لتطور اقتصادي ياخد موقعه، وفقا ، بطبيعة الحال، على ظروف موائية ، وكذلك على الصفات العرقية الموروثة الخ)) كمان انجلز يؤيده في مقال نشر بالاعمال المختارة لهما حيث يقول ((نحن نعتبر الظروف الاقتصادية هي العامل الذي يحدد في نهاية المطاف التطور التاريخي. ولكن العرق هو في حد ذاته عاملا اقتصاديا)).

هذا هو الاطار النظري، فما هو المنظور العملي لماركس وانجلز من قضايا العرق ؟؟ انهما ، مثل استاذهما هيجل، يؤمنان بتفوق اعراق على اخرى ، وان صفات الاعراق تنتقل بالوراثة ، وان هناك اعراق متفوقة على اخرى، بسبب من محتويات غذائها، وان هناك اعراق وشعوب رجعية ، واخرى بربرية ، وثالثة هي قمامة بشرية ، ورابعة ليس لها مستقبل وليس لها تاريخ ، الخ .

الشوفينية الالمانية والتوسعية البروسية :

لقد تحدثنا عن الظروف التي كانت فيها المانيا في فترة صبا وشباب وكهولة ماركس وانجلز ، اي حتى العام 1870 حين اكملت المانيا وحدتها تحت زعامة بروسيا وعلى يد بسمارك. في كل هذا الوقت حاول ماركس وانجلز خلق تنظيم اوربي - وربما عالمي - يخدم خطط اعادة توحيد المانيا وقيادتها لاوروبا وربما العالم. ان عصبة الشيوعيين كانت تنظيم الماني في

المقام الاول ، وكانت فروعها الاجنبية تتكون في الغالب من عمال المان ، كما كانت قيادتها في اغلبيتها العظمى من الالمان. اما حينما تكونت جمعية الشغيلة العالمية كتنظيم شيوعي "امي" فقد سعى ماركس وانجلز دائما لوضعه تحت السيطرة الالمانية ، وكانا يمارسان هجوما منقطع النظير على الثوري الفرنسي برودون ، كما على الروسي باكونين، ومن يدعمها من فروع الاممية وخصوصا اللاتينية والسلافية منها ، بل لقد اعترف الرجلان ان الصراع مع برودون هو صراع لتخليص منظمة الشغيلة العالمية (ما تسمى بالأممية الأولى) من القيادة الفرنسية لصالح القيادة الالمانية ومن مفاهيم الشيوعية الفرنسية لمفاهيم الشيوعية الالمانية (سأتي بالنص لاحقا). اما حينما اكتملت وحدة المانيا وتم تفكيك الاممية الاولى من طرف ماركس وانجلز حتى لا يسيطر عليها اتباع باكونين وهم الاغلبية، فقد جعل ماركس وانجلز كل همها لبناء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني والذ1ي بدأ العمل تحت تأثيرهما الفكري والسياسي الكاسح.

اننا نجد في كل كتابات ماركس وانجلز وخصوصا انجلز ، رغم الجارغون الشيوعي والثوري والاممي، إحتفاء بالجنس الالماني او الجرماني أو الأري ، في مقابل تشنيع وحط من شأن الشعوب الأخرى الموصوفة بالبربرية . بما فيهم من افارقة واسيويين ولاتينين، ولن نذكر السلاف ولكن ايضا الايرلنديين وأهل اسكندنافيا- فقد كتب انجلز مثلا عن الاسكدنافيين في مقال لصحيفة(Neue Rheinische Zeitung) عدد سبتمبر 1848 ((أن الاسكندنافية هي الحماس لوحشية ودناءة وقرصنة الصفات الوطنية للنورس (الشمالي) القديم، وللحياة الداخلية الموروثة والتي لا يستطيع ان يعبر عن الافكار والمشاعر المندفعة فيها في كلمات، ولكن يمكن التعبير عنها في الأفعال، وتحديدا في الوقاحة تجاه المرأة، والسكر الدائم والهيجان البري للمقاتلين المهووسين المتناوب مع العاطفية الدامعة))

واذا كان هناك احد سيزعم ان هذا نص لانجلز الشاب ، فلننظر لهذا النص الذي كتبه عن شعوب جنوب اوروبا بما فيها من سلاف واغريق في شيخوخته اي في عام 1885 ((هذه الشظايا البائسة الخربة لشعوب المرة - الواحدة : الصرب، البلغار واليونانيين، والعصابات الناهبة الاخرى ، الذين واللذين يشعل لهم الليبراليون المتحمسون شموع متحمسة في مصلحة روسيا، هم غير مستعدين لمنح بعضهم البعض الهواء الذي يتنفسوه، ويشعرون بالالزام لقطع حلاقيم بعضهم البعض . شعوب البلقان الرديئة))

لقد تحدثنا اعلاه عن كراهية ماركس وانجلز للسلاف وتوعد الشعوب السلافية بمحرقة حرب عالمية يتم فيهم تدميرهم وتغييب حتى اسم تلك الشعوب ، وان الالمان سوف يقودون تلك الحرب (مع البولنديين والمجريين) ، كما تابعنا حديثهم عن المسخ الثقافي الكامل للشعوب السلافية في الامبراطورية النمساوية المجرية (التي كان يقودها الناطقون بالالمانية من الاسرة المالكة النمساوية) - ونعرف ان كل هذا مرتبط بالعداء لروسيا، عدوة المانيا التقليدية وقتها - انظر الي انجلز (او ماركس) يقول في العدد 42 من صحيفة "Neue Rheinische Zeitung" التالي : (فقط حرب ضد روسيا ستكون حربا من أجل ألمانيا الثورية، حرب يمكن ان تطهر بها (المانيا) نفسها من خطاياها الماضية، حرب تاخذ فيها شجاعتها لهزيمة مستبديها ونشر الحضارة بتضحيات ابنائها الذين سيبصحون شعبا ينفض عن نفسه سلاسل العبودية المتبلدة الطويلة))

هذا كله مرتبط بنزعة توسعية المانية تتحدث عن استرداد الالزاس واللورين (اقليم يتبع لفرنسا كان يسكنهم المان) مرة وعن احتلال مناطق نهر الراين حيث يقيم المان خارج حدود الدولة الالمانية بل يدعو انجلز لجرمنة بعض الشعوب عقابا لها على عدم الولاء لالمانيا. انظر لقوله في مقال عن ارنست ارندت نشر في صحيفة "تلغراف المانيا " في مطلع عام 1841 وهو شاب غض : ((صحيح، أنها فكرة ثابتة لدي الفرنسيين أن الراين هو ممتلكاتهم، ولكن تجاه هذا الطلب المتغطرس فإن الرد الوحيد الذي يستحق الأمة الألمانية هو لأرندت: "اعيدوا الألزاس واللورين". لأنني أرى، وربما على النقيض من العديد الذين أشاركهم الرأي في قضايا اخرى ، أن إعادة احتلال الضفة اليسرى الناطقة بالألمانية من نهر الراين هي مسألة شرف وطني، وأن جرمنة هولندا وبلجيكا الخانات هي ضرورة سياسية بالنسبة لنا. هل يجب ان نترك الوطنية الألمانية لتقمع تماما في هذه البلدان، في حين أن السلاف ينهضون بقوة أكثر في الشرق؟))

أن البعض قد يزعمون ان هذه مواقف غير ناضجة لانجلز ، تعود لفترة شبابه. وهذه هراء فقد ابتدأ الرجل شوفينيا المانيا وانتهى شوفينيا المانيا. فقد كتب انجلز التالي في رسالة لأوغست بيبل أحد زعماء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني (الشيوعي حينها) والذي كان انجلز بمثابة راعيه وهو كهل عجوز اي في في عام 1891 التالي فيما يعتبر وصية سياسية : ((على أي حال يجب أن نعلن أنه منذ 1871 لقد كنا دائما على استعداد للتفاهم السلمي مع فرنسا، أنه حالما يأتي حزبنا الى السلطة فإنه لن يكون قادرا على

ممارسة تلك السلطة إلا إذا حددت الألزاس واللورين مستقبلها بطريقة حرة. ، ولكن إذا أفرضت الحرب علينا، وعلاوة على ذلك كانت تلك حرب في تحالف مع روسيا، يجب علينا أن نعتبر هذا بمثابة هجوم على وجودنا والدفاع عن أنفسنا بكل طريقة، وذلك بالتحلص من (فرم) جميع المواقع على طريقنا وبالتالي متز وستراسبورغ أيضا (مدن فرنسية) - حتى يمكن لجيشنا قيادة ومواصلة الهجوم الرئيسي . . ان المؤكد جدا بالنسبة لي : إذا كنا سننهزم سيتم سيتم طرح كل حاجز للشوفينية وحروب الانتقام في أوروبا لسنوات. إذاانتضرنا فسوف يأتي حزبنا إلى السلطة. وبالتالي فإن فوز ألمانيا هو انتصار للثورة، واذا وصل الامر الى الحرب يجب علينا ليس فقط ان نرغب في الانتصار ولكن الوصول اليه بكل وسيلة)) ونحن نعرف كيف خاضت من بعد المانيا حروبها التوسعية في الحروب العالمية التي توعد بها انجلز السلاف والفرنسيين والهولنديين والبلجيك الخ من الشعوب "البربرية" و"الخائنة".

https://www.marxists.org/archive/marx/works/1891/letters/91_09_29.htm

ان كل هذا النهج الاستعماري التوسعي والعدائي يتم التبرير له مرة بإسم الثورة ومرة بإسم الحضارة - فحين تقوم المانيا باحتلال اراضي الغير يقوم انجلز ومن ورائه ماركس بتبرير ذلك . انظر لقول انجلز عن احتلال المانيا لاراضي (امارة شيلزفيغ الدنماركية) (انه نفس الحق الذي اتاح لالمانيا أخذ شيلزفيغ - أنه حق الحضارة مقابل البربرية ، حق التقدم ضد الجمود) رغم ان انجلز يعترف ان الاتفاقيات القانونية هذه المرة كان مع الدنمارك - ولكنه اعتبر ان هذا امر يقتضيه التطور التاريخي ، باعتباره نزعا لاراضي برابرة وضمها للمتحضرين - حتى الدنماركيين الاوربيين اعتبرهم انجلز برابرة وذلك لمصلحة المانيا، بعد ان كانت البربرية صفة تطلق فقط على العرب والزنوج والهنود من من غير اوروبا البيضاء الغربية.

مقاطع مرجعية :

انجلز يتحدث عن تفوق الجنس الالماني على الشعوب الاخرى في العلوم

Karl Marx, "A Contribution to the Critique of Political economy" (Review by Frederick Engels), Das Volk, 30 No. 14, August 6, 1859: "The Germans have long since shown that in all spheres of science they are equal, and in most of them superior, to other civilised nations. Only one branch of science, political economy, had no German name among its foremost scholars".

انجلز يتحدث عن تفوق الأريين واليهود بسبب أكلهم للحم واللبن

The plentiful meat and milk diet among the Aryans and the " Semites, and particularly the beneficial effects of these foods on the development of children, may, perhaps, explain the superior development of these two races".

The quotation is from Engels, "Origin of the Family, Private Property and the State", Fourth revised edition, 1891, in Marx & Engels, Selected Works In One Volume, Lawrence & Wishart: London, 1980, p 464.

انجلز يدعم جرمنة الشعوب الاخرى (هولندا وبلجيكا) واحتلال اراضيها من قبل الالمان (البروسيين) بدعوى انتصار الحضارة على البربرية وانها شرف وطني وضرورة سياسية الخ ويتسائل هل يمكن السماح للقومية الالمانية ان يتم اضطهادها في تلك البلدان (خارج المانيا) بينما ينهض السلاف أكثر قوة في الشرق؟

True, it is a fixed idea with the French that the Rhine is their " property, but to this arrogant demand the only reply worthy of the German nation is Arndt's: "Give back Alsace and Lorraine". For I am of the opinion, perhaps in contrast to many whose standpoint I share in other respects, that the reconquest of the German-speaking left bank of the Rhine is a matter of national honour, and that the Germanisation of a disloyal Holland and of Belgium is a political necessity for us. Shall we let the German nationality be completely suppressed in these countries, while the "?Slavs are rising ever more powerfully in the East

انجلز مرة اخرى يتحدث عن احتلال المانيا لاراضي الغير (امارة شيلزفيغ الدنماركية) ويقره (رغم ان الحق هذه المرة كان مع الدنمارك) بسبب زعمه ان هذه نقلة من البربرية للحضارة واقتضاها التطور الحضاري - حتى الدنماركيين اعتبرهم برابرة

By the same right under which France took Flanders, Lorraine " and Alsace, and will sooner or later take Belgium – by that same right Germany takes over Schleswig; it is the right of civilization as against barbarism, of progress as against stability. Even if the agreements were in Denmark's favor – which is very doubtful- this right carries more weight than all the agreements, for it is the "right of historical evolution

انجلز يعتبر بعض الشعوب السلافية متاخرة ويسميها بالقمامة الانسانية ويتحدث عن تصفيتها المقبلة في حرب ثورية عالمية

Among all the nations and sub-nations of Austria, only three " standard-bearers of progress took an active part in history, and are still capable of life -- the Germans, the Poles and the Magyars. Hence they are now revolutionary. All the other large and small nationalities and peoples are destined to perish before long in the .revolutionary world HOLOCAST (...)

This remnant of a nation that was, as Hegel says, suppressed and held in bondage in the course of history, this human trash, becomes every time -- and remains so until their complete obliteration or loss of national identity -- the fanatical carriers of counter-revolution, just as their whole existence in general is .itself a protest against a great historical revolution (...)

Such, in Austria, are the pan-Slavist Southern Slavs, who are nothing but the human trash of peoples, resulting from an .extremely confused thousand years of development (...)

The next world war will result in the disappearance from the face of the earth not only of reactionary classes and dynasties, but also .of entire reactionary peoples. And that, too, is progress

انجلز مرة اخرى يهاجم بعض الشعوب السلافية ويعتبر ان لا مستقبل لها لأنه ليس لها ماض

We repeat: apart from the Poles, the Russians, and at most the " Turkish Slavs, no Slav people has a future, for the simple reason that all the other Slavs lack the primary historical, geographical, political and industrial conditions for independence and viability. Peoples which have never had a history of their own, which from the time when they achieved the first, most elementary stage of civilization already came under foreign sway, or which were forced to attain the first stage of civilization only by means of a foreign yoke, are not viable and will never be able to achieve any kind of independence. And that has been the fate of the Austrian Slavs. The Czechs, among whom we would include the Moravians and Slovaks, although they differ in respect of

"language and history, have never had a history of their own

انجلز يحتفل باحتلال الجزائر ويعتبرة نقلة مهمة في انتصار الحضارة

Engels in The Northern Star January 22, 1848: "Upon the whole it is, in our opinion, very fortunate that the Arabian chief has been taken. The struggle of the Bedouins was a hopeless one, and though the manner in which brutal soldiers, like Bugeaud, have carried on the war is highly blamable, the conquest of Algeria is an important and fortunate fact for the progress of civilisation. The piracies of the Barbaresque states, never interfered with by the English government as long as they did not disturb their ships, could not be put down but by the conquest of one of these states. And the conquest of Algeria has already forced the Beys of Tunis and Tripoli, and even the Emperor of Morocco, to enter upon the road of civilisation. They were obliged to find other

employment for their people than piracy, and other means of filling their exchequer than tributes paid to them by the smaller states of Europe. And if we may regret that the liberty of the Bedouins of the desert has been destroyed, we must not forget that these same Bedouins were a nation of robbers, - whose principal means of living consisted of making excursions either upon each other, or upon the settled villagers, taking what they found, slaughtering all those who resisted, and selling the remaining prisoners as slaves. All these nations of free barbarians look very proud, noble and glorious at a distance, but only come near them and you will find that they, as well as the more civilised nations, are ruled by the lust of gain"

كتابات ماركس انجلز الكاملة - الطبعة الانجليزية - المجلد الخامس - - هنا تجدها في صفحتي 471 - 472 من هذا الملف
http://ciml.250x.com/.../english/mecwsh/mecwsh-6_401.p

انجلز يحتفي ويسعد باحتلال الولايات المتحدة للمكسيك ويطالب بوضع المكسيم تحت وصابة الولايات المتحدة ، من اجل مصلحتها طبعا

Engels in Deutsche-Bruesseler-Zeitung 1848: "In America we have witnessed the conquest of Mexico and have rejoiced at it. It is also an advance when a country which has hitherto been exclusively wrapped up in its own affairs, perpetually rent with civil wars, and completely hindered in its development, a country whose best prospect had been to become industrially subject to Britain - when such a country is forcibly drawn into the historical process. It is to the interest of its own development that Mexico

will in future be placed under the tutelage of the United States. The evolution of the whole of America will profit by the fact that the United States, by the possession of California, obtains "command of the Pacific

https://marxists.anu.edu.au/archive/marx/works/1848/01/23.htm

انجلز يدعو روسيا لمباشرة مهمتها الحضارية الحقيقية في آسيا بالتعاون مع الغرب :

" Finally, the noble nation of Great Russia, no longer engaged in pursuing chimerical conquest for the benefit of Tsarism, will be free to carry out its true civilising mission in Asia and to develop its vast intellectual resources in exchanges with the West, instead of squandering the best of its blood on the scaffold or in the katorga."

ماركس يتحدث عن"الإهمية الاقتصادية" للعبودية والرق

" As for slavery, there is no need for me to speak of its bad aspects. The only thing requiring explanation is the good side of slavery. I do not mean indirect slavery, the slavery of proletariat; I mean direct slavery, the slavery of the Blacks in Surinam, in Brazil, in the southern regions of North America. Direct slavery is as much the pivot upon which our present-day industrialism turns as are machinery, credit, etc. Slavery is therefore an economic category of paramount importance."

Karl Marx to Pavel Vasilyevich Annenkov, (Letter, 28 December - (1846

ماركس يقول ان امريكا بدون العبودية ستصبح بلدا بطريركيا ويكون هذا نهايو الحضارة والتجارة ، وان العالم شسينتهي بدون امري وان امريما ستنتهي بدون العبودية

Without slavery North America, the most progressive of " countries, would be transformed into a patriarchal country. Wipe North America off the map of the world, and you will have anarchy – the complete decay of modern commerce and civilization. Cause slavery to disappear and you will have wiped "America off the map of nations

انجلز يؤكد "صحة" مقولة ماركس ان امريكا بدوزن عبودية ستدمر وان العالم سينتهى دون امريكا العبودية

This was perfectly correct for the year 1847. At that time the " world trade of the United States was limited mainly to import of immigrants and industrial products, and export of cotton and tobacco, i.e., of the products of southern slave labour. The Northern States produced mainly corn and meat for the slave states. It was only when the North produced corn and meat for export and also became an industrial country, and when the American cotton monopoly had to face powerful competition, in India, Egypt, Brazil, etc., that the abolition of slavery became possible. And even then this led to the ruin of the South, which did not succeed in replacing the open Negro slavery by the ".disguised slavery of Indian and Chinese coolies, F.E

Note by Frederick Engels, to the 1885 German Edition. For more information

ماركس وانجلز عن قضايا العرق والاعراق :الانتخاب الصناعي يمكن ان يتم بين البشر

He has not the slightest idea that the ability of children to "
develop depends on the development of their parents and that all this crippling under existing social relations has arisen historically, and in the same way can be abolished again in the course of historical development. Even naturally evolved differences within the species, such as racial differences, etc., which Sancho does not mention at all, can and must be abolished in the course of historical development. Sancho – who in this connection casts a stealthy glance at zoology and so makes the discovery that "innate limited intellects" form the most numerous class not only among sheep and oxen, but also among polyps and infusoria, which have no heads at all – has perhaps heard that it is possible to improve races of animals and by cross-breeding to create entirely new, more perfect varieties both for human enjoyment and for their own self-enjoyment.. "Why should not" Sancho be able to draw a conclusion from this in relation to
"?people as well

Marx & Engels, "The German Ideology", Chap. 3

الآريون شعب متفوق بسبب أكل اللحم واللبن

The plentiful meat and milk diet among the Aryans and the "
Semites, and particularly the beneficial effects of these foods on the development of children, may, perhaps, explain the superior
".development of these two races

Engels, "Origin of the Family, Private Property and the State",
Fourth revised edition, 1891, in Marx & Engels, Selected Works
(.In One Volume, Lawrence & Wishart: London, 1980, p 464

طفل الثامنة يفهم الرياضيات بديهيا والتي لا يمكن تعليمها للزنجي الاسترالي

On the other hand, modern natural science has extended the " principle of the origin of all thought content from experience in a way that breaks down its old metaphysical limitation and formulation. By recognising the inheritance of acquired characters, it extends the subject of experience from the individual to the genus; the single individual that must have experienced is no longer necessary, its individual experience can be replaced to a certain extent by the results of the experiences of a number of its ancestors. If, for instance, among us the mathematical axioms seem self-evident to every eight-year-old child, and in no need of proof from experience, this is solely the result of "accumulated inheritance." It would be difficult to teach ."them by a proof to a bushman or Australian negro

"Engels. "Notes to Anti-Duehring

الصفات العرقية تحدد التطور الاقتصادي

The possibility is here presented for definite economic " development taking place, depending, of course, upon favourable ".circumstances, inborn racial characteristics, etc

:Marx , Capital, vol. 3, chapter 47

العرق هو أيضا عامل اقتصادي

We regard economic conditions as the factor which ultimately " determines historical development. But race is itself an economic ."factor

).Engels: (Marx and Engels, Selected Works, Vol. 3, p. 502